المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الدراسات الإسلامية
تخصص العقيدة

الشفاعة عند المثبتين و النافين

دراسة مقارنة
في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة

خطة بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة
عناف حمد أبو نبهان

إشراف
أ.د/ محمد طلعت أبو صبيح

١٤١٨هـ - ١٤١٩هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الدراسات الإسلامية
تخصص العقيدة

الشفاعة عند المثبتين والنافين

دراسة مقارنة

في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة
عفاف حمد الونيس

إشراف
أ.د محمد طلعت أبوصير

١٤١٨هـ-١٤١٩هـ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ (٢٦) النجم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلامضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١)

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء . واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾(٢) .

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(٣) .

أما بعد :

فمن أجل العلوم علم العقيدة ؛ لأنه يتصل في موضوعه بالبحث في الله عزوجل ، ورسله عليهم السلام ، واليوم الآخر ومافيه من حساب وجزاء ، ومعرفة الله عز وجل هي أول مايجب على المكلف ، وشرف أي علم يكون بشرف موضوعه وحسبك من علم موضوعه الله عزوجل ورسله واليوم الآخر .

ولما كان الإيمان بالله واليوم الآخر من أولى الواجبات على العبد حرصت على أن يكون موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير هو في هذا المجال وعنوانه (الشفاعة عند المثبتين والنافين دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٢

(٢) سورة النساء : الآية ١

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٧١

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

لموضوع الشفاعة أهمية جليلة وأسباب وجيهة دعتني لاختياره أوجزها فيما يلي:

١- أن الشفاعة من الموضوعات التي يزداد المؤمن بقرائتها حبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى.

٢- أن الشفاعة تتعلق بمصير الناس في الآخرة سواء كانوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أم من غيرها.

٣- أن أهل السنة والجماعة أدرجوه في كتب العقيدة، فقل أن تجد مؤلفًا ألف في العقيدة إلا وقد عقد كتابًا أوفصلاً من مؤلفه في الشفاعة، وهو داخل تحت الإيمان باليوم الآخر، ومن الإيمان بالغيب الذي مدح الله تعالى المؤمنين به فقال ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة . . .﴾[1].

٤- بيان خطأ الشيعة القائلين بأن حق الشفاعة بعد الموت لأوليائهم، وهذا الأمر انتشر وعم في هذا الزمان.

٥- أن فيه دعوة العصاة والمنحرفين عن طاعة الله إلى عدم اليأس من رحمة الله، فإذا عرف العاصي أن رحمة الله واسعة في الشفاعة عاد إلى ربه وأناب.

٦- الرد على المعتزلة النافين للشفاعة في أهل الكبائر بناء على أصلهم الفاسد في الوعد والوعيد.

٧- دحض شبه الخوارج في جعل مرتكب الكبيرة في النار خالدًا فيها.

٩- ذكر الفرق بين أقسام الشفاعة الدنيوية والأخروية، المقبولة والمردودة لأنه أصل ضلال كثيرين.

١٠- وأخيرًا رد أصل شبه المنكرين في أن الشفاعة ثابتة بخبر الواحد، وبيان فساد هذه الشبه بإثبات أن أحاديث الشفاعة متواترة، وأن خبر الواحد حجة في العقائد والأحكام معًا.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣

منهج البحث

أما عن منهج البحث في هذه الأطروحة ، فيتلخص فيمايلي :

أولاً : جمع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، وماكان منها يحتاج إلى تفسير أوأيضاح حاولت شرحه قدر المستطاع ، ثم نظرت في كتب السلف وأقوالهم ، ونقلهم عن الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ، ثم انتقلت إلى أقوال من بعدهم حتى تتم الفائدة .

ثانياً : تصنيف وترتيب أقوال الفرق وأدلتهم وحججهم ، وأصل قولهم كلاً على حدة ، كل هذا قدر الوسع والطاقة ، مع توثيق النصوص وردها إلى مصادرها الأصلية ماأمكن .

ثالثاً : في مناقشة الفرق أحاول قدر الإمكان أن لاأتعرض للأشخاص بل للأقوال ، والرد على أصل شبه كل فرقة ؛ لأن العبرة برد القول لاالقائل .

رابعاً : صدرت بعض المباحث بتعريفات لغوية واصطلاحية لتوقف فهم المراد عليها .

خامساً: عزوت الآيات القرآنية إلى سورها .

سادساً : خرجت الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة المعتبرة .

سابعاً : ترجمت للأعلام الذين نقلت عنهم في البحث .

ثامناً : شرحت الألفاظ الغريبة في البحث ، وكذا العبارات الغامضة .

تاسعاً :تركت ترجمة بعض الأعلام ؛ لأن الوقت أدركني وسأعود إليهم بعد ذلك إن شاء الله .

عاشراً:لتسهيل الاستفادة من البحث ، وسهولة الاطلاع على بعض المعلومات قمت بوضع فهارس لما يلي :

الآيات - الأحاديث - المصادر والمراجع -موضوعات البحث .

خطة البحث

#المقدمة

#التمهيد ويشتمل على :

#تعريف الشفاعة لغة .

#تعرف الشفاعة اصطلاحًا .

الفرق بين الشفاعة والاستشفاع .

لفظ الشفاعة في القرآن .

لفظ الشفاعة في السنة .

الفصل الأول : الشفاعة عند الشيعة . . . وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : التعريف بهم .

المبحث الثاني : قولهم في الشفاعة .

المبحث الثالث : أدلتهم .

الفصل الثاني : الشفاعة عند الخوارج ، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : التعريف بهم .

المبحث الثاني : قولهم في الشفاعة .

المبحث الثالث : أدلتهم .

الفصل الثالث : الشفاعة عند المعتزلة : وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : التعريف بهم .

المبحث الثاني : قولهم في الشفاعة .

المبحث الثالث : أدلتهم وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الأدلة النقلية .

المطلب الثاني : الأدلة العقلية .

المطلب الثالث : احتجاجهم بأن الشفاعة ثابتة بخبر الواحد .

الفصل الرابع : الشفاعة عند الأشاعرة والماتريدية ، وفيه مبحثان :
المبحث الأول : التعريف بهم ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : التعريف بالأشاعرة .
المطلب الثاني : التعريف بالماتريدية .
المبحث الثاني : قولهم وأدلتهم ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : قولهم في الشفاعة .
المطلب الثاني : أدلتهم .
الفصل الخامس : الشفاعة عند الفلاسفة : وفيه ثلاثة مباحث
المبحث الأول : التعريف بهم .
المبحث الثاني : قولهم في الشفاعة .
المبحث الثالث : أدلتهم .
الفصل السادس : الشفاعة عند الصوفية . . . وفيه ثلاثة مباحث
المبحث الأول : التعريف بهم .
المبحث الثاني : قولهم في الشفاعة .
المبحث الثالث : أدلتهم .
الفصل السابع : الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ، وفيه خمسة مباحث :
بين يدي الفصل ويشتمل على :
أولاً : التعريف بأهل السنة .
ثانيًا : منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة وتقريرها .
المبحث الأول : أدلة ثبوت الشفاعة عندهم ، وفيه ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : القرآن
المطلب الثاني : السنة
المطلب الثالث : الإجماع
المبحث الثاني : أقسام الشفاعة ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : الشفاعة الدنيوية .
المطلب الثاني : الشفاعة الأخروية .

المبحث الثالث : شروط الشفاعة ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : الإذن للشافع .
المطلب الثاني : الرضا عن المشفوع له .
المبحث الرابع : أنواع الشفاعة ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : الشفاعة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره
المطلب الثاني : الشفعاء غير النبي صلى الله عليه وسلم
المبحث الخامس : أسباب الشفاعة
وفيه مطلبان :
المطلب الأول : الأسباب الجالبة للشفاعة
المطلب الثاني : الأسباب المانعة للشفاعة
الفصل الثامن : موقف أهل السنة من منكري الشفاعة
-الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج - أهم التوصيات
- الفهارس
الآيات - الأحاديث - المصادر والمراجع - الموضوعات

وختامًا فإني أتقدم بالشكر الجزيل - بعد شكر الله تعالى - لكل من كانت له يد في إتمام هذا البحث ، وإخراجه بهذه الصورة ، وأخص بالشكر كلا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي احتضنتنا صغارًا ، ولم تبخل عنا كبارًا ، وجامعة الملك سعود ممثلة في كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية . التي منحتني الفرصة للدراسة .

هذا وماكان في هذا العمل من صواب فمن الله ، وماكان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ، وأسأل الله العليم رب العرش العظيم أن لايحرمنا أجره ، وأن يجزي فضيلة الدكتورمحمد طلعت أبوصير ، المشرف على الرسالة خير الجزاء ، ولاأنسى أن أشكر كلا من :

الشيخ د . عبدالرحمن المحمود
والشيخ د . خالد الرومي
والشيخ د . محمد عبدالحافظ عبده
والشيخ د . محمد أبوالغيط الفرت

على ماقدموه من نصح ، وإرشاد خلال فترة العمل في الرسالة ، فأسأل الله العلي القدير أن يفتح علينا وعليهم ووالدينا من معين فضله وإحسانه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: تعريف الشفاعة.

ثانياً: الفرق بين الشفاعة والاستشفاع.

ثالثاً: لغة الشفاعة في القرآن.

رابعاً: لفظ الشفاعة في السنة.

تعريف الشفاعة لغة :-

إذا كان موضوع البحث هو (الشفاعة عند المثبتين والنافين (دراسة مقارنة) في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) فإنه من المهم أن نبدأ بتعريف الشفاعة ، ويساعد على التعريف أن نبحث أولا في الكلمة واشتقاقاتها لمعرفة معناها اللغوي ، ثم بعد ذلك يكون التعريف الاصطلاحي .

وللتعريف اللغوي أصوله:

قال ابن فارس # « الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين ومن ذلك الشفع خلاف الوتر تقول : كان فردا فشفعته »(١)

قال الله جل ثناؤه (والشفع والوتر)(٢)

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي (٣٢٩ - ٣٩٥) هـ كان والده فقيها شافعيا لغويا أخذ عنه ، وقد بلغ حبه للغة أن ألف بها ضروبا من التآليف ، وكان يستحث معاصريه على ذلك ، له مؤلفات كثيرة منها المجمل - جامع التأويل ، والمقاييس الذي أخذنا منها هذا النص ، انظر الأعلام للزركلي ح١ ص١٧٣ ط الثاني .

(١) معجم مقاييس اللغة ص٥٣١ باب الشين والفاء ومايثلثهما تحقيق شهاب الدين أبوعمرط . الأولى ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤ م دار الفكر .

(٢) [الفجر / ٣]

وقال الجوهري * : «الشفع خلاف الزوج ، وهو خلاف الوتر»[١] وهذا فيما أعلم مما انفرد به الجوهري ولم يذكره غيره ، بل قد نبـــه الزبيدي * على ذلك فقال : « الشفع خلاف الوتر وهو الزوج ، وبخط الجوهري خلاف الزوج والوتر»[٢]

تقول : كان وترا فشفعته شفعا وشفع الوتر من العدد شفعا : صيره زوجا وشفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع ، والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة والمشفع بفتح الفاء الذي تقبل شفاعته والجمع شفعاء أ . هـ[٣]

وقد أيدت هذا المعنى الأحاديث والأشعار العربية مما يدل على ضعف القول بأن الشفع خلاف الزوج والوتر ، ولعله تصحيف .

---

* هوإسماعيل بن حماد الجوهري (. . . ت ٣٩٣ هـ) صاحب الصحاح أصح معجم عربي أول من حاول الطيران ، ومات في سبيله ، وأصله من بلاد الترك ، انظر الأعلام (٢ / ٣٠٩) .

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ص٣٤ مادة شفع ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م دار الملايين .

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج٣ص٣٨ مادة شفع ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط . الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م دار العلم للملايين .

* محمد مرتضى الزبيدي : هو محب الدين أبو الفيض محمد بن محمد بن عبدالرزاق الشهير بمرتضى ، من أئمة اللغة وأعلامها ، المشاهير من كتبه إتحاف السادة المتقين ولد ١١٤٥ هـ توفي : ١٢٠٥هـ انظر أعلام العرب في العلوم والفنون ، عبدالصاحب عمران الدحيلي ج٣ص١٤٠ ط٢

(٢) تاج العروس ح٥ ص٣٩٩ فصل الشين باب ا لعين ، دار ليبيا للنشروالتوزيع بنغازي .

(٣) انظر لسان العرب المحيط - ابن منظور - ج٢ ص٣٣٤ مادة شفع إعداد وتصنيف يوسف خياط - قدم له عبدالله العلايلي دار لسان العرب - بيروت .

ففي الحديث : « من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه »[١] يعني ركعتي الضحى

«والشفع يروى بالفتح والضم كالغَرفة ، والغُرفة»[٢]

والمصدر من ذلك الشِفع بالكسر كالضِر من الضرة .

قال الشاعر :

وأخوُ الإباءَةِ إذّ رأى خلانه تلى شِفاعاً حوله كالإذخِرِ

فشبههم بالإذخر ؛ لأنه لايكاد ينبت إلا زوجا زوجا »[٣] .

ويؤيده قول صاحب القاموس # : «الشفع خلاف الوتر»[٤]

---

(١) أخرجه الترمذي : رقم٤٧٦ ، في الصلاة ، باب ماجاء في صلاة الضحى . ولم يذكره الألباني في صحيح الترمذي ، انظر ج١ ص٤٧ مكتب التربية لدول الخليج العربي .

قال محقق جامع الأصول : إسناده ضعيف ، انظر ج٩ ص٢٣٨ دار الفكر .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر - لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ج٢ ص٤٨٥ باب الشين مع الفاء تحقيق محمود الطناحي . طاهر الزاوي - أنصار السنة المحمدية .

(٣) انظر لسان العرب مادة شفع ص٣٣٤ كتاب (ز-ف) .

* أبوطاهر مجد الدين بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي (٧٢٩ - ٨١٧هـ) ، ولد بكارزين بلدة بفارس في فترة العصر المغولي له كتب كثيرة في التفسير منها : بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز ، وفي الحديث : سفر السعادة ، وفي اللغة : القاموس ، وهو من أشهر كتبه ، انظر الأعلام (٨/١٩) .

(٤) القاموس المحيط ج٣ص٤٧ ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان .

قال الراغب * - زائدا المعنى إيضاحا - : « الشفع ضم الشيئ إلى مثله »[١]

وفي المعجم الوسيط [٢] : «الشفع ماشفع غيره ، وجعله زوجا خلاف الوتر وقد وردت عدة استعمالات لمعنى الشفع في اللغة منها :

- ناقة شفوع ، وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة .

- شاه شافع التي معها ولدها ، وفي بطنها آخر .

وفي الحديث عن سعر بن ديسم رضي الله عنه قال : « كنت في غنم لي فجاء رجلان على بعير فقالا : إنا رسولا رسول الله ﷺ لتؤدي صدقة غنمك فقلت ماعلي فيها ؟ ، فقالا : شاة فاعمد إلى شاه قد عرفت مكانها ممتلئة محضا وشحما فأخرجتها إليهما فقالا : هذه شاة شافع قد نهانا رسول الله ﷺ أن نأخذ شافعا »[٣] .

- وشفع العدد والصلاة يشفعهما شفعا صير كلاً منهما شفعا ؛ أي زوجا . شفع يشفع لي الأشخاص ؛ أي أرى الشخص شخصين لضعف بصري وانتشاره .

---

* هو أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، لايعرف متى ولد ، ولا أين تلقى العلم ، له آثار منها (الذريعة إلى مكارم الشريعة) (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) و(المفردات) وهو أجل كتبه وأجزلها فائدة توفي سنة ٥٠٢ هـ ، ١١٠٨م . انظر الأعلام ج٢ص٢٧٩

(١)- المفردات في غريب القرآن ص٢٦٢ تحقيق محمد سيد كيلاني . دار المعرفة .

(٢)- المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس - عبدالحليم منتصر- عطية الصوالي - محمد خلف الله أحمد . ح١ص٤٥٧ دار إحياء التراث الإسلامي .

(٣)رواه أبوداود : كتاب الزكاة (باب زكاة السائمة) رقم ١٨٥١ ضعفه الألباني ، انظر ضعيف سنن أبي داود ص١٥٦

ومما شذ عن هذا الباب ، ولانعلم كيف صحته : امرأة مشفوعة ، وهي التي اصابتها شفعة ، وهي العين ، وهذا قد قيل ، ولعله أن يكون بالسين غير المعجمة والله أعلم أ . هـ [١]

«ومن المجاز فلان يعاديني وله شافع ؛ أي معين يعينه على عداوتي كما يعين الشافع المشفوع له قال النابغة :

أتاك امرؤ مستعلن لي بغضه

له من عدو مثل ذلك شافعُ »[٢]

ومن اشتقاقات مادة شفع يقال : شفع الجنون والعين والأشفع الطويل

وشفع إليه : في معنى طلب إليه والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب

واستشفعته إلى فلان ؛ أي سألت أن يشفع لي إليه ، وتشفعت إليه في فلان شفعني فيه تشفيعا ، واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لي ، وشفعه أجابه شفاعته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (القرآن شافع مشفع)[٣]

ويقال في قوله تعالى : ﴿ والشفع والوتر ﴾ معانٍ كثيرةٌ منها :

- الشفع المخلوقات من حيث إنها مركبات ، كما قال تعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ [٤]

---

(١) انظر البستان معجم لغوي - عبدالله البستاني اللبناني - ج١ ص١٣٢٩ مادة شفع ، المطبعة الأمريكانية - بيروت ١٩٢٧م - لسان العرب ج٢ ص٣٣٤ - تاج العروس ج٥ ص٣٩٩ - معجم المقاييس في اللغة ص٥٣١ - الموسوعة القرآنية الميسرة تصنيف إبراهيم الأبياري ج٣ ص١٨٢ - ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م مؤسسة سجل العرب .

٢- أساس البلاغة - الزمخشري ج١ ص٤٩٦ الشين مع الفاء ط الثانية دار الكتب ١٩٧٢ م .

٣- الإتقان للسيوطي ٢ / ٣٣٢ ومابعدها ٤ - الذاريات ٤٩

والوتر هو الله من حيث إن له الوحدانية من كل وجه .

- وقيل الشفع يوم النحر من حيث إن له نظيرا يليه ، والوتر يوم عرفة .

- الشفع ولد آدم والوتر آدم ؛ لأنه لاعن والد .

- الشفع والوتر الصلاة فيها شفع وفيها وتر .

قال الصاغاني في الشفع والوتر عشرون قولا .

- روي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[١] قالا : الشفاعة الدعاء ، ههنا أ . هـ[٢]

«وفي قوله تعالى : ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾ .[٣]

أي من انضم إلى غيره وعاونه في فعل الخير أوالشر شاركه في الجزاء . وقيل الشفاعة هنا أن يشرع لغيره طريق خير أو طريق شر فيقتدى به فصار كأنه شفع له فيشاركه في الجزاء »[٤]

---

(١)سورة البقرة :الآية ٢٥٥

(٢) انظر المنجد في اللغة والأدب والعلوم - لويس معلوم ص٣٩٥ مادة شفع ط الخامسة ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت - كذلك انظر قاموس اللغة أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن - الحسين بن محمد الدامغاني ص٢٦٥ ط الثالثة مايو ١٩٨٠ م دار العلم للملايين ، كذلك تاج العروس ج٥ ص٣٩٩ - لسان العرب ج٢ ص٣٣٤

(٣) النساء / ٨٥

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم -مجمع اللغة العربية ، المجلد الثاني ص٢٣ ط الثانية ١٣٩٠ ، ١٩٧٠ م الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

و(الشفيع) صاحب الشفعة [١] بالضم تكون في الدار والأرض ، وسئل أبوالعباس ثعلب عن اشتقاق الشفعة في اللغة فقال : اشتقاقها من الزيادة ، وهي أن تشفع فيما تطلب فتضمه إلى ماعندك فتشفعه ؛ أي تزيده ؛ أي أنه كان وترا واحدا فضم إليه مازاد وشفعه .

وفي المغني [٢] : «والشفعة : هي استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من انتقلت إليه »

وبنو شافع من بني المطلب بن عبد مناف ، منهم محمد بن إدريس الشافعي ، وشفيع كأمير جد عبدالعزيز بن عبدالملك المقرئ مات بعد الخمسمائة ، وشفيع كزبير هو أبو صالح بن إسحاق المحتسب المحدث عن محمد بن سلام والبخاري مات سنة ما ئتين وسبعة وخمسين » أ . هـ [٣]

هذا ماأردت اثباته هنا وفي كتب اللغة الكثير واكتفيت بهذا حرصا على

---

(١) قال صاحب زاد المستقنع : الشفعة بإسكان الفاء من الشفع وهو الزوج ؛ لأن الشفيع بالشفعة يضم المبيع إلى ملكه الذي كان منفردا .

قال الشارح : أومن الشفاعة أي الزيادة ؛ لأن المبيع يزيد ملك الشفيع ، أو لأن الرجل إذا أراد بيع داره أتاه جاره وشريكه - كما ذكر ابن القيم - يشفع إليه فيما باع ، فشفعه وجعله أولى به . حاشية الروض المربع ، جمع عبدالرحمن بن قاسم ج٥ص٤٢٥ ط الثانية ١٤٠٥ مؤسسة فؤاد بعينو .

وصورتها : أن تكون الدار بين جماعة مختلفي السهام فيبيع واحد منهم نصيبه فيكون ماباع لشركائه بينهم على رؤوسهم لاعلى سهامهم ، انظر لسان العرب ج٢ص٣٣٤

(٢) المغني للإمامين شمس الدين ، وموفق الدين ابن قدامة ج٥ ص٤٥٩ ط الأولى ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤م دار الفكر .

(٣) انظر تاج العروس ج٥ ص٤٠٠ - لسان العرب ج٢ ص٣٣٤

عدم التطويل وفيه الكفاية إن شاء الله تعالى والفائدة لمن أراد أن يستفيد وكتب اللغة موجودة أمام من يريد المزيد .

تعريف الشفاعة اصطلاحا :

وردت للشفاعة عدة تعريفات اصطلاحية منها مايأتي :

١- تعريف الجرجاني # : الشفاعة : «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه »[١] ولعله قصد نوعا من الشفاعة فقط ؛ لأن من الشفاعة ماليس فيه تجاوز عن الذنوب ، بل رفع درجات .

٢- قال ابن منظور# : الشفاعة : « كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره »[٢]

أما الزبيدي [٣] فقد وافق ابن منظور في تعريفه وعباراته

٣- قال الراغب الأصفهاني : الشفاعة : « الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى »[٤]

الشريف علي بن محمد الجرجاني (٧٤٠ - ٨١٦ هـ) فيلسوف من كتاب العلماء بالعربية له نحو خمسين مؤلف منها شرح المواقف - التعريفات . انظر الأعلام (٨ / ١٥٩)

(١) التعريفات - ص١٢٧ - دار الكتب العلمية بيروت .

هو أبو ا لفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (٦٣٠ - ٧١١ هـ) نشأ في بيئة علمية كان مشاركًا في علوم كثيرة ، منها الفقه واللغة،فهو في الفقه بالمنزلة التي تؤهله للقضاء ، وفي اللغة بالمنزلة التي نراها بين سطور المعجم الكبير وهو لسان العرب ، انظر الأعلام ٧/ ٣٢٩

٢- لسان العرب ج٢ ص٣٣٤

٣- تاج العروس ج٥ ص٤٠١

(٤) المفردات في غريب القرآن ص : ٢٦٢

وإذا تأملنا هذه التعريفات وجدنا أنه لافروق جذرية بينها بيد أن منها مايزيد ومنها مايقيد .

فالشريف الجرجاني : جعل الشفاعة في الصفح والعفو عن الذنوب فقط .

والعلامة ابن منظور والإمام الزبيدي جعلاها مطلقة في الصفح ، وطلب الزيادة بدون سابق ذنب .

أما الراغب الأصفهاني فزاد شرطا ، وهو أن الشفاعة غالبا تكون من الأدنى إلى الأعلى .

ولعل المختار في تعريف الشفاعة : «أنها التوسط للغير بجلب منفعة أودفع مضرة »[1] ؛ والسبب في اختياره أنه جامع لأنواع الشفاعة سواء رفع الدرجات أو التجاوز عن الذنوب،مانعا من دخول غيرها من المعاني أمثال الدعاء فلاواسطة فيه وبهذا يكون التعريف الاصطلاحي للشفاعة قد كمل وإن كان هناك تعريفات أخرى ، فهي لاتخرج عما ذكرت والله أعلم .

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع فهد السليمان ج٥ ص٦١ ط الثانية ١٤١٤هـ دار الثريا . كذلك انظر شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح الشيخ ابن عثيمين ، خرج أحاديثه سعد الصميل ج٢ص١٦٨ ط الثانية ذوالقعدة ١٤١٥هـ ، دار ابن الجوزي مكتبة شمس . وزاد الشيخ : ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة ؛ لأنك إذا توسطت له صرت معه شفعا تشفعه .

الفرق بين الشفاعة والاستشفاع

وإذا كانت الشفاعة عبارة عن السعي في حق أحد بالخير ، فإنها في الدنيا على صور منها :

١ - ثبوت السرقة - مثلا - على ذمة أحد عند السلطان ، فيشفع له أمير أو وزير أوكبير ، فيعفو عنه ولايحده ، ويبقى سليمًا من العذاب فيظن السلطان أن كظم الغيظ في موضع واحد والعفو عن سارق خير من أن يسخط على أمير كبير ، تخرب المملكة وتفسد السلطنة بسخطه ، ويذهب رونق الدولة باغتصابه .

فمثل هذه الشفاعة يقال لها شفاعة الوجاهة ، ولولا هذه الوجاهة لم تقبل فمثلها من الشفاعة لاتتمشى في جناب الواحد القهار ، ولايقدر أحد أن يشفع مثل هذه الشفاعة عنده سبحانه أبد الآباد .

ولو فرض أن الأولين والآخرين من الجن والإنس أجمعين يصيرون كجبريل ومحمد أو كالشيطان والدجال ، فلايزيد ذلك في سلطنة هذا المالك ، مالك الملك وملك الملوك .

٢ - أن يشفع في ذلك السارق المحبوب لسلطان ومعشوق له ، ويمنعه عن عقابه فيقبل السلطان شفاعته حبا للشفيع ، وكرامة له ، ويعفو عن ذنب السرقة بهذا العجز ، وهذه الشفاعة يقال لها شفاعة المحبة ، يعني أن السلطان قبل هذه الشفاعة بناء على حب الحبيب . وظن أن كظم الغيظ مرة واحدة والعفو عن السارق حفظا لحبه ، خير من هم وغم يلحقه من ذهاب المحبوب من عنده .

فمثل هذه الشفاعة أيضا لاتمكن في حق الله سبحانه وتعالى .

٣- أن السرقة ثبتت على السارق ، لكن ليست السرقة من شنشنته القديمة ، وأنه لم يجعل السرقة حرفة لنفسه ، ولكن وقع هذا الذنب منه بسبب النفس الأمارة بالسوء . فهو عليه نادم ، ويخاف منه ليلا ونهارا ، ويقبل قانون السلطان في حقه بالرأس والعين ، ويرى ذاته ذات خطأ وقصور ، مستحقة للعقاب والجزاء ولايلتجئ ويلوذ بأحد من الأمراء والوزراء ، فرارا من جناب السلطان ، ولايعول على حماية أحد منهم في مقابلته بل يرى وجه الملك ليلته ونهاره ، ماذا يحكم في حقه ، وبماذا يقضي عليه؟فيرحم عليه السلطان ، ويلين له فؤاده ولكن لايتجاوز عنه لقانون سلطنته بلا سبب صحيح ، ووجه سائغ ، لئلا يخف قدر هذا القانون في أعين الناس ويستخفونه .

فيدرك أمير أووزير مرضاته في العفو عن ذلك السارق ، فيشفع له ويسعى فيه ، والسلطان يعفو عن ذنبه زيادة في عزة ذلك الأمير في الظاهر باسم الشفاعة وذاك الأمير لم يشفع فيه ، لكونه من ذوي قرباه أوصديقا ، له حماية عنده ، بل إنما شفع بعدما وجد مرضاة الملك الكبير فيه ، كيف وهو أمير السلطان ، ليس بحام للسارق ؟!فلو شفع فيه حماية ، لصار سارقا بنفسه لاشفيعا في غيره .

وهذه الشفاعة يقال لها «الشفاعة بالإذن » يعني تكون هذه الشفاعة بإذن من مالكها .

فجناب الله سبحانه تكون فيها مثل هذه الشفاعة ، وكل نبي ، وولي ، وصالح جاء ذكر شفاعته في القرآن والحديث ، فالمراد بها هي التي قررناها لاغير[1] .

ولكن ما الفرق بين الشفاعة و«الاستشفاع » ؟ ولمعرفة ذلك لابد من استحضار معنى الشفاعة ومعنى الاستشفاع .

---

(١) انظر الدين الخالص - السيد محمد صديق حسن ص١٦ ومابعدها بتصرف ، دار التراث .

الفرق بين الشفاعة والاستشفاع:

قد سبق بيان معنى الشفاعة أنها تأتي على معنيين الدعاء أوالزوج ، أما بيان معنى الاستشفاع ففي مايأتي :

الألف والسين والتاء في بداية الكلمة تدل على الطلب .

فالاستشفاع هو طلب الشفاعة ، قال الحافظ ابن حجر # : «الاستشفاع طلب الشفاعة ، وهي : انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على مايرومه»[١]

وفي كتاب تصحيح المفاهيم يقول المؤلف : « والاستشفاع هو أن يقال : استشفع أو توسل بفلان ؛ أي اطلب منه الدعاء لتقضي حاجته عند الله من دفع ضر أوجلب نفع ، وهو خلاف الشفاعة أ.هـ)[٢]

ولعله يريد بقوله خلاف الشفاعة التنبيه على مابين الشفاعة والاستشفاع من فرق ، فالشفاعة تدل على حصول المعنى ، والاستشفاع يدل على طلب حصول المعنى .

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) (١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان له كتب منها (تهذيب التهذيب) (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) انظر الأعلام للزركلي (١ / ١٧٣)

١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ابن حجر ج١٣ ص٢٥٦ دار الفكر .

٢- تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة - محمد أمان الجامي ص٦٩ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م مكتبة ابن الجوزاء .

لفظ الشفاعة في القرآن

وردت كلمة شفاعة في القرآن الكريم على معان عدة:

الأول: الشفاعة في الدنيا وهي التي تسمى الاستشفاع أوطلب الشفاعة من أمير أوسلطان . مثالها:

قوله تعالى: ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴾[١]

الثاني: يراد به الشفاعة في الآخرة وهذا المعنى ينقسم إلى:

أ- قسم يراد به الشفاعة المنفية .

ب- قسم يراد به الشفاعة المثبتة وبيان شروطها .

ج- قسم يعرض محاجة الكفار وحسرتهم في الآخرة ونفي شفاعة الشافعين فيهم .

أ: قال تعالى: ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾[٢]

ب: قال تعالى: ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[٣]

وقوله: ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى﴾[٤] .

---

(١) سورة النساء: الآية٨٥

(٢) سورة البقرة / ٢٥٤][البقرة / ٤٨][الأنعام / ٥١][الأنعام/ ٧٠] [السجدة/ ٤][يس / ٢٣] -[الزمر/ ٤٤].

(٣)[البقرة/ ٢٥٥]- [يونس/ ٣] - [طه / ١٠٩] - [سبأ / ٢٣] - [النجم/ ٢٦]

(٤)[الأنبياء/ ٢٨][مريم / ٧٨][الزخرف/ ٨٦]

ج : وقـــوله : ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ﴾[١] ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾[٣]

ثالثا : يراد به المعنى اللغوي والشفع ضد الوتر :

مثاله : قال تعالى : ﴿ والشفع والوتر ﴾[٤]

هذا من حيث المعنى ، أما من حيث الاشتقاق فقد وردت لفظة الشفاعة بأكثر من اشتقاق :

١ -الشفع - ﴿ والشفع والوتر ﴾[٤]

٢ - يشفع - ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ﴾[٥]

﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة ﴾[٦]

٣- يشفعوا - ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ﴾[٧]

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٣

(٢) سورة يونس : الآية ١٨

(٣) سورة الروم : الآية ١٣ ، سورة غافر : الآية ١٨ ،

(٤) سورة الفجر : الآية ٣

(٥) سورة النساء : ٨٥ ، سورة البقرة : الآية٢٥٥

(٦)سورة النساء : ٨٥

(٧) سورة الأعراف : ٥٣

٤ - يشفعون - ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[١]

٥ - شافعين - ﴿فما لنا من شافعين ﴾ [٢]

٦ - شفيع - ﴿ ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون ﴾[٣]

٧- شفعاء - ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعون لنا ﴾[٤]

٨- شفعاؤنا - ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[٥]

٩- شفاعة - ﴿ ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ﴾[٦]

١٠ - الشفاعة -﴿لايملكون الشفاعة إلامن اتخذ عند الرحمن عهدا﴾[٧]

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٢)سورة الشعراء : الآية ١٠٠ ، سورة المدثر : الآية ٤٨

(٣) سورة الأنعام : الآية ٥١ ، سورة الأنعام : الآية ٧٠ ، سورة يونس : الآية ٣ ، سورة السجدة : الآية ٤ ، سورة غافر : الآية ١٨

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٣ ، سورة الروم : الآية ١٣ ، سورة الزمر : الآية ٤٣

(٥) سورة يونس : الآية ١٨

(٦) سورة البقرة : الآية ٤٨ ، ١٢٣ ، ٢٥٤ ، سورة النساء : الآية ٨٥ ، المدثر : ٤٨

(٧) سورة مريم : الآية ٨٧

١١- شفعاؤنا : ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[١]

١٢ - شفاعتهم : ﴿إن يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئا﴾[٢]

ومما تقدم يتضح لنا أن لفظة الشفاعة ذكرت في القرآن معرفة ومنكرة واختلفت معانيها في ذلك[٣] .

---

(١)سورة يونس : الآية ١٨

(٢) سورة يس : الآية ٢٣ ، النجم : ٢٦

(٣)انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - محمد فؤاد عبد الباقي ص : دار الفكر . معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية مجلد ٢ ص٢٣ قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدمغاني ص٢٦٥ دار العلم للملايين ط الثالثة مايو أيار ١٩٨٠م .

لفظ الشفاعة في السنة :

إن المستعرض لأحاديث الشفاعة يجد كتب السنة زاخرة بذكر الأحاديث في موضوعات عدة منها :

١ - أحاديث تذكر الشفاعة في الدنيا :

ومنها حديث أبي هريرة -رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «تعس عبد الدينار ، وعبدالدرهم . . . طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في المقدمة كان في المقدمة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع »[١]

٢ - أحاديث تذكر من هم الشفعاء :

ومنها حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال في الحديث الطويل في الشفاعة «شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين . . . »[٢]

٣- أحاديث تذكر من تحق لهم الشفاعة :

ومنها حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكبائرمن أمتي »[٣]

---

(١) أخرجه البخاري: في الجهاد (٦ / ١٧٥) باب(الحراسة في الغزوة في سبيل الله)جامع الأصول ٩ / ٤٩٤ .

(٢) أخرجه البخاري : في التوحيد (١٥ / ٣٨٢) باب (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) جامع الأصول ١٠ / ٤٤٩ .

(٣) أخرجه الترمذي : رقم ٢٥٦٦ صفة القيامة (باب رقم ١١)وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢ / ٢٩٤ جامع الأصول ٩ / ٢٠٠ .

وحـديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتـاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، فهي نائلة من مات لايشرك بالله شيئا »[١]

٤- أحاديث في أنواع الشفاعة :

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة ، وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ؟ هل تدرون : مما ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد . . . ذكر حديث الشفاعة الطويل . [٢]

٥- أحاديث تذكر أن الشفاعة من مناقب النبي ﷺ :

ومنها حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته ، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[٣]

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر . . . وأعطيت الشفاعة »[٤]

---

(١) أخرجه الترمذي : رقم ٢٥٧١ صفة القيامة (باب ماجاء في الشفاعة) وصححه الألباني ج٢ / ٢٩٥ في صحيح الترمذي . جامع الأصول ١٠ / ٤٧٧

(٢) أخرجه البخاري ٧ / ١٥ في الأنبياء (باب قول الله عزوجل ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾

(٣)أخرجه البخاري ١٢ / ٣٧٣ في الدعوات (باب لكل نبي دعوة) . دار الفكر .

(٤) أخرجه البخاري ١ / ٣٦٩ في التيمم (باب التيمم) .

٦- أحاديث تذكر أسباب الشفاعة :

ومنها عن عبـــدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عـــــباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة »[1]

فهذه جملة أحاديث ذكرت الشفاعة وماهي إلا أمثلة وليس المقام مقام حصر واستقصاء للأدلة .

---

(١) أخرجه مسلم ١ / ٢٨٨

الفصل الأول

الشفاعة عند الشيعة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بهم

المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة

المبحث الثالث: أدلتهم

الفصل الأول

الشفاعة عند الشيعة

وسأذكر إن شاء الله تعالى تحت هذا العنوان تعريف الشيعة وقولهم وأدلتهم .

التمهيد :

يعد المذهب الشيعي من أقدم المذاهب ، إذ نشأ عقب اجتماع السقيفة ، بمجرد أن ذاع خبر البيعة لأبي بكر الصديق ، وهم يؤيدون موقف علي ومن تبعه في الامتناع عن البيعة لأبي بكر وتتفق جميع الآراء على ذلك ، ومنهم علماء الاستشراق . ولكن غير الشيعة ، والمعتزلة ينكرون أن تكون الشيعة نشأت في ذلك الزمن المبكر ، ويؤرخون نشأتهم بعصر جعفر الصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ) (٦٩٩ - ٧٦٥م) وهشام بن الحكم (١٩٠هـ - ٨٠٥ م) والمعروف بقصد التشيع والشيعة معنى الميل إلى إمارة علي بن أبي طالب ، والطموح إلى تقديمه ، وتفضيله على غيره من الصحابة ، والحقيقة أننا سنجد جماعة غير منظمة تجمعها هذه الآراء والأماني السابقة ذكرها قد ظهرت واستمر هواها مع علي وبني هاشم دون أن يتعدى ذلك نطاق الهوى والامنيات ، والمعتدلون من الشيعة قالوا بأفضلية علي عن بقية الخلفاء والمتطرفون قالوا بتقديسه وعصمته ، وكفروا من انفض عنه ، وكان أهم موطن للشيعة العراق ؛ لأنه مزدحم الآراء والمعتقدات ، وهو البلد الذي أقام به علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والتفت حوله القلوب .

- ويقول البعض : إن أصل المذهب الشيعي نزعة فارسية ؛ لأن العرب تدين بالحرية ، أما الفرس فيدينون بالملك الوراثي ، ولايعرفون معنى الانتخاب

للخليفة . وعلى ذلك نظر الشيعة إلى علي وآل بيته نظرة تقديس وطاعة ، وأصبحت طاعة الإمام واجبة في المذهب الشيعي ؛ لأنها طاعة الله في نظرهم .

- ويرى البعض الآخر أن الشيعة أخذت من اليهودية أكثر مما أخذت من الفارسية ؛ لأن عبدالله بن سبأ كان يهوديا ، وتظاهر بالإسلام ، وكان أول من أظهر الدعوة إلى التقديس .

وقد بدأت الصراعات على السلطة بعد مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان ، وكان أولها الصراع بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبين طلحة والزبير ، ثم بين علي بن أبي طالب ، وبين معاوية من جانب والخوارج من جانب آخر ، وظهر أثناء هذا الخلاف أنصار علي بن أبي طالب الذين حاربوا معه ونصروه ضد خصومه ، وأطلق عليهم شيعة علي ، أي أنصاره وأتباعه .

« ولكن لم يكن الشيعة جميعا متفقين في المذهب والعقيدة ، بل تفرقت بهم الأهواء ، فانقسموا إلى فرق عدة ، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلى عاملين قويين ، كان لهما كل الأثر تقريبا في تعدد فرق الشيعة وتفرق مذاهبهم :

أولهما : اختلافهم في المبادىء والتعاليم ، فمنهم من تغالى في تشيعه وتطرف فيه إلى حد جعله يلقي على الأئمة نوعا من التقديس والتعظيم ، ويرمي كل من خالف عليا وحزبه بالكفر . ومنهم من اعتدل في تشيعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطأ من خالفهم ، ولكن ليس بالخطأ الذي يصل بصاحبه إلى درجة الكفر .

وثانيهما : الاختلاف في تعيين الأئمة ؛ وذلك أنهم اتفقوا جميعا على إمامة علي رضي الله عنه ، ثم على إمامة ابنه الحسن من بعده ، ثم على إمامة الحسين من بعد أخيه ، ثم اختلفوا بعد ذلك .

وبلغ عدد الفرق التي انقسم إليها الشيعة حدًا كبيرًا من الكثرة ، منها من تغالى في تشيعه ، وتجاوز بمعتقداته حد العقل والإيمان ، ومنها من اعتدل في تشيعه فلم تبالغ كما بالغ غيرها . ومن أهمها الزيدية ، والإمامية (الاثناعشرية والإسماعيلية) »[1]

وأما عن كتبهم العمدة فهي (الكافي للكليني - من لايحضره الفقيه ابن بابويه القمي - التهذيب - الاستبصار للطوسي)[2]

هذا الوصف ليس هو المراد ولا المتبادر إلى الذهن إذا نحن تحدثنا عن الشيعة اليوم فليس الذي يميز الشيعة عن غيرهم تفضيل علي على أبي بكر وعمر وعثمان ولا الميل إلى نصرته ودوام أمارته للمؤمنين .

لذا فنحن نحاول بمشيئة الله تعالى إلقاء الضوء على التعريف اللغوي والاصطلاحي لنتعرف على من هم الشيعة وبماذا يمتازون .

انظر جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول صلى ا لله عليه وسلم حتى اغتيال السادات - اللواء حسن صادق ص٧١ مع مابعدها بتصرف ط الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م . مكتبة مدبولي .

(١) التفسير والمفسرون - الذهبي ج١ ص٤ ومابعدها دار الباز ط٢ ١٣٩٦هـ ١٩٧٦ م .

دراسات في الفرق ، صابرطعيمة ص٩ ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م مكتبة المعارف الرياض .

(٢) لمزيد من المعرفة راجع تأسيس الشيعة - حسن الصدر ص٢٨٨ مؤسسة النعمان .

المبحث الأول

التعريف بالشيعة

١ - تعريف الشيعة لغة :

يقول ابن دريد# : « فلان من شيعة فلان ؛ أي : ممن يرى رأيه ، وشيعت الرجل على الأمر تشييعًا إذا أعنته عليه ، وشايعت الرجل على الأمر مشايعةً وشياعا إذا مالأته عليه »(١)

وقال الأزهري # : « والشيعة أنصار الرجل وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة . والجماعة شيع وأشياع ، والشيعة : قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويوالونهم .

هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) (٨٣٨ - ٩٣٣ م) ولد في خلافة المعتصم ، وهو من بيت علم ورئاسة ، تأدب ابن دريد بالبصرة وقرأ على علمائها له كتب من أهمها كتاب الجمهرة في اللغة ، وهو صاحب (المقصورة الدريدية) والاشتقاق - المقصور والممدود . انظر الأعلام (٦ / ٣١٠) .

(١) جمهرة اللغة ج٣ - ص٦٣ ط الأولى السنة ١٣٤٥ هـ دار صادر .

هو أبومنصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) (٨٩٥ - ٩٨١ م)

له مؤلفات منها الأدوات - تفسير ألفاظ مختصر المزني ، وكتاب تهذيب اللغة وهو قمة تآليفه ، وقد ألفه بعد بلوغه السبعين . الأعلام (٦ / ٢٠٢)

يقال : شيعت فلانا أي : خرجت معه لأودعه والشيع الفرق الذين يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين »[١]

وقال الجوهري : « تشيع الرجل ؛ أي : ادعى دعوى الشيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع قال ذو الرمة :

استحدث الركب عن أشياعهم خبرا . . . . . .

يعني عن أصحابهم »[٢]

قال ابن منظور : «والشيعة أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شيع ، وأشياع جمع الجمع ، وأصل الشيعة : الفرقة من الناس ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد ، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته ، حتى صار لهم اسما خاصا ، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة والشيعة : قوم يرون رأي غيرهم ، وتشايع القوم صاروا شيعا ، شيع الرجل إذا ادعى دعوى الشيعة ، وشايعه شياعا وشيعة تابعه ، ويقال : فلان يشايعه على ذلك أي يقويه »[٣]

وقال الزبيدي : «كل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شيعة ، وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة ، وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى عليا وأهل بيته . . . وهم أمة لايحصون مبتدعة ، وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون

---

(١) تهذيب اللغة ج٣ ص٦ تحقيق عبدالحليم النجار ، الدار المصرية .

(٢) الصحاح ، الجوهري ج٣ ص١٢٤٠

(٣) لسان العرب مادة شيع

الشيخين ، وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين ، ومنهم من ير تقي إلى الزندقة »[١]

يقول نشوان الحميري * :

«وإنما سميت الشيعة : شيعة لمشايعتهم علي بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام والمشايعة : الموالاة والمناصرة والشيعة : الأولياء والأنصار والأصحاب والأحزاب ، ومنه قول الكميت بن زيد الأسدي :

إذا الخيل وراها العجاج وتحته غبار أثارته السنابك أصهب

فمالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

ويقال شيع الرجل : إذا صحبه ، والمشايعة أيضا المخالطة والمشاركة في الأمر وغيره ، ومنه يقال سهم مشاع ؛ أي غير مقسوم ، وسهم شائع أيضا ، كما يقال سائر .

ويقال : هذا شوع هذا أوشيع هذا للذي ولد بعده ، ولم يولد بينهما ، ويقال : آتيك غدا شيع غد ؛ أي بعد غد .

ويقال إن الشيع : المقدار ، ويقال أقام شهرا أوشيعه ويقال : شيع الراعي بأبله ، وشايع ، إذا صاح بها ، ودعاها إذا استأخر بعضها : والمصدر المشايعة والشياع .

---

(١) تاج العروس ج٥ ص٤٠٥

* نشوان بن سعيد الحميري أبو سعيد من نسل حسان ذي مرائد علامة باللغة والأدب من أهل بلد حرث شمال صنعاء من مؤلفاته (القصيدة الحميرية) (الحور العين) انظر الأعلام ٨ / ٣٣٥

والشياع صوت مزمار الراعي ، قال قيس بن أبي ذريح الكناني :

إذا ماتذكرين يحن قلبي حنين النيب تطرب للشياع

ويقال شيعه : إذا أحرقه ، ويقال : شيعت النار بالحطب تشييعا إذا أذكيتها به والمشيع : الشجاع أ . هـ »[1]

نلحظ مما سبق أن علامة اليمن الشيعي يذكر معان للشيعة لم تذكر في كتب اللغة ، ولاندري مامدى صحة هذه المعان ولعل لها أصلا في كتبهم ومعتقداتهم .

أما إذا نظرنا نظرة فاحصة للتعريف اللغوي في هذه الكتب فنجد أنه لايخرج عن معان هي : المماألأة ، والمتابعة ، والمطاوعة ، و المناصرة والموافقة بالرأي ، والاجتماع على الأمر أو الأصحاب أو الأحزاب ، إلا أن الغالب على هذا الإطلاق (الشيعة) أنه يراد به كل من والى عليا وأهل بيته ولكن هذه الغلبة فيها نظر .

ذلك أن الباحث إذا تأمل المعنى اللغوي وقاسه على الواقع يجد أن فرق الشيعة لاتمثل هذا الإطلاق ، بل إنها تضاده ، فالشيعة في المعنى الحالي تمثل المخالفة والمجافاة لأهل البيت وهي غير تابعة لهم ولاموالية ولامناصرة ، ولعل هذا المعنى قد أيده شريك بن عبدالله حينما سأله سائل : « أيهما أفضل أبوبكر أوعلي ؟ فقال له : أبوبكر ، فقال السائل : تقول هذا وأنت شيعي ! فقال له : نعم ومن لم يقل هذا فليس شيعيا ، والله لقد رقي هذه الأعواد علي ، فقال ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ، فكيف نرد قوله ، وكيف نكذبه ؟ والله ماكان كذابا » .

---

(١) انظر الحور العين من ص(١٧٨ - ١٨٠) حققه كمال مصطفى مكتبة الخانجي ، مصر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية # :

قد روي عن علي من نحو ثمانين وجها أنه قال : على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وعمر »[١]

وكذلك ورد مثلها من كتب الشيعة « روى السيد المرتضى علم الهدى في كتابه تلخيص الشافي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلا من قريش جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : سمعتك تقول في الخطبة آنفا : اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين ؟ فمن هما ؟ قال : حبيباي ، وعماك أبوبكر وعمر ، إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش ، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اقتدى بهما عصم ، ومن اتبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم . وكرر في نفس الكتاب أن عليا عليه السلام قال في خطبته خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وعمر »[٢]

ثم إن تولي عليا وأهل بيت أمر لايخص الشيعة وحدهم ولايتميزون به ، بل يدخل معهم في هذا التعريف غيرهم أمثال أهل السنة فهم يتولون عليا وأهل بيته وبهذا يكون التعريف اللغوي ليس جامعا لصفات الشيعة كما أنه ليس مانعا لدخول غيرهم ، لذا لابد من تعريف اصطلاحي تتميز به هذه الطائفة .

أحمد بن عبدالحليم بن تيمية(٦٦١ - ٧٢٨) هـ شيخ الإسلام ، العالم بالقرآن والفقه وسائر العلوم ، ناظر أهل البدع له نحو أربعة آلاف كراسة أوأكثر ، منها الصارم المسلول ، ومنهاج السنة ، انظر الأعلام(٢ / ١٤٠)

(١) رواه البخاري : ك فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بـ(٥) رقم ٣٦٧١ ، وأحمد : ١ / ١٠٦ المكتب الإسلامي

(٢) انظر منهاج السنة ج٤ ص١٣٧ ط الأولى - الطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٢ هـ . وكذلك انظر تلخيص الشافي ج٢ ص٤٢٨ نقلا عن إحسان إلهي ظهير في الشيعة وأهل البيت ص٥٢ ط السابعة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م إدارة ترجمان السنة .

تعريف الشيعة اصطلاحا :-

أ- يعرف شيخ الشيعة القمي سعيد بن عبدالله # (المتوفى سنة ٣٠١ هـ) الشيعة بقوله : هم شيعة علي بن أبي طالب وفي موضع آخر يقول : « الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ - وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته »[١]

ويوافق على هذا التعريف شيخهم (النوبختي)# حتى في الآلفاظ نفسها .[٢]

ب- تعريف شيخهم الطوسي # ونجده يربط وصف التشيع بأمور تعد من أصول اعتقاد الشيعة فيقول :«يرتبط وصف التشيع بالاعتقاد، وبكون علي إماما للمسلمين بنص من الرسول ﷺ . وبإرادة من الله »[٣]

سعيد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمي من كبار محدثي الشيعة شيخ الطائفة وفقيهها توفي سنة ٣٠١ هـ صاحب المقالات والفرق انظر رجال النجاشي طبع بومباي سنة ١٣١٧ هـ .

١- المقالات والفرق . ص١٥ قدم له محمد جواد مشكور ١٩٦٣ م مطبعة حيدر .

الحسن بن موسى بن الحسن النوبختي (. . . ت ٣١٠هـ) أبومحمد فلكي عارف بالفلسفة ، كانت تدعيه المعتزلة والشيعة ،له مؤلفات منها (الفرق والمقالات) (فرق الشيعة) . الأعلام (٢ / ٢٣٩)

(٢) فرق الشيعة ص١٧ ، الحسن بن موسى النوبختي - دار الأضواء ط الثانية . ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

محمد بن الحسن بن علي الطوسي مفسر نعته السبكي بفقيه الشيعة أحرقت كتبه عدة مرات ولد (٣٨٥ توفي ٤٦٠ هـ) (٩٩٥ - ١٠٦٧ م) له مؤلفات منها (المجالس) (تلخيص الشافي) (فهرست كتب الشيعة) انظر رجال الشيعة في الميزان ص١٦٨

(٣) انظر تلخيص الشافي ح٢ ص٥٦ ط الثالثة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م دار الكتب الإسلامية قدم له حسين بحر العلوم .

إذا تأملنا تعريف الشيعة للتشيع نجد أنهم على طرفي نقيض ، فطائفة تجعل أصل التشيع هو القول بإمامة علي وموالاته ، في حين أن الشق الآخر يجعل أصول التشيع من ا لنص أو الوصية والرجعة والتقية أصلا في التعريف .

فالطوسي هنا يجعل الاعتقاد بالنص هو أساس التشيع ، ولهذا يخرج الطوسي السليمانية الزيدية من فرق الشيعة ؛ لأنهم لايقولون بالنص بل يقولون : « إن الإمامة شورى ، وإنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وإنها قد تصلح في المفضول . . . . ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر »[١] ولم يخرجوهم من دائرة التشيع فحسب بل اعتبروهم «نواصب» [٢]

أما القمي والنوبختي فهما يغفلان أصول التشيع التي أحدثها الشيعة فيما بعد وهو من التعاريف السليمة لشيعة علي رضي ا لله عنه أوللشيعة الحقيقيين ، وهو يخرج مدعي التشيع من حظيرة الشيعة ؛ لأنهم أحدثوا أصولاً لم يقلها أئمة أهل البيت ، لكنه حسب مقاييس الاثني عشرية لايعتبر تعريفا للشيعة مع أن القمي والنوبختي من الشيعة الاثني عشرية .

ويذهب بعض شيوخهم المعاصرين إلى ماذهب إليه الطوسي ، فيقصر وصف التشيع على من يؤمن بالنص على خلافة علي فيقول بأن لفظ الشيعة : «علمًا على من يؤمن بالنص علي
خلافة علي بأن عليا هو الخليفة بنص النبي »[٣]

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - أبي الحسن الأشعري ج١ ص١٤٣ تحقيق محيي الدين عبدالحميد ط الثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م مكتبة النهضة المصرية .

(٢) انظر الطوسي التهذيب ج١ ص٣٦٤ نقلا عن أصول مذهب الشيعة ص٤٥ للقفاري

(٣) الشيعة في الميزان - محمد جواد مغنية ص١٥ بيروت دار التعارف .

ومما يؤيد أن مسألة النص محل إجماع قديما وحديثا ماذكره شيخهم الكليني * حين عقد في كتابه الكافي ثلاثة عشر بابا في مسألة النص على الأئمة يضمنها مائة وتسعة أحاديث [١]

فلا غرابة في أن يربط الشيعة وصف التشيع بقضية النص ، ولكن الغرابة في أن القارئ لكلام الشيعة عن عقائدهم ، كالعصمة ، والتقية ، والرجعة ، وغيرها يرى أنهم يغالون في كل عقيدة من عقائدهم بحيث يربطون وصف التشيع بالإيمان بتلك العقيدة - مثل قولهم : (من لم يؤمن بكرتنا ، ويقل بمتعتنا فليس منا) وغيرها كثير ، ومع ذلك فلا أرى لهذه العقائد ذكرا في التعريفات ، مع أنهم يعتبرونها لبا وجوهرا للتشيع [٢]

فإذا كان الشيعة أنفسهم لم يتفقوا على تعريف لهم يجمع أصولهم فلا بد إذا من النظر في المصادر الأخرى للتعرف على تعريف الشيعة ، فالناظر لكتب الفرق يجد أن كل من ألف في الفرق قد ذكر تعريفا للشيعة .

---

* محمد بن يعقوب بن إسحاق أبوجعفر الكليني فقيه إمامي كان شيخ الشيعة ببغداد من كتبه الكافي في علوم الدين ، وله رسائل الأئمة توفي (٣٢٩ هـ - ١٩٤١ م) انظر رجال الشيعة - عبدالرحمن الزرعي ص١٦٧ ط الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م دار الأرقم الكويت .

(١) انظر الأصول من الكافي : ج١ ص٢٨٦ - ٣٢٨ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري دار الأضواء .

(٢) للاستزادة انظر أضواء على الشيعة الهادي حمو ص١٣ دار التركي للنشر .

مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د. ناصر القفاري ج١ ص١٢٠ ط الرابعة ١٤١٦ هـ دار طيبة للنشر والتوزيع .

١- تعريف الأشعري #للشيعة :

قال الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين » :

«إنما قيل لهم الشيعة ؛ لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه ، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ»[١]

٢- تعريف الشهرستاني # في «الملل والنحل » :

« الشيعة هم الذين شايعوا عليا - رضي الله عنه - على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا ، وإما خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أوبتقية من عنده .

وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين لايجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ولاتفويضه إلى العامة وإرساله .

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر . والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا واعتقادا إلا في حال التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك » [٢]

ستأتي ترجمته عند الحديث عن الأشاعرة ص: ١٩٠

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - لأبي الحسن الأشعري ج١ص٦٥

محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) (١٠٨٦ - ١١٥٣ م) أبوالفتح من فلاسفة الإسلام كان إماما في علم الكلام والأديان والأمم ومذاهب الفلاسفة يلقب بالأفضل ، من كتبه (الملل والنحل) ، (نهاية الإقدام في علم الكلام) انظر الأعلام ٧ / ٨٣

(٢) الملل والنحل : ج١ ص١٤٦ تحقيق محمد سيد كيلاني ط الثانية دار المعرفة كذلك انظر نظرية الإمامة . أحمد محمود صبحي ص٦٧ دار النهضة العربية .

٣- التعريف الذي اختاره الروافض ليكون معرفا لهم هو تعريف الإمام ابن حزم * في الفصل ؛ فإنه من أدق التعاريف للشيعة كما صرح بذلك بعضهم فهو يقول :

« ومن وافق الشيعة في أن عليًا - رضي الله عنه - أفضل الناس بعد رسول الله - ﷺ - وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيًا »[١]

ويختار هذا التعريف أحد الرافضة ، ويعلل الرافضي اختياره لتعريف ابن حزم على غيره بقوله : «ومما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن حزم هو أن الاعتراف بأفضلية الإمام علي - رضي الله عنه - على الناس بعد رسول الله ، وأنه الإمام والخليفة بعده ، وأن الإمامة في ذريته هو أس التشيع وجوهره »[٢]

التعريف المختار :

مما تقدم نلحظ أن تباين تعريف الشيعة له ارتباط وثيق بأطوار نشأة الشيعة ومراحل التطور العقدي * فكل إمام يعرف الشيعة بحسب الزمن الذي عاش فيه

---

* علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) (٩٩٤ - ١٠٦٤ م) الظاهري أبومحمد عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، كانت له ولاية ورياسة الوزارات ، فانصرف إلى العلم والتأليف من أشهر مؤلفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل)(المحلى) انظر الأعلام ٥ / ٥٩

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل . ج٢ ص١٠٧ تحقيق محمد نصر - عبدالرحمن عميرة ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م دار الجيل .

(٢) تاريخ الإمامية عبدالله فياض ، ص٣٣ نقلا عن أصول الشيعة ج٢ص٥٠ د. القفاري .

* انظر الشيعة والتصحيح ، موسى الموسوي من ص(٨ - ٥٠) ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م ٠

والشيعة والتشيع - إحسان إلهي ظهير ص١٣ ومابعدها ط الأولى ١٤٠٤هـ إدارة ترجمان السنة .

يقول نشوان الحميري[1]:

وكانت الشيعة الذين شايعوا عليا عليه السلام على قتال طلحة والزبير وعائشة ومعاوية والخوارج في حياة علي عليه السلام ثلاث فرق .

١- فرقة منهم ، وهم الجمهور الأعظم الكثير ، يرون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان إلى أن غيرت السيرة وأحدثت الأحداث .

٢- وفرقة منهم ، أقل من أولئك عددًا : يرون الإمام بعد رسول الله ﷺ : أبابكر ، ثم عمر ، ثم عليا ، ولايرون لعثمان إمامة ، قال أيمن بن خزيمة الأسدي :

له في رقاب الناس عهد وبيعةٌ كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر

٣- وفرقة منهم يسيرة العدد جدا ، يرون عليًا أولى بالإمامة بعد رسول الله ﷺ ، ويرون إمامة أبي بكر وعمر وكان الناس على وجه الرأي والمشورة ، ويصوبونهم في رأيهم ولايخطئونهم ، إلا أنهم يقولون : إن إمامة علي كانت على وجه أصوب وأصلح ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله إن :

« الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبابكر وعمر » ثم قال «وكل شيعة علي الذين صحبوه لايعرف عن أحد منهم أنه قدمه على أبي بكر وعمر لافي فقه ولاعلم ولادين ، بل كل الشيعة الذين قاتلوا معه كانوا مع سائر المسلمين متفقين على تقديم أبي بكر وعمر . ومما يبين هذا أن علماء الكوفة الذين صحبوا عمروعليا كعلقمة والأسود وشريح وغيرهم كانوا يرجحون قول

---

(١) الحور العين ص١٨٠

عمر على قول علي ، أما تابعو المدينة فهذا عندهم أشهر وأظهر »[١]

وروى ابن بطة * عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق : حدثنا محمد بن حميد . . . قدم أبوإسحاق السبيعي الكوفة ، قال لنا شم بن عطية : قوموا إليه ، فجلسنا إليه ، فتحدثوا فقال أبوإسحاق : خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما ، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ، ولاوالله ما أدري مايقولون »[٢]

ولوعرفنا الزمن الذي خرج فيه أبوإسحاق والزمن الذي عاد فيه لتبين لنا متى حصل الانحراف في معتقد هذه الفرقة لذا نرى أن تعريف الشيعة يختلف في تلك الفترتين ، فالشيعي الغالي في زمن السلف هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وعائشة ممن حارب عليا رضي الله عنهم ، وتعرض لسبهم .

والغالي من الشيعة في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا مفتر ضال[٣]

---

*ابن بطة : الإمام القدوة ، العابد الفقيه المحدث شيخ العراق أبوعبدالله عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة مصنف كتاب (الإبانة الكبرى) ولد سنة ١٣٤هـ وتوفي سنة ٣٨٧هـ وكان مستجاب الدعوة، انظر سير أعلام النبلاء ١٦ / ٥٢٩

(١) منهاج السنة النبوية - ابن تيمية ج٤ ص١٣٧ - تحقيق محمد رشاد سالم ط الأولى ١٩٨٦م إدارة الثقافة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام الرفض والاعتزال . اختصره الذهبي -ص٣٦٠ حققه محب الدين الخطيب ، دار المطبعة السلفية .

(٣) انظرالحور العين ص١٨٠ ومابعدها - دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية - عرفان عبدالحميد ص ٢١ ط الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م مؤسسة الرسالة .

ومما تقدم يتضح لنا أن التعريف الأخير أولى ؛ لأنه لاحظ الأطوار التي مرت بها معتقدات الشيعة ، واختلفت عن بعضها مما جعلنا ندرك حالهم اليوم بعد أن تمت الأطوار التاريخية واختفت الأسباب التي أدت إلى الخلاف #

ولمزيد من المعرفة عن رجال الشيعة وكتبهم انظر تأسيس الشيعة - السيد حسن الصدر ص٢٨٦ ومابعدها . مؤسسة النعمان .

المبحث الثاني

قولهم في الشفاعة

قبل الحديث عن الشفاعة نود أن نحرر محل النزاع والاتفاق بين الطوائف ، فمنها من أثبت ومنها من أنكر كلاً حسب أصوله .

قال شارح الطحاوية - وهو يقسم الناس في الشفاعة إلى ثلاثة أقسام - :

« إن الناس في الشفاعة على ثلاث أقوال : فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم : يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا .

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر .

وأما أهل السنة والجماعة ، فيقرون بشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره ، لكن لايشفع أحد حتى يأذن الله له ويُحد له حداً » [1]

قا ل أبو محمد مؤكداً هذه القاعدة الجليلة :

« اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم ، وهم المعتزلة والخوارج ، وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها ، وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة»[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - أبي العز الحنفي - ص٢٣٥ تحقيق الألباني ط الثامنة المكتب ا لإسلامي

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل - ابن حزم - ج٤ ص١١١

« وأما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدين باتفاق المسلمين وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ، ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين ، وقد قيل : إن بعض أهل البدع ينكرها .

وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم »[١]

(١) مجمرع الفتاوى ج١ ص١٤٨ جمع عبدالرحمن بن قاسم دار إحياء الكتب .

المطلب الأول

منزلة الأئمة

إن المتأمل لعقائد الشيعة في توحيد الله تعالى والإيمان به وإفراده بالعبادة يجد العجب العجاب مما يقرأ في كتبهم أو من ينقل عن كتبهم .

فإذا تصفحت توحيدهم تجده مشوبًا بالشرك ، حيث إن التوحيد عندهم يراد به الإيمان بالأئمة لدرجة أنهم قد أولوا النصوص لغرضهم الفاسد .

ومن أمثلة ذلك تأويلهم لآيات القرآن :

١ - قوله تعالى : ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ﴾[١]

يروي الكليني في الكافي عن أبي جعفر في قوله عزوجل : ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ﴾ بأن لعلي ولاية ﴿وإن يشرك به﴾ من ليس له ولاية تؤمنوا ﴿فالحكم لله العلي الكبير﴾[٢]

وهذه التأويلات أشبه بتأويلات الباطنية ، فلا دليل عليها من عقل ولالغة ولانص صحيح ، أما إذا رجعنا إلى كتب التفسير عند أهل السنة فنجد أن هذه الآية تبين ماعليه أهل الشرك من إعراض عن عبودية الله وحده .

---

(١) غافر / ٦٢

(٢) الأصول في الكافي ج١ ص٤٢١ انظر بحار الأنوار محمد بن باقر المجلس ج٢٣ ص٣٦٤ مؤسسة الوفاء.

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري عند هذه الآية : « هذا الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر من ذكره عليه وهو فأجيبوا أن لاسبيل إلى ذلك عندما قالوا : ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم فأنكرتم أن تكون الألوهية له خالصة وقلتم : أجعل الآلهة إلها واحدا .

قال ابن كثير : هكذا أنتم تكونون ، وإن رددتم إلى الدنيا يعني تشركون ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه وإنهم لكاذبون﴾(١) ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾(٢) وإن يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له فالحكم لله العلي الكبير .(٣)

٢- قوله تعالى : ﴿أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾(٤)

قال أبوعبدالله - كما يفترون - « أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد »(٥)

إن هذه الروايات وأمثالها هي التربة الصالحة لنشوء الاتجاهات الغالية التي تؤله عليا ، والتي لاتزال تظهر في هذه الطائفة بين آونة وأخرى ، وإلا فالآية لاصلة

---

(١) الأنعام / ٢٨ (٢) غافر / ١٢

(٣) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ج٢٤ مجلد ١١ ص ٤٨ دار الحديث ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج٧ص١٢٣ دار الشعب - فتح القدير الشوكاني ج٤ص٤٨٤ دار الفكر أضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٧٣ ، عالم الكتب .

(٤) النمل / ٦١

(٥) بحار الأنوار ج٢٣ ص٣٩١

لها بإمامهم ، بل هي لتقرير وحدانية الله ، فالله جل شأنه قال : ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آءلله خير أم ما يشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون . . . ﴾[١]

«يقول الله في آخر كل آية (أءله مع الله) أي : أإله مع الله فعل هذا ، وهذا استفهام إنكاري يتضمن نفي ذلك وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك وأن ذلك يستلزم ألا يعبد إلا الله وحده ، وليس المعنى أنه استفهام جعل مع الله إله كما ظنه بعضهم ؛ لأن هذا المعنى لايناسب سياق الكلام عليه ، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى »[٢]

قال تعالى : ﴿قل أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لاأشهد ﴾[٣] وإذا كان الله جل شأنه يقول : ﴿وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون ﴾[٤] فإن تلك الزمرة التي وضعت روايات الشيعة قالت وكأنها تضاهي معنى الآية أو تعارضه قالت : «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيًا قط إلا بها »[٥] انظر كيف جعلوا أمر إمامة أئمة لم يخلقوا هو أصل دعوة الأنبياء !! .

---

(١) النمل (٥٩ - ٦٠)

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٨٥ ، تحقيق جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني .

(٣) الأنعام / ١٩

(٤) الأنبياء / ٢٥

(٥) أصول الكافي ج١ ص٤٣٧ رقم ٣

وهكذا لاتكاد تخلوآية من آيات القرآن في موضوع التوحيد والنهي عن الشرك إلا راموا تحريفها وتعطيلها وتحويل معناها إلى ولاية علي والأئمة ولوكانت صريحة واضحة بينة .

وهذه التأويلات هي مفتاح كل فتنة وباب لكل شر ،كيف لا ، وهي تطمس معالم الدين ، وتضييع دين المسلمين وما من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه دان الناس لرب العالمين وكانوا في المآل قسمين فريق في الجنة وفريق في السعير .

أماالنقول التي ساقوها عن أئمتهم لتوافق مذهبهم ، فهي كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال : مانسبوه إلى علي - رضي الله عنه - أنه قال : «سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لاتسألوني عن علم مالاتعلمون إلا أخبرتكم به ، علمنيه الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين »[1] قال أبوعبدالله : « لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الأئمة ، قال عزوجل : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾[2] وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام . عن أبي عبدالله قال سمعته يقول : «إن الله عزوجل أدب رسوله حتى قومه على ماأراد ، ثم فوض إليه فقال عزذكره : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾[3]، فما فرض الله إلى رسوله ﷺ فقد فوضه إلينا » [4]

---

(١) التأويل الإسماعيلي الباطني ومدى تحريفه للعقائد الإسلامية . عبدالعزيز سيف النصر ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مطبعة الجبلاوي .

(٢) النساء/ ١٦٠ (٣) الحشر/ ٧

(٤) أصول الكافي ج١ ص٢٦٨ رقم ٨ ، ٩

وروي عنه أيضًا قال : « الدنيا ومافيها لله تبارك وتعالى ولرسوله ولنا ، فمن غلب على شيء منها فليتق الله ، وليؤد حق الله تبارك وتعالى ، وليبر إخوانه ، فإن لم يفعل ذلك ، فالله ورسوله ونحن برآء منه »[١]

أقول لا أدري مانوع هذه الواوعندهم أهي للمعية أم للترتيب ؟ كيف يسمحون لأنفسهم بهذا والرسول ﷺ نهى الرجل أن يقول لولا الله وفلان - وماشاء الله وشئت ، بل إنه ﷺ قال له بصريح العبارة : « أجعلتني لله ندا ، ماشاء الله وحده »[٢]وهؤلاء جعلوا أنفسهم شركاء لله في ملكه ونص القرآن في أكثر من موضع على أن الملك لله ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾[٣] ثم ماوجه الملك للدنيا عندهم أهو للخلق أم الحكم كلا الأمرين ساقط فأعز الخلق قال الله سبحانه له ﴿ليس لك من الأمر شيء ﴾[٤] وقال ﴿قل لاأملك لنفسي نفعًا ولاضرًا ﴾[٥] وقال سبحانه مبطلاً هذه القضية ﴿إن الحكم إلا لله ﴾[٦] حتى لايكون هناك مجالاً لدخول أي أحد ويستمرالشيعة في رفع أئمتهم إلى منزلة التشريع في إطار من التواضع المصطنع فيقول أبوعبدالله - كما يفترون عليه- : «إنما الوقوف علينا في الحلال والحرام أما النبوة فلا »[٧]

سبحانك هذا بهتان عظيم جعلوا أمر التشريع إليهم وتواضعوا عن جعل النبوة لهم ، وكأن النبوة أعظم من التشريع .

---

(١) المرجع السابق ج١ ص٤٠٨ رقم ٢

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٥٣٤

(٣)المائدة / ١٧ / ١٨ / ١٢٠النور / ٤٢ الشورى/ ٤٩ الجاثية / ٢٧ الفتح / ١٤

(٤) آل عمران / ١٢٨ (٥) الأعراف / ١٨٨

(٦) يوسف / ٤٠ - ٦٧ (٧) أصول الكافي ج١ ص٢٦٨ رقم (٢)

ولنستمع إلى ماقاله رسول الله ﷺفي أمر التشريع فقال عند قوله تعالى :

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾[١] هم العلماء والعباد وذلك أن عدي بن حاتم لما جاء مسلمًا دخل على رسول الله ﷺ ، وهو يقرأ هذه الآية قال : فقلت إنهم لم يعبدوهم ، فقال : «إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذاك عبادتهم إياهم »[٢]

وعن أبي جعفر قال : « إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق » [٣]

وعن أبي عبدالله قال : قال تعالى : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾[٤] قال : ففرج أبوعبدالله بين أصابعه فوضعها على صدره ثم قال : وعندنا والله علم الكتاب كله .

فهؤلاء ليسو بأحسن حالاً من القائل في حق النبي صلى الله عليه وسلم .

فإن من جودك الدنيا وضر تها ومن علومك علم اللوح والقلم [٥]

ومع هذا فقد أنكر أهل السنة عليه ، مع أنه قاله في حق سيد ولد آدم، فكيف

---

(١) التوبة / ٣١

(٢) رواه أحمد والترمذي وحسنه ولمزيد من المعرفة عن شرح الآية انظر مجموع الفتاوى ج٧ص٧٠

(٣) أصول الكافي ج١ ص٤٣٨رقم (٢)

(٤) النمل / ٤٠

(٥) انظر تيسير العزيز الحميد ص٥٣٨

بمن هم دونه .[١]

يقول د. ناصر القفاري :[٢]

«وقبل أن نرفع القلم في هذه المسألة أشيرإلى رواية من كتبهم تنقض تأويلاتهم ، وتبين أصلهم ومنبتها ، فقد جاء في تفسيرهم (البرهان) :

عن حبيب بن معلى الخثعمي قال : ذكرت لأبي عبدالله مايقول أبوالخطاب فقال : أجل إليَّ مايقول قال : في قوله عزوجل ﴿وإذا ذكرالله وحده ﴾[٣] أنه أميرالمؤمنين ﴿وإذا ذكر الذين من دونه ﴾[٤]فلان وفلان .

قال أبوعبدالله : من قال هذا فهو مشرك بالله عزوجل ثلاثًا أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا ، بل عنى الله بذلك نفسه قال : فالآية الأخرى التي في (حم) قول الله عزوجل ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ﴾[٥] ثم قلت : زعم أنه يعني بذلك أميرالمؤمنين صلى الله عليه وسلم . قال أبوعبدالله : من قال هذا

---

(١) لمزيد من التعريف على كذب الشيعة في إثبات منزلة الأئمة انظر الشيعة في الميزان - محمد يوسف النجرامي ص١١٦ دار المدني

- كذلك الشيعة في التصور الإسلامي -علي عمر فريح ص٤١ ط الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م دار عمار . .

(٢) أصول مذهب الشيعة ج٢ ص٤٣٣ - ٤٣٤ وكذلك انظر عقيدة الشيعة دوايت م . رونلدس ص٥٨ تعريب ع . م ط الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م مؤسسة المفيد .

(٣)(٤) الزمر / ٤٥

(٥) غافر / ١٢

فهو مشرك بالله ثلاثا ، أنا إلى الله منهم بريء ثلاثا ، بل عنى الله بذلك نفسه» وليت الأمر وقف عند تحريف آيات القرآن الكريم ووضع الأحاديث المفتراة بل راحو يترنمون بكفرهم ، ويكتبون الأشعار في ذلك .

يقول أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن الحجب الشاعر الشيعي ، وهو يضفي صفات الألوهية والربوبية على الإمام علي رضي الله عنه فيقول :

ياصاحب القبة البيضاء على النجف ... من زار قبرك واستشفى لديك شفي
زوروا أبا الحسن الهادي فإنكم ... تحظون بالأجر والإقبال والزلف
زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفًا لديه كفي
وإذا وصلت فأحرم قبل تدخله ... ملبيًا واسع سبعًا حوله وطف
وقل سلام من الله السلام على ... أهل السلام والعلم والشرف
إني أتيتك يامولاي من بلدي ... مستمسكًا بحبال الحق بالطرف
راج يامولاي بأنك تشفع لي ... وتسقني من رحيق شافي اللهف
لأنك العروة الوثقى فمن علقت ... بها يداه فلن يشقى ولم يخف
وإن أسماءك الحسنى إذا تليت ... على مريض شفي من سقمه الدلف(١)

(١) انظر دارالسلام ومايتعلق بالرؤيا والمنام - لميرزا حسين النوري الطبرسي ج١ ص٣٢١ نقلا عن الشيعة وتحريف القرآن محمد مال الله ص١٩ ط٣ رمضان ١٤٠٩هـ مكتبة ابن تيمية .

المطلب الثاني :قولهم في الشفاعة

يعتقد الشيعة الإمامية كغيرهم من الفرق الإسلامية بأنه بعد أن يقضي الله سبحانه على الخلق وعلى كل كائن حي بالموت والفناء ، يحييهم ليوم الحساب ، فيقوم الناس وغيرالناس من موتهم ورقدتهم وفنائهم أحياء بإذنه وإرادته سبحانه وتعالى لينتصف للمظلوم من الظالم ، وليأخذ صاحب الحق حقه .

كما يعتبرون أن شفاعة محمد ﷺ من الاعتقادات اللازمة فيقولون : « ويجب الاعتقاد بأنه ؛ (أي محمداً ﷺ) يشفع يوم القيامة في الموقف حتى وفي النار ، فيشفع لهم في الحساب وله حق الشفاعة وحده »

كما أنهم يرون أن الشفاعة من الأعمال التي قد يؤذن لباقي الأنبياء والشهداء وبعض المسلمين بها أ. هـ[1]

ويعتقد الشيعة أيضًا أن الشفاعة جائزة وواقعة يوم القيامة ، وأن أهل البيت يشفعون للعصاة من شيعتهم ، بل يثبتون شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر والملائكة أيضا على ماسيأتي تفصيله .

ويؤكد هذا ماذكر في كتاب - الصافي في تفسير القرآن الكريم - عند قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة

---

(١) انظر عقيدة الشيعة ، دوايت م . رونلدس ص٣٢٤ تعريب ع.م

كذلك دراسات في عقائد الشيعة الإمامية - السيد محمد علي الحسني ص١٦٣ مؤسسة النعمان - مكدونلد Muslimtheolgy ص٣٤٩ عن الفضلي النص العربي ط القاهرة سنة ١٣١٥ هـ نقلا عن عقيدة الشيعة ص٣٣٣

ولايؤخذ منها عدل ﴾[١] قال : عن الصادق أنه قال : «هذا يوم الموت ، فإن الشفاعة والفداء لايغني عنه ، فأما يوم القيامة فإنا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء ، ليكونن على الأعراف بين الجنة والنار ، محمد ،وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والطيبون من آلهم . فترى بعض شيعتنا ، كسلمان والمقداد وأبي ذر ، وعمار ، ونظرائهم في العصر الذي يليهم .

وسيؤتى بالواحد من مقصري الشيعة في أعماله بعد أن حاز الولاية والتقية وحقوق إخوانه يوقف بإزائه مائة أوأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب* فيقال له : هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار »[٢]

ويذكر الشيعة في كتبهم أحاديث تؤيد هذا المعنى ، بل إنهم يسوقون حديثا يشابه مالدى أهل السنة في حديث الشفاعة الطويل ، فيذكر الطوسي في أماليه : وعنه عن شيخه عن والده (رض) قال : أخبرني أبوعبدالله محمد بن محمد قال : سمعت أبا محمد الواثبي رواه عن أبي الورد قال : سمعت أباجعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأولين والآخرين عراة حفاة ، فيوقفون على طريق المحشر حتى يعرقوا عرقا شديدا وتشتد أنفاسهم ، فيمكثون بذلك ماشاء

---

(١) البقرة / ٤٨

* جمع ناصب والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الأول على الثاني يعني أبابكر وعمر على علي - الوشيعة ص٢٤

(٢) الصافي . ملا محسن الكاشي نقلا عن التفسير والمفسرون ، محمد بن حسين الذهبي ج٢ ص١٨٣ ط الثانية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م دار الكتب الحديثة .

الله ، وذلك قوله : ﴿ فلاتسمع إلا همسا ﴾[١] ثم قال : ينادٍ مناد من تلقاء العرش أين النبي الأمي ، قال : فيقول الناس قد أسمعت كل قسم باسمه . فقال : فينادي : أين نبي الرحمة محمد بن عبدالله ؟ قال : فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتقدم أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله مابين أيلة وصنعاء ، فيقف عليه ، ثم ينادي بصاحبكم ، فيقوم أمام الناس فيقف معه ، ثم يؤذن للناس فيمرون . قال أبوجعفر (ع) :

فبين وارد يومئذ وبين مصروف ، وإذا رأى رسول الله ﷺ من يصرف عنه من محبينا أهل البيت بكى ، وقال : يارب شيعة علي ، يارب شيعة علي ، قال : فيبعث الله عليه ملكا فيقول له مايبكيك يامحمد ؟ قال : فيقول وكيف لا أبكي لأناس من شيعة أخي علي بن أبي طالب أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا من ورود حوضي ، قال : فيقول الله عزوجل يامحمد قد وهبتهم لك وصفحت لك عن ذنوبهم ، وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون من ذريتك ، وجعلتهم في زمرتك ، وأوردتهم حوضك ، وقبلت شفاعتك فيهم وأكرمتك بذلك . ثم قال أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام ، فكم من باك يومئذ وباكية ينادون : يامحمداه إذا رأوا ذلك . قال : فلايبقى أحد يومئذ كان يتولانا ، ويحبنا إلا كان في حزبنا ، ومعنا ، وورد حوضنا »[٢]

وإذا قرأت كتب الشيعة تجد أن الشيعة من المثبتين للشفاعة لاريب إلا أن إثباتهم خاص بهم ، كما هي عادتهم في جميع أمورهم ، ونحن بمشيئة الله سنتعرف على قولهم من خلال النقاط التالية :

---

(١) طه / ١٠٨

(٢) أمالي الطوسي ج١ ص٦٤ - ٦٥ قدم له محمد صادق بحر العلوم ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م . مطبعة النعمان ، النجف الشريف .

١- من المستحق للشفاعة ؟

٢- من هم الشفعاء ؟

٣- أقسام الشفاعة .

أولاً: من المستحق للشفاعة

«صرحت كتب الشيعة أن كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة »[١]

يذكر الأشعري أن طائفة من الروافض «يثبتون الوعيد على مخالفيهم ويقولون : إنهم يعذبون ، ولايقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم ، ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة ، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها ، ورووا في أئمتهم أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي سألوا الله فيهم، فصفح عنهم، وماكان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه ، وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم »[٢]

أما من كتبهم ، فيذكر المجلسي في باب عقده بعنوان : (باب الصفح عن الشيعة) وذكر فيها سبعًا وتسعين رواية » [٣]

وبعد ماذكر هذه الروايات كلها كأنه استقلها فقال : قد مرت أخبار كثيرة من هذا الباب في أبواب المعاد من الحوض والشفاعة وأحوال المؤمنين والمجرمين في

---

(١) الوشيعة في نقض عقائد الشيعة - موسى الجارالله - ص١٣ مطبعة الكيلاني .
(٢) مقالات الإسلاميين ج١ ص١٢٦
(٣) انظر بحارالأنوار ، محمد المجلسي ج٦٨ ص٩٨ - ١٤٩ مؤسسة الوفاء.

القيامة وغيرها وأبواب فضائل الأئمة »[١]

وقد صدر الباب المذكور بحديث يحكي نفس المذهب الذي أشار إليه الأشعري ، يقول حديثهم : « إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزوجل حكمنا فيها فأجابنا ، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا ، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وأصفح »[٢]

من النص السابق يتضح لنا أن الشفاعة خاصة بهم وحدهم دون غيرهم ، بل إنهم جعلوا زمام الحل والعقد لهم ، حيث إنهم هم الذين يتولون الحساب ، ولنا هنا أن نتساءل لماذا يحاسبون أنفسهم ؟وهم يقولون في نص آخر أنهم جميعا بولايتهم لعلي داخلون الجنة ، ولكنه تناقض البشر ![٣]

«ومن ذلك ماروى ابن بابويه القمي عن المفضل بن عمرو قال : قلت لأبي عبدالله لم صار علي قسيم الجنة والنار ؟ قال : لأن حبه إيمان وبغضه كفر ، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان والنار لأهل الكفر ، فهو قسيم الجنة والنار : لايدخل الجنة إلا محبوه ، ولايدخل النار إلا مبغضوه »[٤]

وفي نص آخر نسب إلى علي أنه قال : « لنا شفاعة ، ولأهل مودتنا

---

(١) بحار الأنوار ج٦٨ ص١٤٩

(٢) المرجع السابق ج٦٨ ص٩٩

(٣) ولمزيد معرفة عن تناقضهم وشبهاتهم ، انظر : شبهات حول الشيعة ، عباس علي الموسوي ص٤٤ دارومكتبة الرسول .

(٤) مختصر التحفة الاثني عشرية - شاه عبدالعزيز الدهلوي ص٢٠٤ تعريب غلام محمد الأسلمي ، اختصار السيد محمود شكري الألوسي ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ١٤٠٤ هـ ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية .

شفاعة)[١]

ومرة أخرى يقولون : إن عليًا يقف بين الجنة والنار ؛ ليدخل شيعته الجنة ، ويدخل من عاداه أوعادى ذريته أوشيعته النار ، فعن محمد بن جعفر الصادق عن أبيه قال : «إذا كان يوم القيامة نصب منبر عن يمين العرش له ٢٤ مرقعة ويجيء علي بن أبي طالب ، وبيده لواء الحمد ، فيرتقيه ، ويعلوه ، ويعرض الخلائق عليه ، فمن عرفه دخل الجنة ومن أنكره دخل النار ، وتفسير قول تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [٢] وقال : والله هو علي بن أبي طالب)[٣]

تأمل إلى قلب النصوص ، والعبث بالآيات والأحاديث ، ووضع الأمور في غير موضعها ، وهل وقفوا عند هذا الحد ، كلا فقد نسبوا إلى أبي عبدالله أنه قال لأبي أسامة زيد الشحام «يا أبا أسامة أبشر ، فأنت معنا ، وأنت من شيعتنا ، أما ترضى أن تكون معنا ؟ قلت : بلى ياسيدي فكيف لن أكن معكم ؟ فقال : يازيد إن الصراط إلينا ، وإن الميزان إلينا ، وحساب شيعتنا إلينا ، والله يازيد إني أرحم بكم من أنفسكم ، والله لكأني أنظر إليك وإلى الحرث بن المغيرة النفري في الجنة في درجة واحدة »[٤]

ثم إنهم بعد أن جعلوا الشفاعة لهم وحدهم جاء أمر آخر ينص على أن التوبة أنجع الشفاعات ، وهذا فيه من التناقض ماالله به عليم ، فمن أي شيء تكون

---

(١) بحار الأنوار ج٨ص٣٤

(٢) التوبة / ١٠٥

(٣) عقائد الإمامية الاثني عشرية في لواء الحمد ص٣٠٣ نقلا عن تفسير العياش .

(٤) من رسالة ماجستير باسم (الشفاعة دراسة واستدلال) مريس محمد عطية الحواجري ص٢٠١ مخطوط ، كلية أصول الدين القاهرة .

الشفاعة حينئذ ، وهو الذي لاذنب عليه ، واستشهدوا في هذا الجانب بحديث رواه أحد علمائهم عن أحد أئمتهم موسى بن جعفر أبويه عن محمد بن عمير قال : «لايخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك ومرتكب الكبائر من المؤمنين ، ثم يسأل عن الصغائر قال تبارك وتعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾[1] قال فقلت له : يابن رسول الله ، فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ قال : حدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل ، قال ابن أبي عمير فقلت له : يابن رسول الله ، فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر ، والله تعالى ذكره يقول : ﴿ ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾[2] ومن يرتكب الكبائر لايكون مرتضى ، فقال : ياأبا أحمد ، مامن مؤمن يرتكب ذنبا إلا ساءه ذلك وندم عليه ، وقد قال النبي ﷺ : وكفى بالندم توبة» .

وقال عليه السلام : « من سرته حسنته ، وساءته سيئته ، فهو مؤمن ، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه ، فليس بمؤمن ، ولم تجب له الشفاعة وكان ظالما ، والله تعالى ذكره يقول : ﴿ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾[3] فقلت له : يابن رسول الله ، وكيف لايكون مؤمنا من لم يندم على ذنب يرتكبه ؟ فقال : يابن رسول الله مامن أحد يرتكب كبيرة من المعاصي ، وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ماارتكب ، ومتى ندم كان تائبا مستحقا للشفاعة ، ومتى لم يندم كان مصرا ، والمصر لايغفر له ؛ لأنه غير مؤمن بعقوبة ماارتكبه ، ولو كان مؤمنا

(١) النساء / ٣١
(٢) الأنبياء / ٢٨
(٣) غافر / ١٨

بالعقوبة لندم، وقد قال النبي ﷺ : «لاكبيرة مع الاستغفار ولاصغيرة مع الإصرار» وأما قول الله عزوجل﴿ ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[1]فإنهم لايشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه ، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بمعاقبته في القيامة »[2]

والمتأمل في هذا الحديث يرى فيه من التعارض الشيء الكثير، فبعد أن سلموا بالشفاعة لأهل الكبائر جعلوا الندم شرطًا في تحقيق الشفاعة ،والندم كما نعلم توبة ، فكيف تكون لصاحب الكبائر ثم يحرمونه منها إلا إذا تاب ، والتوبة عندهم من أفضل الشفاعات ، ثم كيف تكون الشفاعة لصاحب الكبائر المصر عليها، وهم قد حكموا عليه بالكفر ، فهل تجوز الشفاعة عندهم للكافر ، في الحقيقة أن هذا تناقض وتعارض في فكر هؤلاء ، مما يوحي بعدم صحة هذا ، وبالتالي عدم صحة نسبته إلى حفيد من حفدة رسول الله ﷺ

---

(١)الأنبياء / ٢٨

(٢) التوحيد للقمي ص٤٠٧ - ٤٠٨ نقلا عن رسالة ماجستير (الشفاعة دراسة واستدلال) ص٢٠٥

ثانيا : من هم الشفعاء؟

لقد أضفت الشيعة على أئمتهم هالة من التقديس لدرجة أنهم سووا بينهم وبين الأنبياء ، بل قد فضلوهم على الأنبياء أحياناً ، فلا عجب أن نراهم يخصون أئمتهم بالشفاعة وبعض من والاهم لدرجة أنهم جعلوا منزلة عليًا تكاد تكون مساوية لمنزلة النبي ﷺ ، فتارة يقولون ، إن علي يؤتى بناقة من ياقوت أحمر ، وزمامها زبرجد أخضر ، فيحمل عليها ، ويقف بين رسول الله ﷺ وبين إبراهيم عليه السلام ، ثم يكون إماما لمن تبعه في الدنيا [١]

ولم يقف الأمر عند جعل الشفاعة لآل بيت النبي ﷺ ، وإنما تعداه إلى أئمتهم ومن والاهم ، فهذا لم يقل به جدهم ﷺ ولا يرضى عنه ، فقد جعل أساس التفاضل هو التقوى والعمل الصالح ، ولم يجعل دخول الجنة حكراً على إنسان بعينه ، حتى ولو كان هو ﷺ ، فضلاً عن أن يكون الأئمة من ذريته الذين نعتقد أنهم مبرئون مما نسب إليهم .

وسأعرض لبعض ماستدلوا به من نصوص ينسبونها إلى رسول الله ﷺ تارة وإلى أئمتهم تارة ، وذلك من خلال كتب الحديث عندهم وتفاسيرهم .

ومن أعجب ماقالوه مايروونه في تفضيل أئمتهم على الأنبياء ، حيث ذكر القمي عند تفسير قوله تعالى ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[٢]

أنه ﷺ قال : : «لايشفع أحد من أنبياء الله ورسله حتى يأذن الله له إلا رسول الله ، فإن الله أذن له في الشفاعة قبل يوم القيامة ، والشفاعة له وللأئمة

---

(١) بحار الأنوار ج٨ / ١٤٦ بتصرف .
(٢) سبأ / ٢٣

من ولده ، ثم بعد ذلك الأنبياء »[١]

وأعجب من هذا أنهم أخضعوا آيات القرآن الكريم لاتجاههم هذا وفسروها حسب هواهم ، فمثلاً يقولون : إن المقصود من العهد في قوله تعالى ﴿لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾[٢] هو الاعتراف بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده ، كما يقولون إن المقصود من الشافعين في قوله تعالى : ﴿ فما لنا من شافعين ولاصديق حميم ﴾[٣] هم الأئمة[٤]

وينسبون إلى جعفر الصادق أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾[٥] : إن المقصود من البشارة ولاية أمير المؤمنين ، وأما المقصود بقوله تعالى ﴿قدم صدق ﴾ هو شفاعة محمد ، قوله ﴿والذي جاء بالصدق ﴾[٦] فالمقصود به شفاعة علي ، ومعنى قوله تعالى ﴿أولئك هم الصديقون ﴾[٧] هو شفاعة الأئمة[٨]

وغير ذلك من الادعاءات في تأويل كتاب الله وتفسيره بمعان لاصلة لها بها من قريب أوبعيد ، ولايقصد بها إلا التضليل ، والذي يعنيني قوله بعد ما ذكروه من أباطيل هو أنهم يثبتون الشفاعة للنبي وللأئمة ثم الأنبياء ، وبذلك تكون شفاعة الأنبياء جائزة عندهم ، وإن كانت تالية لشفاعة الأئمة ، وهي فرع من

---

(١) بحار الأنوار ٨ / ٣٨
(٢) مريم / ٨٧
(٣) الشعراء [١٠٠ / ١٠١]
(٤) بحار الأنوار ٨ / ٤٢
(٥) يونس : ٢
(٦) الزمر / ٣٣
(٧) الحديد / ١٩
(٨) بحار الأنوار ٨ / ٤٢ بتصرف .

شفاعته ﷺ ، ولكن مفتتح الشفاعة من حقه وحده ﷺ، وهي تكون لمن والى آل البيت مثل غيرهم ، كما أجازوا الشفاعة للملائكة وإن كانت لاتكون مثل شفاعة الأئمة ، ويستدلون على ذلك بما ينسبونه للنبي ﷺ من أنه قال : «لاشفاعة أنجع من التوبة ، والشفاعة للأنبياء والأوصياء من . . . . و الملائكة »[1]

ثم يأتي نص آخر يزيد في عدد الشفعاء عندهم : «فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : الشفعاء خمسة : القرآن ، والرحم ، والأمانة ونبيكم ، وأل بيت نبيكم »[2]

(١) بحار الأنوار ٨ / ٥٨
(٢) المرجع السابق ٨ / ٤٣

ثالثاً: أقسام الشفاعة

قسم الشيعة الشفاعة تقسيماً أولياً إلى الشفاعة المنحرفة والشفاعة الحقة :

١ - الشفاعة المنحرفة : وهي التي يكون فيها التوجه أولاً للشفيع ؛ ليؤثر على المشفع عنده ، وهي شفاعة ظالمة .

٢- الشفاعة الحقة : هي التي يكون المشفوع عنده هو الذي قد انتدب الشفيع للشفاعة[١]

الفرق بينهما :

الأولى تختلف عن الثانية من وجوه ، فالمنحرفة تناقض القانون ، بل وتعمل على هدمه ، و تقوم على الاستثناءات والواسطة غير مستوفاة لشروط الشفاعة ، لذلك كانت في الدنيا غير صحيحة .

أما الصحيحة أوالحقة فإنها على العكس من ذلك كله[٢] ومن هنا فقد قسم الشيعة الشفاعة الصحيحة عندهم إلى قسمين : -شفاعة القيادة ، وشفاعة المغفرة .

(أ) شفاعة القيادة أوالعمل :

وهي شفاعة المتبوع لتابعه ، سواء أكان ذلك في الخير أم في الشر ، المهم أنه كما يقود في الدنيا ، فإنه يكون إماما له في الآخرة في الهدى أو الضلال ؛ لأن الروابط اللغوية التي كانت بين الناس تتجسم هناك في صور عينية ، محمد ﷺ يكون شفيعًا لأمير المؤمنين والزهراء ، وهذان يكونان شفيعين للحسنين ،

---

(١) كتاب العدل الإلهي - مرتضى المطهر ص٢٤٩ - ترجمة محمد عبدالمنعم الخاقاني مؤسسة الوفاء - بيروت

٢- المرجع السابق ص٢٣٣

وكل إمام يكون شفيع الإمام الآخر، وشفيع طلابه ، فتابعيه فسلسلة المراتب .

يقول الله تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾[١] وكذلك يكون فرعون وغيره إمامًا يوم القيامة في الضلال لمن تبعه إلى النار ؛ لأن كل إنسان يحشر مع قدوته الذي استلهمه ، وكان تابعا له في العمل .

يقول الله تعالى في حق فرعون ومن تبعه : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾[٢]

وقد كان فرعون شفيعًا ؛ لأنه إمام ضلال واتباع قومه له في الدنيا خطوة خطوة يتجسم في العالم الآخر أيضًا بصورة إمام وقائد ، فهو شفيع وواسطة لهم في الدنيا ؛ لأنه يدفعهم للذنوب أوشفيع لهم في الآخرة ؛ لأنه يكون واسطة لهم في دخول نار جهنم ، وهذه الشفاعة شفاعة عمل ؛ لأن الأساس الذي يوجب النجاة أو الهلاك إنما هو العمل الصالح أو العمل السيء .[٣]

(ب) شفاعة المغفرة أوالفضل :

وهي عبارة عن وساطة في المغفرة والعفو عن الذنوب ، وهم يعتبرونها ضرورية ؛ لأنها مستمدة من الرحمة الشاملة للكون كله ، والمغفرة قانون كلي ناتج من غلبة الرحمة لايتم إلا بواسطة الأنبياء والأئمة الأطهار ، وهذا لازم من لوازم وجود النظام في الكون ، إذ يستحيل أن تصل المغفرة إلى المخطئين والمذنبين عن غير هذا الطريق ، إذ إن كل رحمة لاتتم إلا بواسطة ، وهو مايؤكد

(١) الإسراء / ٧١

(٢) هود / ٦٨

(٣) العدل الإلهي ص ٢٣٦ بتصرف .

وجود الشفاعة .

ولو فرض عدم وجود دليل عقلي ونقلي على الشفاعة لكنا مضطرين لإثباتها عن طريق البراهين القاطعة من قبيل وجود النظام في الكون وغيره [١]

(١) المرجع السابق ص٢٤٠ - ٢٤٥ بتصرف .

المبحث الثالث

أدلتهم

القارئ لكتب الشيعة يجد أن عندهم خلطًا وسوء فهم أدَّيا بهم إلى سوء المعتقد ، فالشيعة يخلطون بين الاستشفاع وبين الشفاعة ، ونجدهم يعممون ذلك ويجعلون أدلة جواز الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته والصالحين يجعلونها في جواز طلب الشفاعة في الآخر من الأئمة عندهم ، وهذا الخطأ منشأه من أمرين :

١- غلوهم في الأئمة لدرجة أنهم جعلوهم وسائط بين الله وخلقه .

٢- خلطهم بين الشفاعة في الدنيا والشفاعة في الآخرة .

٣- سوء فهمهم لنصوص الأحاديث ، مما جعلهم يخلطون بين معاني الشفاعة ؛ ولذلك نجد أنهم عند عرض أدلتهم يخلطون بين الأمرين .

أما عن أدلتهم التي ذكروها في كتبهم فهي نوعان من الأدلة في إثبات شفاعة أوليائهم من الأئمة الاثني عشر وغيرهم .

فالنوع الأول : عبارة عن أحاديث يذكرونها في كتبهم على لسان أئمتهم .

الثاني : أحاديث يذكرونها على لسان النبي ﷺ ويؤولونها لصالحهم ، وهي نوعان :

أ- إما أن تكون الأحاديث كذبًا وافتراء على ماسنبين .

ب- أن تكون ثابتة لكن وجه الاستدلال بها ساقط . وماهي إلا شبه يعرض لها الخصم ويؤيدها بالأحاديث والآثارلتعطيها القوة ، ولكنها لاتخفى على من أعطاه الله البصر والبصيرة في الدين .

أولاً : الأدلة من كتبهم على لسان أئمتهم .

١ - «روى البزنطي عن الرضا عليه السلام قال : مازارني أحد من أوليائي عارفًا بحقي إلا شفعت فيه يوم ا لقيامة »[١]

٢ - عن محمد بن تمام قال : «قلت لأبي عبدالله- عليه السلام - : إن فلانًا مولاك يقرئك السلام ، ويقول لك : اضمن لي الشفاعة ، فقال : أمن موالينا ؟ قلت : نعم ، قال : أمره أرفع من ذلك ، قال : قلت : إنه رجل يوالي عليًا ولم يعرف من بعده من الأوصياء ، قال ضال ، قلت فأقر بالأئمة جميعًا وجحد الآخر ، قال هو كمن أقر بعيسى وجحد محمدًا ﷺ »[٢]

٣ - وروى الحسن بن علي بن فضالة عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال : إن بخراسان لبقعة يأتي عليها في زمان قصير مختلف الملائكة ، فقال : فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور ، فقيل له يابن رسول الله وأية بقعة هذه ؟ قال : هي بأرض طوس، فهي والله روضة من رياض الجنة من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله وكتب الله له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة ، وكنت أنا وآبائي شفعاءه يوم

(١)من لايحضره الفقيه ابن بابويه القمي ج٢ص٣١٩ حققه وعلق عليه حسن الموسوي الخرساني ١٤٠١هـ ١٩٨١م دار صعب ، دار التعارف .

(٢)بحار الأنوار ج٢٣ ص٩٧

(٣) من لايحضره الفقيه لابن بابويه القمي - ج٢ ص٣٥١ .

القيامة »[٣]

٤ - مما يدل على أن طلب الشفاعة ثابت للأئمة بعض الطقوس التي يجب على زائر قبر أمير المؤمنين علي وبعض العبارات التي يذكرها الزائر والتي لايتم له ثواب الزيارة إلا بها .

ومنها قولهم :

إذا أتيت القبر بظهر الكوفة فاغتسل ، وامش على سكون ووقار حتى تأتي أمير المؤمنين عليه السلام فتستقبله بوجهك ، وتقول : «السلام عليك ياولي الله أنت أول مظلوم وأول من غصب حقه ، صبرت واحتسبت ، فاشفع لي عند ربك ، فإن لك عند الله عزوجل مقامًا معلومًا ، وإن لك عند الله جاهًا وشفاعة ، وقد قال الله عزوجل ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[١] إلى أن قال : ثم اجلس عند رأسه وقل . . . . . أنت ممن أمرني الله بصلته ، وحثني على بره ، ودلني على فضله ، وهداني لحبه ، ورغبني في الوفادة إليه ، وألهمني طلب الحوائج عنده ، أنتم أهل بيت يسعد من تولاكم ، ولايخيب من أتاكم ، ولايخسر من يهواكم ، ولايسعد من عاداكم ، ولا أجد أحدًا أفزع إليه خيرًا لي منكم ، أنتم أهل بيت الرحمة ، ودعائم الدين وأركان الأرض والشجرة الطيبة ، اللهم لاتخيب توجهي إليك برسولك وآل رسولك واستشفاعي بهم ، اللهم أنت منت علي بزيارة مولاي وولايته ومعرفته ، فاجعلني ممن

---

(١)الأنبياء / ٢٨

ينصره ، وينتصر به ومن علي بنصرك لدينك في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أحي على ماحي عليه علي بن أبي طالب . . . الخ .[١]

٥ - وليت الأمر وقف عند علي بن أبي طالب فها هنا نص لزيارة قبرالإمامين أبي الحسن علي بن محمد وأبي محمد الحسن بن علي (بسر من رأى) يقول : (إذا أردت زيارة قبرهما عليهما السلام فاغتسل وتنظف . . . . « السلام عليهما : ياوليي الله ، وأسأله أن يعتق رقبتي من النار ، وأن يرزقني شفاعتكما ومصاحبتكما . . . »[٢]

الجواب عن هذه الأدلة : -

ونحن نركز على الرد على الأدلة مجتمعة بأوجه عدة :

هذه الأحاديث وغيرها مما في كتبهم كلها أحاديث هالكة موضوعة باتفاق أهل العلم بالحديث ، وماهي إلا بعض ماوضعه الرافضة من أحاديث نصرة لمذهبهم وتأييدًا لباطلهم فهي أولاً : «الأحاديث لا إسناد لها صحيح ، ونحن نطالب بإثبات صحة الإسناد .

ثانيًا : أنها أحاديث لايعرفها أهل العلم بالحديث ، ولم يخرجوها في كتبهم لا في الصحاح ولاالسنن ولاالمسانيد .

ثالثًا : إن القمي إنما هو أحد أعلام الرافضة الذين اتفق أهل العلم على رد روايتهم ؛ لأنهم أصحاب بدعة كفرية ؛ ولأنهم يستحلون الكذب نصرة لمذهبهم »[٣]

---

(١) من لايحضره الفقيه ج٢ ص٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق ج٢ ص٣٦٨ .

(٣) البينات في الرد على أباطيل المراجعات ، محمد الزعبي ج٢ ص١٦٩ ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

والقمي هذا إنما هو من سلالة القميين الروافض الذين لقبوا أبا لؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب بلقب (باب شجاع الدين) واخترعوا له عيداً سموه «عيد باب شجاع الدين » وهو اليوم التاسع من ربيع الأول بزعمهم .

وأول من نادى بهذا اليوم عيداً هو أحمد بن إسحاق بن عبدالله بن سعد القمي الأحوص شيخ الشيعة القميين ، وأطلق عليه العيد الأكبر ، ويوم المفاخرة ، ويوم الزكاة العظمى ، ويوم البركة ، ويوم التسلية »[١]

والقمي هذا إنما هو من أحفاد الشريف القمي الذي والى التتار ، ووقف بجانبهم يوم غزوهم ديار المسلمين »[٢]

ثانياً : - الأدلة من الأحاديث التي يذكرونها منها على لسان النبي ﷺ وتأويلها حسب رغباتهم وسوق بعض الشبه عليها .

جاء في كتاب (كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبدالوهاب ، الباب الثالث ، الفصل الأول في الشفاعة) .

فذكر الشيعي ما خلاصته : أن الاستشفاع بالموتى جائز لاريب في جوازه . قال : - « ذلك أن الله أعطى عباده الصالحين ، كالأنبياء والأولياء والملائكة ، الشفاعة ، ولامانع يمنع من أن تطلبهم ما أعطاهم الله »

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٩٠٨ - ٩٠٩ .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٤ / ٩ ط الثالثة ١٩٨٠م مكتبة المعارف .

- وقال : « والشفاعة هي الدعاء ، فالذي يطلب وليًا أونبيًا أوملكًا أن يشفع له فمما يطلب منه أن يدعو له ؛ لأن الشفاعة هي الدعاء ، والدعاء يجوز طلبه ، بلا ريب من الصالحين الأحياء منهم والأموات ولافرق »

قال : وقد ثبت أن الملائكة يدعون ، ويستغفرون للذين آمنوا كما قال تعالى﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] ودعاؤهم هذا للمؤمنين هو عين شفاعتهم . . »[2]

---

(١) غافر / ٧ - ٩

(٢) الصراع بين الإسلام والوثنية - عبدالله علي القصيمي ص٢٠٩ ط الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م

تلخيص شبه وحجج الشيعة :

أولاً : أن الله قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة ، ولامانع من سؤالهم ماأعطوه .

ثانيًا : الشفاعة هي الدعاء ، والدعاء يجوز طلبه من الصالحين : الأحياء منهم والأموات ، ولافرق .

ثالثًا : قد ثبت في القرآن أن الملائكة يدعون ويستغفرون للمؤمنين ، والدعاء والاستغفار لايخرجان عن معنى الشفاعة ، فهم يشفعون .

رابعًا : قد صح أن الجماد يشفع ، كما صح عن علي أنه قال : أشهدوا هذا الحجر (يعني الحجر الأسود) خيراً ، فإنه يوم القيامة شافع مشفع ، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه .

خامسًا : لايمكن القول بأن الله أعطى عباده الشفاعة ومنع طلبهم إياها . فإن الحق لايكون طلبه باطلاً ، ولكن طلب الباطل هو الذي لايكون إلا باطلاً .

سادسًا : قد تشفع آدم برسول الله قبل خلقه ، وتشفع وتوسل رسول الله بمن قبله من الأنبياء ، وتشفع الصحابة بالنبي عليه السلام ، وتشفع عمر بالعباس ، وأقر النبي ذلك الأعرابي الذي قال : إنا نستشفع بك على الله وطلبوا من النبي بعد وفاته أن يستسقي لهم فسقوا . وصح أن الذين يصلون على الجنازة شافعون .

وروى الترمذي عن أنس قال : سألت رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال : « أنا فاعل » .

- وطلب سواد بن قارب ، وهو صحابي من النبي ﷺ أن يشفع له يوم القيامة .

- وقد طلب تبع الحميري من النبي ﷺ أن يشفع له أيضاً يوم القيامة .

- وقد علم عثمان بن حنيف في خلافة عثمان رجلاً أن يقول : يامحمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه ، وقد فعل الرجل ذلك ، فقضيت حاجته .

- وقد جاء أن علياً وأبابكر أكبا على النبي ﷺ وهو ميت وقبلاه ، وقال كلاهما : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك .

وفي شرح المواهب للزرقاني أن الداعي إذا قال : اللهم إني استشفع إليك بنبيك ، يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له . وقد ذكر العلماء في آداب الزيارة أن الزائر يقول خطاباً للنبي عليه السلام : جئناك لقضاء حقك والاستشفاع بك ، فليس لنا - يارسول الله - شفيع غيرك ، فاستغفر لنا واشفع لنا .

دفع هذه الشبه:

أما الدليل الأول : وهو أن الله أعطى عباده الشفاعة ، ولامانع من طلبها منهم ، فالجواب عنه من وجوه :

١ - « أن ماأمرهم الله به من ذلك هم يفعلونه ، وإن لم يطلب منهم ، ومالم يؤمروا به لايفعلونه ولوطلب منهم ، فلا فائدة في الطلب .

٢ - أن دعاءهم وطلب الشفاعة منهم في هذه الحالة يفضي إلى الشرك بهم ففيه هذه المفسدة ، فلو قدر أن فيه مصلحة لكانت هذه المفسدة راجحة ، فكيف

ولامصلحة فيه بخلاف الطلب منهم في حياتهم وحضورهم فإنه لامفسدة فيه ، فإنهم ينهون عن الشرك بهم ، بل فيه منفعة ، وهو أنهم يثابون ويؤجرون على مايفعلونه حينئذ من نفع الخلق كلهم ، فإنهم في دار العمل والتكليف ، وشفاعتهم في الآخرة فيها إظهار كرامة الله لهم .

٣- أن أصل سؤال الخلق الحاجات الدنيوية التي لايجب عليهم فعلها ليس واجبًا على السائل ولامستحبًا ، بل المأمور به سؤال الله تعالى والرغبة إليه والتوكل عليه »[١]

٤- هل يجوز لكل مسلم أن يسأل كل مخلوق ماأعطاه الله ومامَلكه إياه من أنواع الأعطيات الأخرى من القصور والضياع بحجة أنه لامانع من سؤال الخلق ما أعطوا ؛ لأن طلب الحق لايكون باطلاً ، ولأن سؤال الموجود لايكون ممنوعًا ؟ إن كان جواب الشيعي الإيجاب فجواب الناس جميعًا السلب .

٥- ثم يقال له أيضًا : من الذي سلم له بأن الله قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة ؟ إننا نحن ننكر هذا القول وذاك الزعم ، ونقول ، بحق لاشك فيه : إن الله لم يعطهم الشفاعة اليوم ولما يأذن لهم بها حتى الساعة ، ولكنه تعالى سوف يعطهم ذلك يوم القيامة إذا علم المخالف هذا قلنا له أي عاقل يزعم أنه يصح أن يسأل الإنسان مالم يعط وما لم يملك ؟ »[٢]

جواب الدليل الثاني :

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١ ص ١٨٠ ومابعدها .

(٢) الصراع بين الإسلام والوثنية ج٢ ص٣٠١

وهو : (أن الشفاعة هي الدعاء ، وأن الدعاء يجوز طلبه من الأحياء والأموات)

نقول : سلمنا أن الشفاعة هي الدعاء ، وأن الدعاء هو الشفاعة سواء بسواء . ولكننا لانسلم جواز طلب الدعاء من الموتى البتة ، ونقول : إن هذا هو أصل المسألة ومبدؤها ، ولن يجد دليلاً واحداً يدل دلالة صحيحة على جواز طلب الدعاء من ا لأموات .

جواب الدليل الثالث :

وهو : (أن الملائكة يدعون للمؤمنين ، وأن دعاءهم شفاعة . . .

نقول : الملائكة يستغفرون ويدعون للمؤمنين من غير أن يسألهم أحد .

« ثم إنهم لايصح سؤالهم الشفاعة لدلائل كثيرة منها :

- أنهم لايسمعون سؤال من سألهم .

- لأن في سؤالهم ما يدعو إلى الغلو فيهم وفساد الاعتقاد والإيمان .

- ولأنهم يقومون بما أمرهم الله به وبوظائفهم سواء أطلبوا أم لم يطلبوا ، فطلب ذلك سفه وعبث وجهالة ، ودين الله لايأمر بذلك .

- لأنه من عالم الغيب ، ولايجوز للمؤمن أن يتصل بعالم الغيب إلا من طريق الدين والرسالة الإلهية ، ولأن الرسول ﷺ وأصحابه لم يحاولوا دعاءهم والاستشفاع بهم قط . ولو كان ذلك مشروعاً مثابًا فاعله لما جاز أن يتركوه البتة .

وإننا نطلب إلى المخالفين جميعاً أن يرونا دليلاً واحداً يذكر أن الرسول ﷺ أو أحد الأئمة الراشدين طلب من ملك شفاعة أو دعاء .

ولأن الاتصال بالملائكة وسؤالهم هو كالاتصال بالجان وسؤالهم ، كلاهما

فيه خطر على العقيدة وطغيان على مكان الإيمان ، فإن من أجاز لنفسه سؤال الملائكة أو الجان الشفاعة ، فقد تجيز له نفسه يومًا ماهو فوق ذلك من عبادتهم ووصفهم بما ليس لهم من أوصاف الربوبية »[1]

جواب الدليل الرابع :

وهو أنه صح أن الجماد يشفع ، وأن الحجر الأسود يشفع . . . »

الجواب : هذا الدليل نقض لما تقدم من الأدلة وذلك من وجوه :

١ - أن المقدمة التي يبني عليها الرافضي الشيعي دليله الأول والثالث وهي أن الله أعطى لعباده الشفاعة ولابد من طلبها منهم فهو أيضًا أعطى الحجر الأسود والجمادات الشفاعة فهل يقول عاقل أنها تطلب منهم .

٢ - أن الرافضي لابد له من مسلكين في هذه الحالة ، وكلها تدينه ، فهو إما أن يقول : يجوز الاستشفاع بالجمادات وهذا فاسد عقلاً ، وفي هذه الحالة تقول إن على دينه العفاء . وإما أن يقول : لايجوز الاستشفاع بالجمادات ولاطلب الشفاعة منهم وبهذا يسقط الدليل . جواب الدليل الخامس : وهو أنه لايمكن أن يقال : إن الله أعطى عباده الشفاعة ومنع طلبها منهم فنقول تقدم بطلان هذه الشبهة في الدليل الأول والثاني .

جواب الدليل السادس :

وهو الأخبار المذكورة ، فالجواب عنها أن نقول :

أما الحديث الأول : وهو قوله إن آدم تشفع برسول الله قبل خلقه فهو يعني به حديث : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله . . .

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية ج٢ ص٣٠٣

قال الألباني [١]: موضوع أخرجه الحاكم في المستدرك . . #

قال شيخ الإسلام في التوسل والوسيلة # : « ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه » ، قال الذهبي عن الحديث : «موضوع »

أما قوله «وتشفع الصحابة بالنبي عليه السلام ، فهو يشير به إلى ما روي أن أهل المدينة قحطوا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا إلى قبر رسول الله فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطرا غزيراً .

والكلام على هذا الخبر من ناحيتين : ناحية إسناده وناحية معناه

أما إسناده فهو من حديث محمد بن الفضل السدوسي المعروف بعارم عن سعيد بن زيد أخي حماد بن زيد الإمام المشهور عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء أوس بن عبدالله الربعي عن عائشة رضي الله عنها هكذا رواه الدارمي في سننه ، وهذا الإسناد فيه قوادح أربعة :

١ - أن محمد بن الفضل المعروف بعارم قال عنه الذهبي [٢] شيخ البخاري ثقة اختلط بآخره قال العقيلي وابن حبان اختلط آخر عمره ، وكذا في ميزان الاعتدال [٣] قال جزء حديثه قبل الاختلاط وجزء منه بعده أ . هـ وهذا الحديث

---

(١) انظر السلسلة الضعيفة ج١ ص٣٨ رقم ٢٥

ج٢ ص٦١٥ # ص٦٩

(٢) انظر المغني في الضعفاء ج٢ ص٧٧٩ رقم ٧٣٨٩ حققه نور الدين عتر ١٩٧١م دار المعارف .

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج٤ ص٨ رقم ٨٠٥٧ تحقيق علي محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي .

لايدرى من أي قسم .

٢- سعيد بن زيد ، قال الحافظ الذهبي [١] ضعيف ، قال السعدي ليس بحجة يضعفون حديثه .

٣- عمروبن مالك النكري مجهول [٢]

٤- أن رواية أبي الجوزاء عن عائشة مرسلة ؛ لأنه لم يلقها ذكره البخاري وابن عدي . فهذه الرواية فيها من القوادح ما يمنع صحتها في مثل هذه المباحث التي يطلب فيها اليقين .

أما المتن : فإنه مخالف لسنة المسلمين ، ولعمل الرسول وأصحابه والمسلمين من بعده عند القحط وانحباس السماء والماء ، فإن الرسول ﷺ وأصحابه والمسلمين كانوا إذا اشتد عليهم القحط فزعوا إلى صلاة الاستسقاء وهي معروفة في كتب الحديث والفقه # .

وقد قحطوا في عهد الرسول ﷺ وطلبوا منه أن يستسقي لهم مرات عدة ، فكان يستسقي تارة بالصلاة والدعاء في الخلاء ، وتارة بالدعاء وهو فوق المنبر يخطب ، وتارة وهو جالس يدعو ويستسقي ، ولكنه لم يقل مرة واحدة : إنه يكفيكم أن أبرز ببدني إلى السماء أويبرز قبري كما زعم هذا الخبرالضعيف .
ثم هذا الخبر على فرض صحته فليس فيه دلالة على ثبوت ماذهب إليه الشيعي المخالف فإنه زعم أن الصحابة قد تشفعوا برسول الله والاستشفاع كما ذكر هو الدعاء ، ولكن هذا الخبر ليس فيه طلب ولااستشفاع لامن النبي ولامن الله

(١) المرجع السابق ج٢ ص١٣٨ كذا الكامل في الضعفاء ص٣٧٦ دار بيروت للطباعة والنشر .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص٢٢٠

*انظر حاشية الروض المربع ٢ / ٥٤١ - سبل السلام للصنعاني ٢ / ١٣٨ مطابع جامعة الإمام .

ولامن أحد ، غاية ما هنالك أن فيه إبراز القبر وفتح كوة منه إلى السماء ، ولايمكن أن يكون هذا دعاء إلا أن يسميه الشيعي وليست ببعيدة عليه أن هذا دعاء فعلي وعندها يكون قد خسر كل شيء حتى المفاهيم العامة للألفاظ ؛ لأن الدعاء طلب فهو جملة إنشائية ولايمكن أن تكون فعلية .

- أما قوله : «وتشفع عمر بالعباس »

فالجواب أن يقال : إن المراد قول عمر بن الخطاب : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » ؛ أي بدعائه وشفاعته .

- وقوله ﴿وابتغوا إليه الوسيلة ﴾[1] أي القربة إليه بطاعته ، وطاعة رسوله طاعته .

قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[2] فهذا التوسل بطاعته والإيمان لاينكره أحد من المسلمين .

أما التوسل بدعائه وشفاعته فإنه توسل بدعائه لابذاته ؛ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس ، ولوكان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس ، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس ، علم أن مايفعل في حياته قد تعذر بموته »[3] ثم إن هذا الدليل ليس في محل النزاع ؛ لأن ابن عباس كان حيا سويًا حينما استسقى به عمر ، وإنما النزاع في الأموات .

- وأما قوله : «وصح أن الذين يصلون على الميت شافعون »

(١) المائدة/ ٣٥

(٢) النساء/ ٨٠

(٣) مجموع الفتاوى ج١ ص٢٠١

فالجواب : أن هذا مثل الذي قبله ؛ لأن الذين يصلون أحياء ، ولانزاع في أنهم يستشفعون ويشفعون بلاخلاف .

- وأما قوله : « وروى الترمذي عن أنس بن مالك أنه قال : سألت رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال : أنا فاعل »

فالجواب : قال أبوعيسى : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه [1]

- ثم إن هذا الحديث على تقدير صحته ، خارج عن محل النزاع أيضًا ؛ لأن أنسًا طلب الشفاعة من النبي عليه الصلاة والسلام وهو ، حي وهذا لانزاع فيه .

ثم أورد المخالف شبهة على هذا الحديث وهي :

«فإن قيل : هذا لايوافق ماذكرتموه من أنه لايشفع أحد لأحد عند الله إلا بعد إذنه بالشفاعة ، وبعد رضاه عن المشفوع له ، وماذكرتم من أن من استحق الشفاعة نالها سواء أطلبها أم لم يطلبها ، ومن لم يستحقها فلن تناله وإن طلبها وأوغل في الطلب مما ذكرتم إن قيل هذا قلنا : هذا الذي ذكرناه صحيح لاغبار عليه ، وقد شهد له الدين جملة وتفصيلاً .

- أما الحديث على تقدير ثبوته فيقال فيه : -

١ - لعل أنسًا لم يعلم ذلك حين طلب من النبي ﷺ .

٢ - أما إقرار النبي صلى الله عليه وسلم فلعله يريد بذلك الشفاعة العامة التي ستنال كل من مات لايشرك بالله شيئًا .

---

(١) جامع الترمذي ك صفة القيامة ، باب ماجاء في شأن الصراط ج٤ ص٥٣٧

أولعل هذه الشفاعة التي طلبها أنس شفاعة خاصة به دون الجميع جزاء خدمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله لامانع منه دينا ونظراً »[1]

- أما قوله : «وطلب سواد بن قارب من رسول الله أن يشفع له يوم القيامة بقوله : فكن لي شفيعا . . . البيت »

الجواب : أن هذه القصة ضعيفة الإسناد ، ولهذا لم يرو القصة أحد من أصحاب الصحاح أوالسنن أو المسانيد ، ولا أحد من المؤلفين في الصحيح المتحرين ، إنما رواها الطبراني في المعجم وهو يروى الضعيفات والموضوعات ورواها أبونعيم في دلائل النبوة بإسناد واه .

وعلى فرض الصحة فهو خارج عن محل النزاع كما سبق . #

- أما ماذكره عن تبع الحميري فيقال في الجواب : وأين الإسناد لذلك ؟ ومن الذي رواه من أهل العلم والدراية والرواية والمعرفة ؟ فإن استطاع هذا المخالف أن يصحح هذا الخبر ، وأن يقيم له إسناداً مقبولاً ورواية قائمة ساغ له أن يحتج به ، وأن يرد به على المخالفين ، وأن يؤول لأجله آيات الكتاب ومتواتر السنة ، أما بغير ذلك فلن يعبأ به .

- وأما حديث عثمان بن حنيف وتوبة : أنه علم رجلاً في خلافة عثمان أن يقول في دعائه : يامحمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه لتقضى . . . فعلل هذا الحديث تتلخص فيما يأتي :

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية ج٢ ص٣٠٩

تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ج١٠ ص٢٥ ، دار الكتب العلمية ، الترمذي : باب أحاديث شتى من أبواب الدعوات بارب رقم ٧ حديث رقم ٣٨١٣

أولاً : « جهالة أبي جعفر هذا المنفرد به عن عمارة بن خزيمة وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف واختلاف الناس فيه # ، إذ زعم فريق أنه الخطمي وادعى فريق آخر أنه سواه بحيث لم يظهر لنا نحن القول الصحيح من القولين والحق من الباطل ، حتى وجدنا التوقف والوقوف بين القولين هو المذهب والمصير الصحيح .

ثانيًا : تفرد هذا الراوي المجهول المختلف فيه به دون غيره من أقرانه وممن هم أكثر منه حديثًا وتحديثًا .

ثالثًا : انفراد عثمان به بحيث لم نحفظ أنه روي عن غيره من الصحابة لاعمن هم أكثر منه رواية ، ولاعن ذلك الأعمى ، ولاعن أقاربه وعارفيه ممن عرفوا القصة .

رابعًا : غرابة معنى الحديث وشذوذه عن مألوف المسلمين ، فإن سؤال الله بخلقه لم يعهد مثله في كتاب الله ولافي سنة رسول الله . »[1]

وأما ماذكر أيضًا عن أبي بكر وعلي من أنهما أكبا على النبي ﷺ وهو ميت وقبلاه . . .

فالجواب : يعوز هذا النقل الإسناد والصحة ، فإن الرواية بغير إسناد لاتقبل عندنا في دين الله . والإسناد هو الفاصل بين الحق والباطل ، وهو الفيصل بين الصدق والكذب .

التهذيب ج٤ ص٢٦٤ ، ٢٦١ ، ٤١٢

(١) انظر الصراع بين الإسلام والوثنية من ص ٦٠٤ إلى ٦٣٧ ج٢ ، كذا جلاء العينين في محاكمة الأحمدين نعمان خير الدين ص٥١٧ مطبعة المدني .

نعم جاء في صحيح البخاري * أن أبابكر الصديق رضي الله عنه ، دخل على رسول الله حين توفي وقال : بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا ، والله لايذيقك الله الموتتين أبدًا ، وأكب عليه وقبله .

وعلى فرض صحة هذا النقل فإنه لايدل على جواز الاستشفاع بالموتى وطلب الدعاء منهم .

- ذلك أن الذين ذكروا هذا النقل كصاحب «المواهب اللدنية » ذكروا معه أن الناس حين بغتوا بخبر وفاة النبي ﷺ طاشت عقولهم فمنهم من خبل ، ومنهم من أقعد فلم يستطع القيام ، ومنهم من أخرس . . . الخ وأن أبابكر كان أثبتهم ، وقال مقولته .

ونقول : ساعة تصل فيها العقول والقلوب والنفوس إلى هذا المكان من القلق والاضطراب لايصح أن يحتج بالكلام الذي يقع فيها ، والألفاظ التي تتساقط من حولها ، وتعتقد القلوب مالايصح ومالايمكن أن تعتقد لو كانت مالكة صوابها ، فكيف يؤخذ بهذه العبارات في مقام كهذا .

فإن قيل : إن الرواية التي رواها البخاري وأقررتموها دليل على جواز خطاب الموتى ، وخطابهم دليل على سماعهم .

الجواب : أن الخطاب لم يوضع أصلاً في اللسان ليوجه إلى من يسمع دون من لايسمع ، أو إلى الحاضر دون الغائب . . . الخ ، بل وجه إلى السامع وغير السامع والقريب والبعيد ، والدلائل على ذلك كثيرة :

- منها : أنه يشرع السلام على أهل القبور : السلام عليكم أهل الديار من

---

* في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لوكنت متخذا خليلا . وفي كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه ٧ / ٢٣٠٢٢

المؤمنين .

- وقول نبي الله صالح لقومه بعد أن أخذتهم الرجعة ﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين . . . . ﴾ [١]

وهذا يعمله الخاصة والعامة من الشعراء والبلغاء من خطاب الجمادات من شجر وبحر ، ولكن الذي ننكره هو خطاب الطلب والسؤال الذي فيه رجاء وخوف وخشوع .

- أما ماذكرعن شرح المواهب للزرقاني من أن الداعي إذا قال : اللهم إني . . الجواب : أنه ليس ماكتب حجة على المسلم وإن الضلال والخطأ يطبع وينشر . . . »[٢]

ومن هذه الردود على هذه الشبه يتضح الموقف ، ويظهر الحق ، وتندفع تلك المفتريات التي آمن بها الرافضة دون أن يكون لهم دليل صحيح يعتد به في مجال كهذا المجال الذي يمس العقيدة ، وتطلب فيه الأدلة الصحيحة الصريحة التي لايتطرق إليها البطلان ، ومن تأمل ماذكروه وماذكرته في الرد عليهم يتضح له بجلاء فساد مذهبهم ، وضعف حجتهم ، وأنه يعوزهم على ماقالوا البرهان . وإنما أعرضت عن الرد على الأدلة التي من كتبهم لوضوح الأمر في ذلك من أنهم قد وضعوها موافقة لمذهبهم .

ويحسن هنا أن أنقل ماذكره صاحب الشيعة في الميزان [٣] :

---

(١)الأعراف / ٧٩

(٢) انظر الصراع بين الإسلام والوثنية ج٢ ص٣١٢ - ٣٢٠

(٣) الشيعة في الميزان محمد يوسف ص١١٦ دار المدني .

حيث يقول : « إن الشيعة وضعوا الأحاديث لإيراد الشك والشبهات حول صحة السنة ومن هنا يقول شريك بن عبدالله القاضي - وقد كان معروفًا بالتشيع مع الاعتدال فيه : «أحمل عن كل من لقيت إلا الرافضة ، فإنهم يضعون الحديث ، ويتخذونه دينًا» وقال الشافعي : «مارأيت في أهل الأهواء قومًا أشهد بالزور من الرافضة »

وأختم الحديث عن الشيعة بذكر بعض أقوال السلف فيهم :

قال الإمام مالك : « اثنان محب مفرط ومبغض مفرط »

وقال رحمه الله : « يخرج آخر الزمان قوم ينتحلون شيعتنا ، وليسوا من شيعتنا لهم نبز يقال لهم الرافضة فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون» .

وقال عامر الشعبي : «الترفض سلم الزنا »

ويقال : إن الروافض أشد ضلالاً وأكثر فتنة من الشيطان ؛ لأن الشيطان يوسوس في صدور الناس ويضلهم خفاء ، فإذا مات الإنسان تركهم ، ولايلتفت إلى الموتى أصلاً .

والروافض يوسوسون علانية ، ويضلهم ضلالاً شديداً بتمويه الباطل بماء الحق فإذا لم يظفر إليهم ومات ذلك الإنسان نصب نفسه للعن والسب والشتم إليهم فلا يفلح أحياء المسلمين من إضلالهم وإفسادهم ، ولاأموات المؤمنين من

---

(١) رسالة تكفير الشيعة الشنيعة - مطهر بن عبدالرحمن بن علي بن إسماعيل - مخطوط نسخة مصورة بالفتوستات من الأصل المحفوظ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٢١٤ بجامعة الملك سعود . (ميكروفيلم)

تعقيب :-

وقبل أن نطوي هذه الصفات الخاصة بالشيعة رأيت أنه من الإنصاف أن نوضح ماقد يعد تناقضاً عند القراءة لبعض الكتب التي تخالف هذا المنحى .
فإنه قد وقع في كتاب : « عقيدة البعث والآخرة في الفكرالإسلامي » مايذكره الكاتب من موقف الشيعة من الشفاعة فيقول :
« إن بين فرق الشيعة اتفاقاً حول إنكار الشفاعة : إلا أن دوافع بعض الفرق حول إنكار الشفاعة يختلف عن دوافع بقية الفرق الشيعية الآخر . . . .
ولقد اتفقت الزيدية مع المعتزلة حول إنكار الشفاعة لأصحاب الكبائر ولكن إذا كان دافع المعتزلة لإنكار الشفاعة دافعاً عقلياً ، فإننا نلاحظ أن دافع الزيدية كان سياسياً . . . »[1]

وهنا لن ننقض كلام الكاتب بمجرد الرأي والهوى ولا الميل لعاطفة معينة وإنما لأن الحق أحق أن يتبع .

✓ يقول صاحب التفسير والمفسرون :

« ولايلتزم الطبرسي* القول بكل معتقدات المعتزلة ، بل تراه يخالفهم في كثير من الأحيان ، ويرد عليهم معتقداتهم ، ويجادلهم فيها جدالاً عنيفاً قوياً ، فمذهب الطبرسي في الشفاعة مثلاً يخالف مذهب المعتزلة ، ولهذا نراه

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ﴾[2]

---

(١) د. محمد أحمد عبدالقادر ص٢٤٥ تقديم د . أحمد محمود صبحي ١٩٨٦ م دار المعرفة .

* في مجمع البيان لعلوم القرآن

(٢) البقرة / ٤٨

يقول مانصه : ﴿ولايقبل منها شفاعة ﴾ قال المفسرون : حكم هذه الآية مختص باليهود ؛ لأنهم قالوا : نحن أولاد الأنبياء ، وآباؤنا يشفعون لنا ، فأيأسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم المراد به الخصوص ، ويدل على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعة مقبولة ، وإن اختلفوا في كيفيتها ، فعندنا هي مختصة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقيه من مذنبي المؤمنين .

وقالت المعتزلة : هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين ، وهي ثابتة عندنا للنبي ولأصحابه المنتخبين ، وللأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين ، وينجي بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين ، ويؤيده الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول وهو قوله : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[١] وماجاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : « إني أشفع يوم القيامة فأشفع ، ويشفع علي فيشفع ، ويشفع أهل بيتي فيشفعون ، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار »[٢]

وقوله مخبراً عن الكفار عند حسراتهم على الفائت لهم مما حصل لأهل الإيمان من الشفاعة ﴿فما لنا من شافعين ، ولاصديق حميم ﴾[٣] أ . هـ[٤]

وبعد فإن المتأمل لهذا النص يجد الفرق شاسعاً بين الشيعة والمعتزلة في الشفاعة ، بل إن أصول كل منهما مختلف ، فحين تجعل الشيعة الشفاعة للعاصين نجد المعتزلة تجعلها للتائبين .

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٥٦٦

(٢) بحار الأنوار ٨ / ٣٠

(٣) الشعراء / ١٠٠ - ١٠١

(٤) انظر مجمع البيان لعلوم القرآن ج١ ص٤٥ نقلاً عن التفسير والمفسرون ج٢ ص١٣٥ ومابعدها .

ولعل في هذا النقل الكفاية في إيضاح المسألة . وأود هنا أن أوضح أمرًا هو أن الزيدية من الشيعة هم الذين يقولون بقول المعتزلة ، كما صرح بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « وأما شفاعته لأهل الذنوب فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية »[١] وكذا ابن حزم في الفصل حيث قال : « وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الروفض إلى القول بالشفاعة »[٢] ومما يوضح الأمر من أصوله ماذكره صاحب الفرق الإسلامية حيث يقول : « فإنه فيما يتعلق بارتكاب الكبائر فإن الزيدية قد أجمعوا على أن أصحاب الكبائر معذبون في النار ، وأنهم خالدون فيها أبدًا ، ولايخرجون منها ، وهم في هذا كالمعتزلة والخوارج »[٣]

ونحن هنا نقول : ربما التبس على الكاتب فجعل قول عموم الشيعة مثل قول الزيدية إلا أننا حين نطالع باقي البحث نجد أنه يفند أقوال الشيعة إلى اثنا عشرية وزيدية بما يوحي بقلة التعمق في هذه المسألة ولعل عذره أنه كاتب فلسفي وليس من كتاب العقائد .

---

(١) مجموع الفتاوى ج١ ص١٤٨

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ ص١١١

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية - علي مصطفى الغرابي ص٣٠٧ ط الأولى ١٩٤٨ مطبعة السعادة

الفصل الثاني

الشفاعة عند الخوارج

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بهم

المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة

المبحث الثالث: أدلتهم

الفصل الثاني

الشفاعة عند الخوارج

تمهيد :

إن كلمة خوارج أطلقت على أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين،اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر ، ومن ثم طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب ، وانتهى الأمر بأن خرجوا من معسكره # . وقد قبل الخوارج هذه التسمية، ولكنهم فسروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهاداً في سبيل الله وفقًا لقوله تعالى : ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾[1]

وقد أُطلق على الخوارج أيضًا اسم(الشراة) وربما يكونون هم الذين وصفوا أنفسهم بذلك ؛ لأنهم يزعمون أنهم باعوا أنفسهم لله ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد ﴾[2]

وسموا أيضًا بالحرورية لانحيازهم في أول أمرهم إلى قرية (حروراء) بالقرب من الكوفة ، كما سموا أيضًا بالمحكمة ؛ لرفعهم شعار لاحكم إلا لله

انظر لمعرفة تاريخ نشأة الخوارج البداية والنهاية - لابن كثير ح٧ص٢٥١ ط الثانية ١٩٧٤ م - ١٣٩٤ هـ مكتبة المعارف .

(١) النساء / ١٠٠

(٢) البقرة / ٢٠٧

والتفافهم حوله [١]

ومهما يكن من شيء فإن اسم (الخوارج) في معناه الأول الذي يشير إلى الانشقاق ومفارقة الجماعة ، أصبح الاسم السائر على هذه الجماعة . وإذا كان اسم الخوارج قد أطلق على جماعة معينة ظهرت في الفترة التي أعقبت التحكيم فإن الاتجاه الخارجي الذي مثله هؤلاء الخوارج قد وردت الإشارة إليه في أحاديث عديدة ، كما ظهر أفراد على عهد رسول الله ﷺ يمثلون هذه الظاهرة [٢] واعتبروا من ثم سلفاً للخوارج المتأخرين .

وفي هذه العجالة لايسعنا إلا أن نطوي الحديث عن التعرض لكل فرقة من فرق الخوارج ، ولكن نكتفي بالكلام على أشهرها وهي مايأتي :

أولاً : الأزارقة : وهم أتباع نافع بن الأزرق ، وهم يكفرون من عداهم من المسلمين ، ودارهم دار حرب .

ثانيًا : النجدات ، وهم أتباع نجدة بن عامر ، وهم يرون أنه لاحاجة للناس إلى إمام قط ، بل عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ، فإن رأوا أن الحاجة تدعو إلى إمام أقاموه وإلا فلا ، كما أنهم يكفرون من يقول بإمامة نافع بن الأزرق .

ثالثًا : الصفرية : وهم أتباع زياد بن الأصفر ، وهم يقولون بأن أصحاب الذنوب مشركون .

---

(١) لمزيد من التعرف على أسماء الخوارج انظر الخوارج في العصر الأموي ، نايف محمود معروف ص١٨٧ / ١٩٤ دار الطليعة للطباعة والنشر ؛ الحور العين ص٢٠٠

(٢) أمثال ذي الخويصرة ، انظر دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، أحمد جلي ص٣٨ ط الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

رابعًا : الإباضية : وهم أتباع عبدالله بن إباض ، وهم أعدل فرق الخوارج وأقربها إلى تعاليم أهل السنة ، وهم يجمعون على أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولامؤمنين ولكنهم كفار ، ويروى عنهم أنهم يريدون كفر النعمة ، وأنهم ينكرون أنهم خوارج ، ومما هو معلوم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كانوا معه في حرب صفين ، وأشدهم خروجًا عليه ومروقًا من الدين : الأشعث بن قيس الكندي ، ومسعر بن فدكر التميمي ، وزيد بن حصين الطائي ، حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله !انفروا إلى بقية الأحزاب ! انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله ، أنتم تقولون : صدق الله ورسوله : قالوا : لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين ، وإلا فعلنا بك مثل مافعلنا بعثمان ، فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع ، وولوا مدبرين ومابقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة ، فامتثل الأشتر أمره ، وكان من أمر الحكمين أن الخوارج حملوه على التحكيم أولاً . وكان يريد أن يبعث عبدالله بن عباس رضي الله عنه فما رضي الخوارج بذلك ، وقالوا هو منك . وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله تعالى . فجرى الأمر على خلاف مارضي به ، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا : لم حكمت الرجال ؟ لاحكم إلا لله ؟ (١)

أما الأحاديث التي تشير إلى أوصاف الخوارج ، والأمر بقتالهم ، وذمهم فقد صحت هذه الأحاديث بأوجه عديدة بلغت عشرة أوجه كما ذكر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقد خرجها مسلم في صحيحه ، وخرج البخاري طائفة منها (٢)

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١١٤ دراسة عن الفرق أحمد جلي ص٣٥ - التفسير والمفسرون - الذهبي ج٢ ص٣٠٢ والخوارج-مصطفى حلمي - ط الأولى ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م دار الأنصار

(٢) مجموع الفتاوى (ابن تيمية) مجلد ٧ ص٤٩٧

ومنها - عن أبي سعيد الخدري أنه قال : «بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها ، قال فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بها من هـــؤلاء ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء . قال : فقام رجل غائر العينين ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ، كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشمر الإزار ، فقال : يارسول الله اتق الله ، فقال ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله . قال : ثم ولى الرجل ، فقال خالد بن الوليد : يارسول الله ألا أضرب عنقه ، فقال : لالعله أن يكون يصلي ، قال خالد : فكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه . فقال رسول الله ﷺ : إني لم أ ومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم : قال ثم نظر إليه وهو مقف وقال : إنه يخرج من ضئضىء # هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . قال أظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[1] ومما ورد في صفتهم « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان »[2]

وعنه رضي الله عنه قال :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة (باب ذكر الخوارج وصفاتهم) ح٧ ص١١١ ، صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء (باب قول الله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ ح٤ ص١٠٨

ضئضىء : أي من أصله ونسله ، لسان العرب ٢٠٣/ ١

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري برقم(٧٤٣٢ ، ٤٦٦٧) مختصرًا ، ومسلم ك ١٢ ب ٤٧ برقم (١٠٦٤).

سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم، يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم ،يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، تنظر في النصل* فلا ترى شيئًا ،ثم تنظر في القدح فلا ترى شيئًا ، ثم تنظر في الريش فلا ترى شيئًا وتتمارى في الفرق** »[١]

وعن سعيد بن جمهان قال :

«كنا نقاتل الخوارج ، وهم في ذلك الشط ،ونحن من ذا الشط قال : فناديناه أبا فيروز ويحك هذا مولاك عبدالله بن أبي أوفى ، فقال : نعم الرجل لوهاجر، فقال : مايقول عدوالله ؟ فقلنا : يقول : نعم الرجل لوهاجر ، فقال : هجرتي مع رسول الله ﷺ ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طوبى لمن قتلهم أوقتلوه ، طوبى لمن قتلهم ، أوقتلوه »[٢]

وهنا يحسن بنا أن ننقل بعض عبارات علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخوارج لما سمع قولهم لاحكم إلا لله ، قال عليه السلام :

«كلمة حق يراد بها باطل . نعم إنه لاحكم إلا لله . ولكن هؤلاء يقولون لا أمر إلا لله »[٣]

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦١٠)

*النصل : القدح **والفرق : أجزاء السهم المرمي به

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٣٨٢) وحسنه الألباني في تخريجه لكتاب السنة لأبي أبي عاصم (٩٠٦) وكذلك المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي اختصره أبومعاذ محمود بن إمام من منصور آل موافي ص ٢٩

(٣) نهج البلاغة . ح١ ص٩٣ شرح محمد عبده دار المعرفة .

أما معتقداتهم فقد لخصها الشيخ د . صالح الفوزان بقوله الخوارج مذهبهم :

١- أنهم لايلتزمون بالسنة والجماعة ولايطيعون ولي الأمر ، ويرون أن الخروج عليه من الدين ، وأن شق العصا من الدين عكس ماأوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم من لزوم الطاعة ، وعكس ما أمر الله به في قوله : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾[١]

فقد جعل الله جل وعلا طاعة ولي الأمر من الدين ، كذلك النبي ﷺ فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً »[٢]

٢- ويرون أن مرتكب الكبيرة كافر ، ومرتكب الكبيرة هو الزاني مثلاً يرون أنه كافر في حين أن أهل السنة والجماعة يرون أنه مسلم ناقص الإيمان ، ويسمونه بالفاسق المليِّ ، فهو «مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته »

٣- والخوارج يقولون : مرتكب الكبيرة كافر ، ولايغفر له ، وهو مخلد في النار ، وهذا خلاف ماجاء في كتاب الله ، قال تعالى : ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾[٣] وقال : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾[٤] والسبب في ذلك أنهم ليس عندهم فقه ؛ ولهذا

---

(١) النساء / ٥٩

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤ / ١٢٦ - والترمذي برقم (٢٦٧٦) - وأبوداود (٤٦٠٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨١) البغوي في شرح السنة (٢٠٥)

(٣) البقرة / ١٧٨

(٤) الحجرات / ٩

والسبب في ذلك أنهم ليس عندهم فقه ؛ ولهذا

وصفهم النبي ﷺ لأصحابه ، بأن الصحابة يحقرون صلاتهم إلى صلاتهم ، وعبادتهم إلى عبادتهم ، ثم قال ﷺ «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »[١][٢]

وختاماً فإن جملة ماخالف فيه الخوارج أهل السنة :

١- الحكم على مرتكب الكبيرة بأنه كافر مخلد في النار .

٢- القول بأن العمل جزء من الإيمان، ومغالطتهم في هذا ، حتى ساووا بين الخطأ في العمل ، والخطأ في الاعتقاد .

٣- إلزامهم الناس باعتناق آرائهم بحد السيف مع مخالفة ذلك لقواعد الإسلام .

٤- خروجهم على السلطان دفاعاً عن آرائهم ، مع مخالفة ذلك لقول النبي ﷺ «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فقالوا يارسول الله : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لاماأقاموا الصلاة »[٣]

والخوارج من أكثر الفرق مغالاة ، وقد كلفوا الأمة الإسلامية كثيراً من الدماء والأموال .

(١) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (٣/ ٧٣) ، والبخاري (٧٤٣٢) ومسلم (١٠٦٤) ، والنسائي (٢٥٧٧) ، وأبوداود (٧٤٦٤)

(٢) انظر لمحة عن الفرق الضالة ص٣٥ ط الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م دار السف - كذلك أهم الفرق الإسلامية محمد الطاهر النفير ص٦٠ تحقيق كمال الحوت ، الشركة التونسية .

(٣) مسلم ك٣٣ ب١٦ رقم الحديث ٦٢

المبحث الأول :التعريف بهم

تعريف الخوارج لغة :

إذا نظرنا إلى مادة خرج في اللغة نجد أن كتب اللغة تكاد تجمع على معنى هذه الكلمة .

فابن منظور يقول عن مادة خرج :

خرج : الخروج نقيض الدخول ، وخرجت خوارج فلان ، إذا ظهرت نجابته ، وتوجه لإبرام الأمور وإحكامها .

والخارجي : الذي يخرج ، ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم .

والخارجية : خيل لاعرق لها في الجودة ، فتخرج سوابق ، وهي مع ذلك جياد . وقيل الخارجي : كل ما فاق جنسه ونظائره .

قال ابن الأعرابي : معنى خرجها أدبها كما يخرج المعلم تلميذه .

والخوارج : الحرورية . والخارجية : طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن النار »[١]

أما صاحب المنجد[٢] في اللغة والإعلام فقد وافق ابن فارس[٣] في بعض عباراته فقالا :

إن الخارجي : هو من يسود نفسه من غير أن يكون له قدم في السيادة ، وهو الذي يقال في الرجز : نفس عصام سودت عصامًا أوهو الشجاع ، وهو ابن

---

(١) لسان العرب ج١ ص٨٠٧

(٢) ص١٧٢ - ١٧٣ ط٢٣ - دار المشرق بيروت .

(٣) معجم مقاييس اللغة ص٣١٣

جبان .

أما عن أصل الكلمة - الخاء والراء والجيم - فقد قال فيه ا بن فارس في مادة خرج «الخاء والراء والجيم أصلان ، وقد يمكن الجمع بينهما » .

فالأول : النفاذ من الشيء ، والثاني اختلاف لونين »[١]

أما عن معنى هذه الكلمة في آيات القرآن ، فيقول الراغب الأصبهاني :

« مادة خرج خروجًا : برز من مقره أوحاله ، سواءً كان مقره دارًا أوبلدًا أو ثوبًا .

والخارجي : الذي يخرج بذاته عن أحوال أقرانه ، سواء كان حاله في نفسه أو في أسبابه الخارجية .

قال تعالى : ﴿ فخرج منها خائفًا يترقب ﴾[٢]

أما صاحب تاج العروس فإنه يذكر أسبابًا أخرى لتسمية الخوارج بهذا الاسم فيقول : « الخوارج قوم من أهل الأهواء ، لهم مقالة على حدة ، وهم الحرورية والخارجية ، وهم سبع طوائف سموا به ، لخروجهم على الناس ، أوعن الدين ، أوعن الحق ، أوعن علي -كرم الله وجهه- بعد صفين »[٣]

فنلاحظ هنا أن صاحب تاج العروس قد زاد معنى للخوارج ، وهو لخروجهم عن الناس أوعن الدين أوعن الحق أوعن علي كرم الله وجهه والملاحظ أنها كلها ترجع إلى معنى واحد ، وهو التمرد عن الجماعة الحقة .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) القصص / ٢١

(٣) تاج العروس مادة خرج

التعريف الاصطلاحي :

قال البغدادي -رحمه الله -في الفرق بين الفرق : « وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فقالوا: إكفار علي ، وعثمان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين ، والإكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج على الإمام الجائر »[١] .

قال أبوالحسن الأشعري -رحمه الله -في المقالات : «الذي يجمع الخوارج إكفار علي ، وعثمان وأصحاب الجمل ، والحكمين ، ومن رضي بالتحكيم ، وصوب الحكمين أوأحدهما ، والخروج على السلطان الجائر »[٢] .

ويؤيد الإمام البغدادي قول الشيخ أبي الحسن الأشعري بقوله «والصواب ماحكاه شيخنا أبوالحسن عنهم ، وقد أخطأ الكلبي في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكب الذنوب منهم ، وذلك أن النجدات من الخوارج لايكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم »[٣]

أما الشهرستاني -رحمه الله - في الملل والنحل فيقول :
«ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولايصححون المناكحات إلا على ذلك . ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقًا واجبًا »[٤]

---

(١) الفرق بين الفرق ص٧٣ البغدادي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ١٩٦٥م دار الأنصار

(٢) مقالات الاسلاميين ج١ ص١٥٦

(٣) الفرق بين الفرق ٧٤

(٤) الملل والنحل ج١ ص١١٥

ومما سبق يتضح لنا أن الذي يتميز به الخوارج هو تكفير عثمان وعلي خاصة أو التبرؤ منهم إلا أن الشريف الجرجاني يصفهم بوصف آخر مستقل عما سبق فيقول :

الخوارج : «هم الذين يأخذون العشر من غير إذن سلطان »[١]

ثم نجد أن الإمام الشهرستاني -رحمه الله -يعمم هذا الأمر في التعريف بهم فيقول : الخوارج : «كل من خرج عليه الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان »[٢]

ومن هذا التعريف نستطيع أن نؤكد على بداية تاريخ الخوارج،وأنه منذ عهد الصحابة .

كذلك نجد الراغب الأصفهاني يعرف الخوارج : «بأنهم خارجون عن طاعة الإمام » [٣]

أما من المحدثين فنجد صاحب المنجد في اللغة يقول عند مادة خرج :

الخوارج : «قوم يخالفون السلطان والجماعة سبع* فرق من كبار الفرق الإسلامية »[٤]

---

(١) التعريفات ص١٣٧ دار الكتاب العربي ط٢ ، ١٩٩٢م - ١٤١٣ هـ

(٢) الملل ج١ ص١١٥

(٣) المفردات ص١٤٥

(٤) المنجد في اللغة والاعلام ص١٧٣

*وهم : المحكمة - الأزارقة - النجدات - البيهسية - العجاردة الثعالبة - الإباضية - الصفرية . الملل والنحل ج١ص١١٥

أما الشيعة فنجدهم يعرفون الخوارج بأنهم :

«الذين خرجوا على إمام زمانهم الشرعي ، وأظهر مصاديقهم خوارج صفين والنهروان . وأن لهم معتقدات تخالف معتقدات المسلمين كافة : كقولهم بتكفير عائشة وطلحة والزبير بمقاتلتهم عليًا ، وأن عليًا كان يومئذ على الحق ، ثم كفر ـ نعوذ بالله - ولهم آراء تافهة منبثقة من أمرين :

الأول : تكفير علي وعثمان وعائشة وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بهما .

الثاني : رأيهم في أن كل من أذنب ذنبًا فهو كافر »[١]

أما صاحب الفصول المهمة فيقول :

«الخوارج هم هؤلاء الذين خرجوا على علي - عليه السلام- لما حكم الحكمين وقالوا: لاحكم إلا لله ، وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ وآله : «يمرقون من الدين كما تمرق السهم من الرمية »[٢]

ولعل التعريف المختار هو :

« أن الخوارج : هم الذين يكفرون بالمعاصي ، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم . ويشمل ذلك : الخوارج الأولين (المحكمة الحرورية) ومن تفرع عنهم من الأزارقة والصفرية والنجدات (وهذه الثلاثة انقرضت) والإباضية (وهم باقون إلى اليوم) .

كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم ، كجماعات التكفير والهجرة في هذا العصر ونحوهم »[٣] وعلى هذا فإن الخوارج قد

(١) تلخيص الشافي . لأبي جعفر الطوسي ج٢ ص٥٢

(٢) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأمة - علي بن محمد المالكي ص١٠٥ ، دار الأضواء .

(٣) الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام . ناصر العقل ص٢٨ - ط الأولى ١٤١٦ هـ دار الوطن .

يخرجون في كل زمان ، وسيظهرون في آخر الزمان ، وكما أخبر النبي ﷺ عن الخوارج الأولين ، فقد أخبر ﷺ كذلك عن المتأخرين ، وأنهم يخرجون في آخر الزمان ، قال ﷺ : «سيخرج قوم في آخر الزمان ، أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لايجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة »[١]

هذا بالنسبة لكتب العقائد ، أما الموسوعات فنجد الموسوعة العربية العالمية تعرف الخوارج أنهم مذهب سياسي في الأصل .

أما صفات الخوارج فهي كثيرة جعلتهم قوماً خصمين يجادلون عن مذهبهم :

١ - الفصاحة ، وطلاقة اللسان ، ومعرفة طريقة تأثير الكلام .

٢ - التشدد في العبادة ، والانهماك فيها .

٣ - الشجاعة الخالصة النادرة .

٤ - حبهم للجدل والمناقشة ومذاكرة الشعر ، وغلبة التعصب على جدلهم ، وعدم التسليم للخصوم بحجة ، وعدم الاقتناع بفكره مهما كانت قريبة من الحق »

ومذهبهم لايزال منتشراً إلى الآن في عمان وبعض بلاد المغرب # العربي أ . هـ[٢]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدين ، باب ٦ الحديث ٦٩٣٠ فتح الباري ١٢ / ٢٨٣

انظر الخوارج في المغرب الإسلامي - محمود إسماعيل ، دار العودة ١٩٧٦م .

(٢) انظر الموسوعة العربية العالمية ج١٠ ص١٧٥ - ١٧٧

المبحث الثاني

قولهم في الشفاعة

تعد الخوارج من الفرق المنكرة لنوع من أنواع الشفاعة ، وهو شفاعته -ﷺ- لأهل الكبائر .

يقول شيخ الإسلام في أكثر من كتاب له [١]

وأما الخوارج : فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر ، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات ، وقد قرر هذا ابن حزم في الفصل، وشارح الطحاوية ، والحكمي #في معارج القبول .

قال أبو محمد: «اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم ، وهم المعتزلة والخوارج، وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها »[٢]

قال شارح الطحاوية : « ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاث أقوال . . . والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ج١ ص١٤٨ - الاستغاثة لشيخ الإسلام ص١٠ تحقيق عبدالحميد شانوحة دار المطبوعات الحديثة . ط الأولى .

هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ) (١٩٢٣ - ١٩٥٨ م) فقيه أديب من علماء جيزان ، ولد في قرية السلام عاش بدويًا يرعى الغنم ، ثم قرأ القرآن ، وطلب العلم لما بلغ السادسة عشرة ألف كتبا طبع أكثرها على نفقة الملك سعود بن عبدالعزيز ، من كتبه (الجوهرة الفريدة في العقيدة) (سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة ، و(معارج القبول) شرح لها ، الأعلام ج٢ص١٥٩

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ ص١١١

في أهل الكبائر »[١]

قال الحكمي : الشفاعة الثالثة في إخراج عصاة الموحدين من النار وهي :

وثالـــثًا يـــقع في أقـــوام ماتوا على دين الهدى الإسلام

وأوبقتـهم كـــثرة الآثـــام فأدخلوا النـار بـذا الإجـــرام

أن يخرجوا منها إلى الجـنان بفضل رب العرش ذي الإحسان

قال : وأنكرها في عصر الصحابة الخوارج ، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون الشهادتين غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية ، عالمين بتحريمها ، معتقدين بما جاء فيه الوعيد الشديد[٢].

وحتى لايكون الحديث من الخصم فإننا نسوق مصداق ذلك من كتبهم .

قال صاحب مشارق أنوار العقول :

« شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلفين .

والتقي : هو من جانب المحرمات ، وأدى الواجبات ، فلاشفاعة لغيره من الأشقياء »

وهذا نص صريح في أن أصحاب الكبائر ليس لهم شفاعة عندهم .

وفي كتاب آخر لهم يقولون : «والشفاعة عند الإباضية ثابتة ، وهي للمؤمنين المطيعين ، أما أهل الكبائر فلاتنالهم الشفاعة إلا إذا كانوا تائبين» وهذا تصريح في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٥

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد الحكمي ج٢ ص٨٩٦ علق عليه عمر أبوعمر ، دار بن القيم ط الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .

وعرف الخوارج الشفاعة بقولهم : «بأنها سؤال النبي ﷺ من الله الإذن للمؤمنين في دخول منازلهم في الجنة بعد الفراغ من الحساب » وهذا فيه إثبات نوع من أنواع الشفاعة .

وجاء في قاموس الشريعة : قال أصحابنا - رحمهم الله - : «الشفاعة حق لاتكذيب فيها ، لكنها للمؤمنين المطيعين دون أهل الكبائر من العاصين والفاسقين » وهذه مثل الأولى .

يقول أحد مشايخهم : « وأما الشفاعة فهي حق للمؤمنين الذين رضي الله عملهم »[١]

وفي كتاب العقود الفضية ، في أصول الإباضية ، نص صريح في موقفهم من الشفاعة فيقول : «ومن ذلك شفاعة النبي ﷺ لاتكون لمن مات مصراً غيرتائب ، إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة ، أومات وقد نسي ذنباً أن يتوب منه ، أولزيادة درجة في الجنة ، أولتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة »[٢] وهنا ذكر الأنواع التي يثبتونها

أما كتب التفسير عندهم فنجدها تفسير آيات القرآن الكريم وفق ماتذهب إليه

---

(١) انظرهذه مبادئنا رد على كتاب (الإباضية عقيدة ومذهبا) د. صابر طعيمة . إعداد أحمد مصلح ، محمود الأندلسي ، عاشور كسكاس - مهنى التبواجني ص١٧٥ ومابعدها .

(٢) انظر العقود الفضية في أصول الإباضية - سالم بن حمد بن سليمان الحارث من ص٢٨٥ - ٢٩٥ نقلاً عن دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، عبدالله الأمين ص٢٠٦ دار الحقيقة - بيروت . ط الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : ﴿واتقوا يومًا لاتجزي نفس عن نفس شيئًا ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ﴾[١] يقول : « . . . . وإن قلت : فهل الشفاعة والنداء بالعدل واقعان ولكن لايقبلان ؟ أم غيرواقعين ؟ قلت : غير واقعين . . . أما من تأهل للشفاعة من الملائكة والأنبياء والعلماء والصالحين ، فلايتعرضون بها لمن ظهرت شقاوته لهم ، فإن تعرضوا بها لهم قبل أن تظهر لهم ، قيل لهم : إنهم بدلوا وغيروا ، وليسوا أهلاً لها »[٢]

ويقول في موضع آخر : عند قوله تعالى : ﴿ ولاتنفعها شفاعة . . . ﴾[٣] ولاتنفعها شفاعة لعدمها هناك ، فالمراد أنه لاشفاعة تنفعها ، فالشفاعة هنالك منفية من أصلها ، وليس المراد أنه هناك شفاعة لاتقبل ، فإنه لاشفاعة له هنالك إلا شفاعة القيام لدخول النار ، ولانفع له في دخول النار ، إنما الشفاعة للموحد التائب »[٤]

وعند قوله تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء . . . ﴾[٥]

يقول : «فالآية نص أو كالنص في أن لاشفاعة لأهل الكبائر ؛ أي أنت بريء منهم على كل وجه ، وقد علمت عن عمر وأبي هريرة أن الآية في أهل البدع من

---

(١) البقرة / ٤٨

(٢) انظر هميان الزاد إلى دار المعاد - محمد بن يوسف اطفيش ٢ ص١٧ نقلا عن التفسير والمفسرون ج٢ ص٣٢٥

(٣) البقرة / ١٢٣

(٤) انظر هميان الزاد ج٢ ص٢٩٩

(٥) الأنعام / ١٥٩

هذه الأمة »[١] ومما تقدم نخلص إلى مايلي :

١ - الشفاعة عند الخوارج هي : سؤال النبي ﷺ من الله الأذن للمؤمنين في دخول منازلهم في الجنة بعد الفراغ من الحساب .

٢ - أنهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر .

٣ - أنهم يثبتون من أقسام الشفاعة :

أ - زيادة درجات المؤمنين .

ب - الشفاعة لأهل الموقف .

ومن هذه النصوص المتضافرة نجد أن الخوارج ينكرون شفاعة أهل الكبائر من المؤمنين ، ويكفرونهم بارتكاب الكبيرة ، فما هو أصل هذا القول وما الذي حدا بهم إلى ذلك ؟ هذا ماستتعرف عليه في الصفحات القادمة .

---

(١) همیان الزاد ج٦ ص٢٧٤

أصل قولهم :

يقول د. أحمد جلي ، وهو يبين المبادئ العامة للخوارج :

« المبدأ الثاني للخوارج ، وهو اعتبار مرتكب الكبيرة كافرًا فقد بنى الخوارج رأيهم فيه على قولهم : إن العمل بأوامر الدين ، والانتهاء عما نهى عنه جزء من الإيمان ، فمن عطل الأوامر ، وارتكب النواهي لايكون مؤمنًا ، بل كافرًا ؛ إذ الإيمان لايتجزأ ولايتبعض »[١]

«وهذا قد اختلفت مذاهب المسلمين فيه ، فمذهب الخوارج أن الإيمان هو الطاعة ومال إلى ذلك كثير من المعتزلة .

واختلفت مذاهبهم في تسمية النوافل إيمانًا ، فذهب أبوالهذيل إلى تسميةالنوافل إيمانًا ومنع غيره .

وصار أهل الحديث إلى أن الإيمان هو معرفة بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

وذهب بعض العلماء إلى أن الإيمان : هو المعرفة بالقلب والإقرار بها .

وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فحسب ، ومضمر الكفر عندهم إذا أظهر الإيمان مؤمن حقا ، غير أنه يستوجب الخلود في النار، ولو أضمر الإيمان ، ثم لم يتفق منه إظهاره ، فليس بمؤمن وله الخلود في الجنة »[٢]

« ويرى بعض الباحثين أن الخوارج تفردوا في تفسير مفهوم الإيمان ، دون سائر المسلمين ، فقد كان المسلمون قبل الخوارج يرون أن الإيمان يعني الاعتقاد

---

(١) دراسات عن الفرق . أحمد جلي ص٤٩

(٢) لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول - لأبي الحجاج يوسف المكلاتي ص٣٨٧ ، تحقيق فوقية حسين محمود . دار الأنصار ط الأولى ١٩٧٧

الداخلي ، ثم الإقرار به نطقاً باللسان ، لكن الخوارج زادوا مسألة الإخلال بالعمل ينقص الإيمان في هذا المفهوم عنصراً هو العمل الخارجي العضوي »[١]

وهذا كله يرجع إلى مسائلة إنفاذ الوعد والوعيد .

يقول شارح جوهرة التوحيد تحت قوله :

وخاذل لمن أراد بعده ومنجز لمن أراد وعده

« وما يجب شرعا اعتقاده : أن الله تعالى معط - لمن أراد به خيراً - وعده الذي سبقت به إرادته في الأزل ؛ إذ المراد لايتخلف عن الإرادة ؛ لأنه لو تخلف إعفاء الموعود به لزم الكذب والسفه والخلف والتبديل في القول ، وهو خلاف قوله تعالى : ﴿ إنك لاتخلف الميعاد ﴾[٢] ، وقوله : ﴿ مايبدل القول لدي ﴾[٣] فوعد الله المؤمنين بالجنة لايتخلف - شرعا - قطعًا ، إذ الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه ، وأما الوعيد فلابد من تحققه بالكافرين قطعاً .

وأما عصاة المؤمنين فيجوز أن يغفر الله لهم ، ويجوز أن يعذبهم ، ويدخلهم النار إلا أنه يقطع بإنفاذ الوعيد في بعض المؤمنين لورود أخبار بذلك »[٤]

فمسألة ارتكاب الكبيرة من أكثر المسائل التي أثارت الجدل بين المسلمين حتى جعلها أحد الكتاب المحدثين السبب في نشأة علم الكلام والفرق ، وقد دخلت هذه المسألة في علم الكلام ، بعد أن صار علماً ، وكما أن هذه النظرية كانت

---

(١) قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم - أحمد سليمان معروف ص١٣٦ : ط الأولى ١٩٨٨ م دار طلاس .

(٢) آل عمران / ١٩٤

(٣) سورة ق / ٢٩

(٤) الخوارج الحروريون . أحمد حجازي السقا ص٤٥ مكتبة الكليات الأزهرية .

منطلق الخارجي ، فإن حركة المعتزلة في الأصل نشأت من الجدل في مرتكب الكبيرة ، ومن هنا تأتي أهمية الخوارج في ظهور حركة الاعتزال .

المهم أن مسألة مرتكب الكبيرة هي الأصل في إنكار الخوارج للشفاعة :

«ولقد خالفت الخوارج غيرها من الفرق الإسلامية بشأن ارتكاب الكبائر إذ قالوا : إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإسلام ، وينتقل إلى دائرة الكفر ، أما نوعية العذاب في الآخرة ، فيزعمون أن مرتكبي الكبائر من منتحلي الإسلام يعذبون عذاب الكافرين ، ويخلدون في النار »[١]

والذي أدى بالخوارج إلى مثل هذه الآراء هو سوء فهمهم للقرآن ، فهم لم يقصدوا معارضته ، ولكن فهموا منه مالم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ، إذا كان المؤمن هو البر التقي ، فمن لم يكن برًا تقيًا فهو كافر وهو مخلد في النار ، فكانت بدعتهم لها مقدمتان كما يقول ابن تيمية [٢] :

الأولى : أن من خالف القرآن بعمله أورأيه فهو كافر .

الثانية : أن عثمان وعليًا ومن والاهما كانوا كذلك ، وكلا المقدمتين خطأ »[٣]

---

(١) الخوارج في العصر الأموي - نايف محمود معروف ص : ٢٠٠ دار الطليعة للطباعة والنشر .

(٢) دراسات عن الفرق - أحمد جلي ص٥٠

(٣) الفتاوى ج١٣ ص٣٠ - ٣١

الأدلة على تكفير مرتكبي الكبيرة :

أما مايستدل به جمهور الخوارج على أن مرتكب الكبيرة كافرٌ من القرآن ، فهو ماذكر الله في صفة عباد الرحمن :

١ - في سورة الفرقان من قوله : ﴿ والذين لايدعون مع الله إلهًا آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴾[١] وقوله : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها ﴾[٢] قالوا : «وقد علمنا أن من ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، وارتكب شرب الخمر والزنا ، وقتل النفس المحرمة فهو متعد لحدود الله،فهو من أهل العقاب وبين أن الفاسق كالكافر في أنه من أهل الخلود إلا من تاب من الفساق أو آمن من الكفار »[٣]

٢ - قوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾[٤]

قالوا : إن الله وصف تارك الحج بالكفر وترك الحج ذنب ، فإذن كل مرتكب للذنب كافر .

٣- قوله ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾[٥]

قالوا : إن الفاسق لايجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت وجوههم ، ووجب من ثم أن يسمى كافرًا »[٦]

---

(١) الفرقان / ٦٨

(٢) النساء / ١٤

(٣) هذه مبادئنا ص١٦٩

(٤) آل عمران / ٩٧

(٥) آل عمران / ١٠٦

(٦) دراسة عن الفرق ص٥٠ ، ٦٠

٤- قوله : ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾[١]فقد حكم على من أطاع المشركين بأنه مشرك مثلهم .

٥- قوله : ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴾[٢]
هذه الآية في حق من خفت موازينه ، والاستدلال بهذه الآية هو أن الفاسق ممن خفت موازينه ، وكل من خفت موازينه فهو مكذب بالآية مشرك، فالفاسق مكذب مشرك [٣]

ومن الملاحظ أنه :
مع وفرة الآيات التي يستدل بها الخوارج إلا أننا نجدهم يقللون من الاستدلال بالأحاديث في مثل هذه القضايا ؛ لأنها أحادية لم تبلغ حد التواتر - على حد قولهم - حتى إن ذكروا أحاديث فلمجرد التدعيم ، ونسوق منها حديثين :
أولاً : قال رسول الله ﷺ «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا أبدًا »[٤]

ثانيا : قوله : «ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبدا »[٥]

قالوا : وواضح أن هذه الأحاديث في صاحب الكبيرة من أهل الملة ، وإلا فإن الكافر مقطوع بخلوده في النار قتل نفسه أولم يقتل [٦]

---

(١)الأنعام : الآية ١٢١

(٢) المؤمنون : الآية ١٠٥

(٣) انظر مشارق أنوار العقول لسالمي ج١ ص : ٣٩٦ - ٣٩٧ عبدالرحمن عميرة ط الأولى ١٩٨٩م دار الجيل .

(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان (باب غلظ تحريم قتل النفس)(٤٧) رقم ١٧٥

(٥) البخاري : جنائز ٨٣ (٦) هذه مبادئنا ص١٦٩ - ١٧٠

ومن الشبه التي برروا بها معتقدهم قالوا :

«إنه لايجوز أن يجتمع في الإنسان الواحد الإيمان والنفاق ، فيكون محمودًا من وجه ومذمومًا من وجه آخر ، فيستحق الجنة والنار جميعًا .

فلابد من خلود في النار أوخلود في الجنة »[١]

الجواب عن هذه الأدلة :

نحن هنا نُعرض عن الرد المفصل لكل آية أوحديث ، ولكن سنحاول أن نوجز بعض الردود العامة من كتب المعتزلة أو الشيعة أوأهل السنة .

أولاً :

«إن هذه الآيات التي استشهد بها الخوارج واضح فيها تمسكهم بظواهر النصوص ، ومحاولة فهمها من غير اعتبار للآيات الأخرى التي تصف مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن ، ومن غير اعتبار لعمل الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسنته التي تبين القرآن وتفسره ، وهذه الآيات التي احتج بها الخوارج إما أنها تصف حال المؤمنين والكفار في الآخرة ، أويقصد بها استحلال ذنب . . . . الخ »[٢]

ثانيًا :

إن الإمام عليًا في إحدى خطبه رد على مزاعم الخوارج ، فأنكر عليهم تكفيرهم لمرتكب الكبيرة ، واحتج عليهم بفعل الرسول ﷺ وأعلمهم بأنه لوكان مرتكب الكبيرة كافرًا لما صلى عليه النبي ﷺ ، ولما مكنه من وراثة المسلم

---

(١) الخوارج في العصر الأموي ٢٠١ انظر لمزيد من الأدلة : الحق الدامغ - أحمد الخليلي ص٢٠٢

(٢) دراسة عن الفرق ص٥١

أونكاح المسلمات ، أوأخذ نصيبه من الفيء»[١]

أما ابن أبي الحديد* فإنه يغير وجْه الرد،ويجعلها فلسفية ، فيقول - رادًا على تلك المزاعم -بتكفير الفاسق مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[٢] فوجد أن هذه الآية تدل على فسق الكافر ، ولكنها لاتدل على كفر الفاسق »[٣]

ثالثًا : قد رد على الخوارج في مسألة تكفيرهم صاحب الكبيرة القاضي عبدالجبار المعتزلي في شرح الأصول الخمسة فقال : «إن صاحب الكبيرة لايسمى كافرًا ؛ لأن الشرع جعل اسم الكفرعلى من يستحق العقاب العظيم ، ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة والدفن في مقابر المسلمين ، ومعلوم أن صاحب الكبيرة ممن يستحق العقاب العظيم ، ولاتجري عليه هذه الأحكام فلم يجز أن يسمى كافرًا »[٤]

رابعًا : هذا المذهب يناقض معظم الآيات من الكتاب والأخبار من السنة #

---

*أبوالحسن . أحمد بن عبدالواحد بن أبي الحديد توفي في ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ وعمره بضع وثمانين سنة ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨ / ٤١٨

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٨ص١١٢

(٢) النور : ٥٥

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨ / ١١٧ تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم ، ط الثانية ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م ، عيسى البابي الحلبي .

(٤) ص٧١٢

أمثال حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وهو رديف على الرحل : «مامن أحد شهد أن لاإله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال : يارسول الله : أفلا أخبر به الناس ليستبشروا ؟ قال : إذن يتكلوا . وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا » متفق عليه ولفظه للبخاري ، ك العلم .

ويغلق باب الرحمة ، ويفضي إلى اليأس والقنوط وقد قال تعالى : «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعًا ، إنه هو الغفور الرحيم »[١]

وقال الله تعالى : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[٢]

وقال تبارك وتعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[٣]

ومن أوضح مايلزمهم أن يقال لهم :

الشرع يدل على درء السيئات بالحسنات ، فإحباط العقاب أحق ، قال تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ ثم الطاعات ثابتة على حقائقها ، صحيح أداؤها ، والإصرار على الكبائر لوكان يدرأ ثواب الطاعات [٤] لكان ينافي صحتها كالردة . ومفارقة الملة ، فإنها لما كانت محبطة ، كانت منافية لصحة العبادات . ثم الثواب يستحق على الطاعات ، ولو كان عندهم بحسبها ، ووقوعها طاعات ، وذلك يتحقق مع الكبيرة الواحدة محققة دونها .

والجواب عن الشبهة : لاخلاف أنه موصوف بكونه مطيعًا بطاعته ، موقنًا موحدًا ، وكل ماذكرناه من سمة الأولياء - ثم إنما تتناقض سمة المشاقة والموافقة في الشيء الواحد ولابعد في المخالفة في الشيئ والموافقة في غيره ، ثم إن لم يكن يدمن الإحباط والإسقاط فهلا أحبطتم العقاب وغلبتم الثواب »[٥]

---

(١) الزمر / ٥٣

(٢) النساء / ١١٦

(٣) الأنبياء / ٣-٨

(٤) هود / ١١٤

(٥) انظر لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول - أبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي ص٣٩١ تحقيق فوقية حسين محمود ط الأولى ١٩٧٧م دار الأنصار .

ونختم هذه الردود بقول لشيخ الإسلام في ثنايا أحد رسائله فيقول :
«فصل : ولايجوز تكفير المسلم بذنب فعله ، ولابخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة ، فإن الله تعالى قال : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . .﴾[1]

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء ، وغفر للمؤمنين خطأهم ، والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب ولاالصحابة ، بل جعلوهم مسلمين ، ولم يقاتلوهم حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم ، لالأنهم كفار ، ولهذا لم يسب حريمهم ، ولم يغنم أموالهم ، فإذا كانوا هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، فكيف بمن اشتبه عليه الحق في مسائل غلط فيها .

ثم يختم الشيخ -رحمه الله - بعد هذه الحجة الدامغة بقوله :
ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة الدين لايعادون كمعاداة الكفار ، فيقبل بعضهم شهادة بعض ، ويأخذ بعضهم ا لعلم عن بعض ويتوارثون ، ويتناكحون .

ثم قال في فائدة كبيرة له :

«إن الذنب لايوجب كفر صاحبه كما تقول الخوارج ، بل ولاتخليده في النار ومنع الشفاعة فيه كما يقوله المعتزلة »[1]

---

(١)رسالة لشيخ الإسلام في تفسير قوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . . .»-مخطوط - من جامعة الملك سعود - برقم ٨٢ ٠ / م

المبحث الثالث :أدلتهم

أدلة الخوارج على إنكار الشفاعة

يذكرون أدلتهم من القرآن على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر ، قال تعالى :

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[١]

﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ﴾[٢]

﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[٣]

«وهذه الآيات عامة كما رأيت ، ففي الأولى تصريح بأن الشفاعة مقصورة على من ارتضاه الله ، وفي الثالثة دليل على نفيها عن الظالم ، وهو اسم لكل من ظلم نفسه أوظلم غيره ، فلاتخص المشركين كما زعموا ، فإنها وإن كان سبب نزولها فيهم فلاعبرة بخصوص السبب مع عموم اللفظ »[٤]

وقد أسهب شيخهم أحمد الخليلي * في سرد الأدلة من الكتاب والسنة، ثم أورد كذلك اعتراضات أهل السنة عليهم ، وحاول أن يردها بمثل ماعنده من أدلتهم ففي الحق الدامغ :

«استدل بقوله تعالى : ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ماكانوا يفترون ﴾[٥]

« ووجه الاستدلال : إثبات أن هذه العقيدة من عقائد اليهود ، وأنها جرأتهم على معصية الله ، وقادتهم إلى الإعراض عن كتابه ، وذكرت في معرض تفنيد ضلالهم وتبكيتهم على عيوبهم »[٦] ولصاحب المنار في تفسيره هذه الآية كلام

---

(١)سورة الأنبياء : الآية٢٨ (٢) سورة البقرة : الآية ٤٨ (٣) سورة غافر : الآية ١٨

(٤) مشارق أنوار العقول عبدالله بن حميد السالمي ج٢ ص١٣٢ تحقيق عبدالرحمن عميرة ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م دار الجيل

* أحمد -الخليلي الشامي (١١٨٩هـ - ١٧٧٥م)أحد المدرسين بالأزهر من مؤلفاته إعراب الآجرومية ، معجم المؤلفين ١ / ١٧ دار إحياء التراث .

(٥)سورة آل عمران : الآية ٢٤

(٦)الحق الدامغ- أحمد بن حمد الخليلي ص٢١٠ - ١٤٠٩هـ .

جاء فيه : «لعل المراد بعبارة الآية أنهم كانوا يعتقدون أن الإسرائيلي إذا عوقب فإن عقوبته لاتكون إلا قليلة ، كما هو اعتقاد كثير من المسلمين اليوم ، إذ يقولون : إن المسلم المرتكب لكبائر الإثم والفواحش ، إما أن تدركه الشفاعات ، وإما أن تنجيه الكفارات،وإما أن يمنح العفو والمغفرة بمحض الفضل والإحسان ، فإن فاته كل ذلك عذب على قدر خطيئته ، ثم يخرج من النار ، ويدخل الجنة »[١]

- قوله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ﴾[٢]

وجه الاستدلال : «أن الله تعالى توعد فيها قاتل المؤمن - فيما توعده به - بالخلود في النار ، مع أن القتل كبيرة دون الشرك .

يقول الخليلي : « وقد حاولوا التخلص مما دل عليه هذا النص بضروب من التأويلات التي أنكر فيها بعضهم على بعض ، ولم يتفقوا منها على شيء .

قال الفخر الرازي : «وزعم الواحدي * أن الأصحاب سلكوا في الجواب عن هذه الآية طرقا كثيرة قال : وأنا لاأرتضي شيئا منها ، لأن التي ذكروها إما تخصيص وإما معارضة ، وإما إضمار ، واللفظ لايدل على شيء من ذلك .

قال : والذي أعتمده وجهان : الأول - إجماع المفسرين على أن الآية نزلت في كافر قتل مؤمنا ، ثم ذكر تلك القصة .

الثاني : أن قوله ﴿فجزاؤه جهنم ﴾ معناه الاستقبال ، أي أنه سيجزى بجهنم ، وهذا وعيد - قال - وخلف الوعيد كرم ، وعندنا أنه يجوز أن يخلف الله وعيد المؤمنين ، فهذا حاصل كلامه الذي زعم أنه خير مما قاله غيره ، وبعدما أورد الفخر هذا الكلام أخذ ينقضه مع ماعرف عنه من التعصب للقول بخروج أهل الكبائر من النار ، وهذا نص كلامه :

---

(١)انظر تفسير المنار - محمد رشيد رضا ج٣ص٢٦٧ ، ٢٦٨ دار المنار ط الرابعة . (٢) النساء : ٩٣

*الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي صاحب التفاسير الثلاثة (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز) وله (أسباب النزول توفي سنة ٤٦٨هـ . (انظر سيرأعلام النبلاء ١٨ / ٣٣٩

«أما الوجه الأول : فضعيف ، وذلك أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب . وأما الوجه الثاني : فهو في غاية الفساد ؛ لأن الوعيد قسم من أقسام الخبر ، فإذا جوز على الله الخلف فيه ، فقد جوز الكذب على الله ، وهذا خطأ عظيم ، بل يقرب من أن يكون كفرا ؛ فإن العقلاء أجمعوا على أنه تعالى منزه عن الكذب . ثم يقول : ونحن لاننازع الفخر في كون هذا الوعيد لايشمل القاتل غير المعتدي كالمقتص ، ولاالتائب من قتله مع استيفاء شروط التوبة ، ولكنا ننازعه في تخصيصه بحصول العفو لغيرالتائب ، وبطلان ذلك من وجهين : أولهما : أن هذا التخصيص إما أن يكون مقتضيا إبطال وعيد قاتل العمد بالخلود في النار رأسا .

ثانيهما : أن قوله تعالى : ﴿ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾ لايدل بحال على العفو عن أصحاب الكبائر دون الشرك مع الإصرار عليها .

- قوله تعالى : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1]

الاستدلال به من وجوه :

أولها : أن الله وعد بالجنة الذين أحسنوا ، وحصرها فيهم بقوله : ﴿أولئك أصحاب الجنة ﴾فعرّف المسند والمسند إليه ، ووسط بينهما ضميرالفصل لتأكيد الحصر .

ثانيهما : أنه أخبر عنهم أنهم لايصيبهم قتر ولاذلة ، ولايعقل أن يصلى أحد النار ولولمدة ثواني فلايرهقه فيها قتر ولاذلة .

ثالثهما : أنه توعد الذين عملوا السيئات بالنار مخلدين فيها ، وهذا الحكم

---

(١)سورة يونس : الآية ٢٦ - ٢٧

يصدق على من أتى أي سيئة ، فإن السيئات جنس غير محصورة أفراده ، وماكان كذلك فحكمه يصدق على كل فرد من أفراده سلبا وإيجابا ، ألا ترى أن قول القائل تزوجت النساء لايعني أنه تزوج جميع أفراد النساء ، بل يصدق على مالو تزوج ولو واحدة منهن .

فإن قيل : إن الله وعد المحسنين بالجنة ، وكل من أتى حسنة فقد أحسن، على أن من المفسرين من فسر المحسنين هنا بالموحدين ؛ لأن التوحيد أس الحسنات .

فجوابه : لوكان الأمر كذلك لم يكن داع إلى أمرأونهي في كتاب أوسنة مادام المطلوب هو التوحيد وحده .

- قوله تعالى : ﴿ومن يعص الله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾[١]

ولايماري أحد يؤمن بما أنزل الله أن مقارفة لكبير معصية لله ولرسوله ، فإن قيل إن هذا الوعيد خاص بالمعصية الكبرى ، وهي الإشراك بالله تعالى .

قلنا : هذه مخالفة لصريح اللفظ بدون داع .

فإن قيل : إن الداعي إلى ذلك حمل هذا الوعيد على ماجاء من وعيد المشركين بهذا الجزاء .

قلنا : إن ورود الحكم العام في بعض أفراد مدلولاته لايخصص عمومه ، وكما توعد المشركون بهذا الجزاء توعد سائر أصحاب الكبائر به في نصوص أخرى .

أما السنة :

- روى مسلم في صحيحه : «لايدخل الجنة قاطع رحم »[٢]

وروى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة »[٣]

(١) سورة الجن : الآية ٢٣

(٢) رواه مسلم : ك٤٥ ب٦ برقم ١٩

(٣) رواه مسلم : ك٣٦ برقم٧٦

وهو كناية عن حرمانه من دخول الجنة ، لأن أهل الجنة لهم فيها ماتشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم ، فلا يحرمون من شيء .

- روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[١]

- روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام »[٢] أ . هـ[٣]

دوء تلك الشبه

ونحن هنا نحاول إيضاح بطلان شبه تكفير مرتكب الكبيرة التي هي أصل القول بنفي الشفاعة لأهل الكبائر .

أولاً : «ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار ، فإن هذا القول من البدع المشهورة ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين على أنه لايخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، واتفقوا أيضًا على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته .

---

(١) رواه مسلم : ك٣٧ ، ٥١ - ب٣٤ -١٣ حديث رقم ١٢٥ - ٥٢

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك الإيمان ب ٢٧ حديث رقم ١١٥

(٣) انظر الحق الدامغ ص : ٢٠٢ - ٢٢٥

ثانيا : قد نقل البعض عن الصحابة في كون القاتل لاتوبة له خلافًا ، كما روي عن ابن عباس أن القاتل لاتوبة له ، وهذا غلط على الصحابة ، فإنه لم يقل أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لايشفع لأهل الكبائر ، ولاقال إنهم يخلدون في النار ، ولكن ابن عباس في إحدى الروايتين عنه قال : إن القاتل لاتوبة له . وعن أحمد بن حنبل في قبول توبة القاتل روايتان أيضا والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد ، وذلك أن القتل يتعلق به حق آدمي ، فلهذا حصل فيه النزاع .

ثالثًا : أما قول القائل : إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله ، فهذا ممنوع ، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان ، فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله ، ولم يبق منه شيء .

ولهذا كان (أهل السنة والحديث) على أنه يتفاضل ، وجمهورهم يقولون يزيد وينقص ، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة »[1]

ومن آثار الصحابة والسلف الصالح الدالة على زيادة الإيمان :

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله -حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد ، عن ذر قال ، كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه : «هلموا نزدد إيمانًا ، فيذكرون الله عزوجل » .

وعن ابن مسعود -رحمه الله -قال : «اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا» وكان معاذ بن جبل-رضي الله عنه- يقول لرجل : «اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى » .

وعن عبدالله بن رواحة-رضي الله عنه - أنه كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ج٧ص٢٢٢

قال مالك بن دينار#-رحمه الله - : الإيمان يبدوفي القلب ضعيفًا ضئيلاً كالبقلة ، فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة وأماط عنه الدغل ومايضعفه ويوهنه أوشك أن ينمو ويزداد . . . الخ [١] ، ويستمرشيخ الإسلام ابن تيميةرحمه اللهفي دحض شبههم بعبارات جامعة بعيدًا عن الرد الجزئي ؛ لأن رد الأصل هو رد للجزء تضمنًا فيقول رحمه الله : «ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة ، فإن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون قتله ، ولو كان كافرًا مرتدًا لوجب قتله ؛ لأن النبي ﷺقال : «من بدل دينه فاقتلوه »[٢] وقال : «لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إسلام ، وزنا بعد إحصان ، أوقتل نفس يقتل بها »[٣] وأمر سبحانه بجلد الزاني والزانية مائة جلدة ، ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما ، وأمر سبحانه بأن يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة .

وكان النبي ﷺ يجلد شارب الخمر ولم يقتله ، بل قد ثبت عنه ﷺ في صحيح البخاري [٤] وغيره : أن رجلاً كان يشرب الخمر وكان اسمه عبدالله حمارًا ، وكان يضحك النبي ﷺ ، وكان كلما أتي به إليه جلده ، فأتي به إليه مرة فلعنه رجل فقال النبي ﷺ : «لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله » فنهى عن لعنه بعينه ، وشهد له بحب الله ورسوله مع أنه قد لعن شارب الخمر عمومًا » .

وأيضًا فإن الله سبحانه قال : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا

---

*هو مالك بن دينار معدود من التابعين من أعيان كتبه المصاحف ولد في أيام ابن عباس توفي سنة ٢٢٧هـ وقيل ٢٣٠هـ انظر سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٦٢

(١)انظر مجموع الفتاوى ج٧ص٢٢٤

(٢)البخاري ١٢ / ٢٣٧ ، ٢٣٩ في استتابة المرتدين ، باب حكم المرتد .

(٣) مسلم ك ٢٨ - ب٦ حديث ٢٥

(٤) البخاري ١٢ / ٦٦ ، ٦٨ في الحدود باب مايكره من لعن شارب الخمر .

بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾[١]

«فقد وصفهم بالإيمان والأخوة وأمرنا بالإصلاح بينهم »[٢] ا. هـ

ومما تقدم يتضح لنا فساد هذا القول لفساد الأصل القائم عليه ذلك أن القوم اعتمدوا على فهم فاسد للقرآن ، وأعرضوا عن السنة المفسرة ، فما كان منهم إلا أن ضلوا وأضلوا .

---

(١) سورة الحجرات : الأية ٩

(٢) انظر مجموع الفتاوى ج٧ص٤٨٢ - ٤٨٤ ، ونثر اللآلي على نظم الأمالي - عبدالحميد الألوسي ص٢٦٤ ومابعدها سنة ١٣٣٠ هـ مطبعة الشابندر .

قبل الختام :

قبل أن نترك هاتين الفرقتين اللتين اتحدتا في زمن النشأة ومكان المنبت نود أن نلقي الضوء على الأصول التي اتفقتا فيها ، والأمور الأخرى التي اختلفتا فيها .

أولاً : ماإتفقت فيه الخوارج والشيعة :

١- الغلو :

ولكل منهم نصيب من الغلو من ناحية ، فحين نجد أن الشيعة تغالي في الأفراد والأشخاص ، كما غالت في علي رضي الله عنه وآل البيت وغيرهم من أئمتهم نجد أن الخوارج تغالي في الدين وأحكامه ، والبراءة وشدة الموقف من المخالفين مما أدى بهم إلى التكفير والخروج والقتال .

٢- الجهل والحمق وقصر النظر، ومن أبرز الأمثلة عليه :

لدى الشيعة : تعلقهم بل غلوهم في علي رضي الله عنه ، مع براءته من فعلهم وتأديبه لطوائف منهم .

أما الخوارج فمما يدل على جهلهم موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم .

٣- قلة العلم الشرعي ، وضعف الفقه في الدين :

ولعلنا بالنسبة للشيعة نقول فقدان العلم ؛ لأنهم لايأخذونه عن أئمة السنة ، وأغلب مصادر علمهم عن الشيعة أمثالهم وفيهم متهمون بالكذب والوضع .

أما الخوارج فإن فيهم من الاغترار بالعلم القليل ، وليس لهم جلد على طلب العلم إلاأنهم يجتمعون في عدم الاهتمام بالحديث والسنن إلا مايوافق أهواءهم .

٤- مجانبة السنة والخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم :

فالشيعة فارقت الجماعة في الاعتقاد والعمل ، وترى الخروج بالسيف لكنه مشروط عندهم بخروج مهديهم الموهوم .

والخوارج فارقت الجماعة في الاعتقاد والعمل ، وخرجت على أئمة المسلمين بالسيف .

٥- ترك العمل بالحديث وآثار السلف :

وهذا اتفقتا عليه ، فكل منهم لايعتمد على السنة الصحيحة أوأكثرها إلا فيما يرون أنه يعضد أهواءهم . ويجانبون آثار السلف .

٦- فساد الاعتقاد في الصحابة :

الشيعة (الرافضة) يكفرون سائر الصحابة ،ولايستثنون إلا نفراً قليلاً ، ويسبون كل السلف فضلاً عن سائر أهل السنة .

أما الخوارج فيكفرون الصحابة كعلي - وعثمان ومعاوية وأبي موسى وعمروبن العاص - رضي الله عنهم - وأصحاب الجمل وصفين أوأكثرهم ، ويسبون بعض السلف ، ويلمزونهم .

٧- تكفير المخالف لهم من المسلمين :

فالخوارج والشيعة كلهم يكفرون المسلمين الذين يخالفونهم ، وإن اختلفت أصول التكفير عندهم وأسبابه .

فالشيعة كما يكفرون سائر الصحابة ، وزعموا أنهم مرتدون فقد كفروا سائر أئمة المسلمين وعامتهم .

إلا أن الخوارج تكفر بعض الصحابة بسبب التحكيم ، عمله أوأقراره ، وكفروا مرتكب الكبيرة من المسلمين ، وكفروا كل من خالفهم على اختلاف في درجة الكفر (كفر شرك أوكفر نعمة)

نقاط الاختلاف بين الفرقتين في أمور كثيرة منها :

١ - الشيعة : غلت في آل البيت ، وقدستهم .

الخوارج : أبغضوهم وناصبوهم العداء .

٢- الشيعة : تعتمد على الكذب في الرواية والتلقي لمصادر الدين ، ويكذبون حتى على أنفسهم .

الخوارج : لايكذبون في الدين لافي الرواية ولاعلى الخصوم لأنهم يرون الكذب من كبائر الذنوب التي توجب التكفير .

٣- الشيعة : يدينون بالتقية .

والخوارج : يعلنون أقوالهم وعقائدهم .

٤- الخوارج يلزمون أنفسهم بقتال المخالفين في أكثر الأحوال .

أما الشيعة فإنهم غالبًا لايقاتلون إلا مع إمام من أئمتهم .

٥- الخوارج : من الأعراب وأهل الجفاء والغلظة في الطباع غالبًا .

والشيعة : من العجم غالبًا .

٦- والشيعة : من طباعهم الخيانة والغدر والكيد الخفي لخصومهم .

الخوارج : هم بعكس ذلك فإن فيهم صراحة ومعالنة ويصدعون بالبراء من خصومهم .

٧- الشيعة : هم أهل طاعة عمياء يتبعون كل ناعق .

الخوارج : صعب قيادهم ولايسلمون لأحد .

٨- الشيعة : أهل تأويل وتعطيل للنصوص .

الخوارج : أهل ظاهر يأخذون بظواهر النصوص دون فقه .

٩-مصادر التلقي :

عند الروافض يتلقون عن المعصوم .

والخوارج يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم الخاطئ.

١٠- الشيعة الروافض : تقوم أصولهم على البدع والمحدثات والشركيات في الاعتقاد والعبادات وكثير من الأحكام .

أما الخوارج : فالبدع والشركيات عندهم قليلة .

١١- والشيعة عبر التاريخ أضر على الأمة وأعظم كيدًا للمسلمين أ . هـ[1]

١٢- الشفاعة : الشيعة ممن يتوسع في إثبات الشفاعة حتى جعلوها لكل من وافق هواهم .

الخوارج : ضيقوا الخناق في الشفاعة طبقًا لأصولهم فنفوها عن أهل ا لكبائر من أمة محمد ﷺ .

---

(١) انظر : الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام . ناصر العقيل ص١٨ - ٢٣ ط الأولى ١٤١٦هـ دار الوطن . ودرء التعارض بين العقل والنقل ج٧/ ١٣٨ - ١٣٩ ، مجموع الفتاوى ج٢٨ / ٤٧٧ - ٤٩١ منهاج السنة ج٥ص١٥٤

الفصل الثالث
الشفاعة عند المعتزلة
وفيه ثلاثة مباحث
المبحث الأول : التعريف بهم
المبحث الثاني :قولهم في الشفاعة
المبحث الثالث : أدلتهم

الفصل الثالث

الشفاعة عند المعتزلة

التمهيد :

تكاد تجمع المصادر التاريخية وكتب الفرق على أن نشأة مذهب الاعتزال ترجع إلى اختلاف واصل بن عطاء * مع شيخه الحسن البصري-رحمه الله- * في الحكم على مرتكب الكبيرة ، واعتزاله مجلسه لهذا السبب . وفيما عدا هذه الرواية الشهيرة فإن الملطي-رحمه الله - *يعود بنشأة المعتزلة إلى أيام تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، لأنهم كانوا من أصحاب علي فاعتزلوا الناس ولزموا البيت والمساجد قائلين : نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك (المعتزلة) والأرجح الرواية الأولى .

وعلى أية حال ، فقد انفصلت المعتزلة وأطلقوا على أنفسهم اسم المعتزلة وأطلقه عليهم غيرهم على ماسيأتي .

ففارقوا جماعة المسلمين ، وانفصلوا عنهم حريصين على التمييز والظهور بما أعلنوه من عقائدهم وأصولهم الخمسة التي وضعوها مخالفة لتعاليم المسلمين ، ولهذا فقد قوبلوا بالاستنكار والمعارضة من جانب العلماء ؛ لأنهم ابتدعوا آراء لم يعرفها الأوائل ، كالحكم على مرتكب الكبيرة بأنه في (منزلة بين المنزلتين)ونفي القدر .

---

* واصل بن عطاء ، أبوحذيفة ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ وارتحل إلى البصرة وأقام بها ، ويعد واصل مؤسس مدرسة الاعتزال ، وكانت له قدرة بيانية ، من مصنفاته : التوبة - المنزلة بين المنزلتين - معاني القرآن - الفهرست ٢٠٢ - ٢٠٣ ، وفيات الأعيان ٢ / ٧ - ١١٢ تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ١٩٦٩ م

* الحسن البصري ، هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ولد في المدينة سنة ٢١ هـ ٦٤٢ م ، وانتقل إلى البصرة ، وكان من خيار التابعين من مصنفاته - تفسير القرآن - كتاب إلى عبدالملك بن مروان في الرد على القدرية - الأعلام للزركلي ٢ / ٢٤٢ - وفيات الأعيان ٢ / ٧٢

*الملطي : محمد بن أحمد بن عبدالرحمن أبوالحسين الملطي العسقلاني عالم بالقرآن من فقهاء الشافعية من أهل (ملطية) نزل بعسقلان وتوفي بها له مصنفات في الفقه منها التنبيه والرد ، الأعلام ٦ : ٢٠٢

فكان عبدالله بن المبارك-رحمه الله -#حينذاك يحذر المسلمين منهم بقوله : (أيها الطالب علما إيت حماد بن زيد #فخذ العلم بحلم ، ثم قيده بقيد ، وذر البدعة من آثار عمرو بن عبيد #) [١]

ومع هذا فلم يستطع مؤلفو الفرق تحديد السنة التي ظهرت فيها فرقة المعتزلة؛ وذلك لأن أصول التاريخ العربي لم تعين ذلك ، وكل ماحوته به هذه الأصول هو أن بداية ظهورهم كانت في البصرة بعد أن انشقوا عن حلقة الحسن البصري ومن المعروف أن الحسن البصري توفي سنة ١١٠ هـ وأن الرجلين اللذين أسسا مدرسة الاعتزال ، وهما واصل بن عطاء، وعمروبن عبيد ، ولدا سنة ٨٠ هـ فلايعقل أن يكون قد بدءا هذه الحركة الفكرية قبل العشرين من حياتهما وعلى ذلك تكون المعتزلة قد قامت في بداية القرن الهجري الثاني في سنة محصورة بين (١٠٠ - ١١٠) هـ . وهذا يوافق مايذهب إليه صاحب مروج الذهب من أنهم ظهروا بعد المائة الأولى من سني الهجرة [٢]

---

(١)انظر منهج علماء الحديث في أصول الدين - مصطفى حلمي - ص٨٤ - ٨٥ دار الدعوة

(٢) أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية - عائشة يوسف المناعي ص٢٣ دار الثقافة .

* عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي أبوعبدالرحمن الحافظ ، شيخ الإسلام المجاهد صاحب التصانيف والرحلات ، أفنى عمره في الأسفار حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا جمع الحديث والفقه والعربية له كتاب الجهاد ، وهو أول من صنف فيه ولد سنة ١١٨ هـ- ٧٣٦ م وتوفي ١٨١ هـ - ٧٩٧م الأعلام ٤ / ٢٥٦

* حماد بن زيد بن درهم (٩٨ - ١٧٩ هـ) الأزدي الجهني مولاهم البصري أبوإسماعيل شيخ العراق في عصره من حفاظ الحديث المجودين كان ضريرًا طرأ عليه العمى يحفظ أربعة آلاف حديث خرج حديثه الأئمة الستة - الأعلام ٢ / ٣٠١

*عمروبن عبيد أبوعثمان ولد في بلخ سنة ٨٠ هـ كان جده من سبي كابل كان ذا علم كثير اعتبر من المحدثين والزاهدين درس على الحسن البصري الفقه والحديث توفي سنة ١٤٤هـ وفيات الأعيان ج٣ص٤٦٠ ط ١٩٧٠م .

ونشأت هذه الفرقة في العصر الأموي ، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحا طويلا من الزمن . وأصل هذه الفرقة كما سبق هو واصل ابن عطاء الملقب بالغزال المولود سنة ٨٠ هـ والمتوفى سنة ١٣١هـ في خلافة هشام ابن عبدالملك ، وذلك أنه دخل على الحسن البصري رجل فقال : ياإمام الدين ، ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة - يريد وعيدية الخوارج - وجماعة أخرى يرجئون الكبائر ، ويقولون : لاتضر مع الإيمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة ، فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك ؟ فتفكر الحسن ، وقبل أن يجيب قال واصل : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولاكافر مطلق ، ثم قام إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد ، وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به ، من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولاكافر ، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين ، قائلاً : إن المؤمن اسم مدح ، والفاسق لايستحق المدح ، فلا يكون مؤمنا ، وليس بكافر أيضًا لإقراره بالشهادتين ، ولوجود سائر أعمال الخير فيه فإذا مات بلاتوبة خلد في النار إذ ليس في الآخرة إلا فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، لكن يخفف عنه وتكون دركته فوق دركات الكفار فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فلذلك سمى هووأصحابه المعتزلة [١]

أما أصول المعتزلة فهي خمسة :

التوحيد - العدل - الوعد والوعيد - المنزلة بين المنزلتين - الأمربالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذه الأصول الخمسة يجمع الكل عليها ، ومن لم يقل بها جميعًا فليس معتزليًا بالمعنى الصحيح . قال أبوالحسن الخياط أحد زعماء المعتزلة في القرن الثالث الهجري : «وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإذا أكملت هذه الخصال فهو معتزلي .

التوحيد :فهولب مذهبهم ، ورأس نحلتهم ، وقد بنوا على هذا الأصل :

---

(١)التفسير والمفسرون ج١ص٣٦٨ وانظر مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر حسن أيوب ص٤٢٤ دار القلم .

استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ، وأن الصفات ليست شيئًا غير الذات ، وأن القرآن مخلوق لله تعالى .

والعدل:فقد بنوا عليه : أن الله تعالى لم يشأ جميع الكائنات ، ولاخلقها ولاهو قادر عليها كلها ، بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله تعالى ، لاخيرها ولاشرها ، ولم يرد إلا ماأمر به شرعا ، وماسوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئة .

والوعد والوعيد :ومضمونه أن الله يجازي من أحسن بالإحسان ، ومن أساء بالسوء ، لايغفر لمرتكب الكبيرة مالم يتب ، ولايقبل في أهل الكبائرشفاعة ، ولايخرج أحدًا منهم من النار . وبأوضح عبارة : إنهم يقولون يجب على الله أن يثيب المطيع ، ويعاقب مرتكب الكبيرة ، فصاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب لايجوز أن يعفو الله عنه ، لأنه أوعد بالعقاب على الكبيرة وأخبر به .

المنزلة بين المنزلتين :وهي التي قصدها واصل بن عطاء في جوابه السائل للحسن البصري .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:فهو مبدأ تقرر عندهم وواجب على المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية وهداية الضالين وإرشاد الغاوين ، ولكنهم بالغوا في هذا الأصل ، وخالفوا ماعليه الجمهور ، فقالوا : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالقلب إن كفى ، وباللسان إن لم يكف القلب ، وباليد إن يغنيا ، وبالسيف إن لم تكف اليد [١]

أما فرقهم فمن أهمها : **الواصلية - العمرية - الهذلية - النظامية** [٢]

---

(١) انظر الحسنة والسيئة - ابن تيمية ص١١٩ دار المعرفة .

منهج علماء الحديث في أصول الدين ص٨٥ ، التنبيه والرد ، الملطي ص٤٢ - ١٣٦٨هـ ١٩٤٩ م دار الثقافة الإسلامية . الفرق الإسلامية محمود البشبيشي ص١٦ المطبعة الرحمانية ط الأولى ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م .

(٢) منار الهدى لطالب بيان الحق والهدى ، محمد أولي بن المنذر الأنصاري ص١٦٥ م مطابع المدينة ط١ ١٤٠٥ هـ

المبحث الأول : التعريف بهم

تعريف المعتزلة لغة :

إذا نظرنا في كتب اللغة نجد أنها تُدرج المعتزلة تحت مادة عزل ، يقول ابن منظور :

«عزل الشيء يعزله عزلاً ، وعزله فاعتزله وانعزل وتعزل : نحاه جانبًا فتنحى ، وقوله تعالى : ﴿إنهم عن السمع لمعزولون ﴾[١] معناه أنهم لما رموا بالنجوم منعوا من السمع .

واعتزل الشيء وتعزله ، ويتعديان بعن : تنحى عنه

وتعازل القوم : انعزل بعضهم عن بعض . والمعزال الراعي المنفرد»[٢]

أما عن أصل الكلمة فيوضحه ابن فارس فيقول :

«عزل : العين والزاي واللام أصل صحيح يدل على تنحية وإمالة ، وعزل الإنسان الشيء يعزله إذا نحاه في جانب »[٣]

أما عن معاني مادة عزل واشتقاقاتها فيقول الجوهري :

« الاسم العزلة يقال : (العزلة عبادة)

والأعزل الذي لاسلاح معه * وقوم عزل .

والأعزل من الخيل : الذي يقع ذنبه في جانب ، وذلك عادة لاخلقة ، وهو عيب .

والأعْزَلُ : سحابٌ لامطر فيه »[٤]

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١١٢

(٢) لسان العرب ج٢ص٧٦٧ - ٧٦٨

(٣) معجم مقاييس اللغة ص٧٦٩

(٤) الصحاح ج٥ص١٧٦٣

* جاء في الفائق في غريب الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال من رأى مقتل حمزة ؟ فقال رجل أعزل : أنا رأيته هو الذي لاسلاح معه ج٢ص٢٤٥ محمود عمر الزمخشري تحقيق علي البجاوي ، محمد أبوالفضل ط الثانية عيسى البابي الحلبي وشركاه .

قال الزمخشري -رحمه الله - : يقال أعوذ بالله من الأعزل على الأعزل رأي من الرجل الذي لاسلاح معه على الفرس المعوج العسب ، فهو يميل ذنبه إلى شق والعرب تتشاءم به إذا كانت إمالته إلى اليمين »[١]

أما الراغب فهو يضيف معنىً آخر فيقول :

«عزل : الاعتزال تجنب الشيء عمالة كانت أوبراءةً أوغيرهما بالبدن كان ذلك أوبالقلب ، يقال : عزلته واعتزلته وتعزلته فاعتزل »[٢]

وفي الحديث «سأل رجل من الأنصار عن العزل » يعني عزل الماء عن النساء حذر الحمل »[٣]

والمعتزلة : فرقة من القدرية زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم أي أهل السنة والجماعة والخوارج [٤]

والمعزال المستبد برأيه .

والأعزل من الطير من لايقدر على الطيران

والأعزل ماء في ديار كلب في دار لهم ، والأعزلان واديان يقال لأحدهما الأعزل الريان ؛ لأن به ماء ، وللآخر الأعزل الضمآن ، قال أبوعبيدة : هما واديان يقطعان بطن المروت في بلاد بن حنظلة بن مالك . أ. هـ[٥]

---

(١) أساس البلاغة ص٣٠١

(٢) المفردات ص٣٣٤

(٣)النهاية في غريب الحديث ج٣ص٢٣٠

(٤) انظر تاج العروس ص١٥ح : فصل العين باب اللام ، والمنجد مادة عزل ص٥٠٤

(٥) تاج العروس ص١٥ - ١٦

تعريف المعتزلة اصطلاحاً :

تختلف وجهات النظر عند الكتاب في التعريف بفرقة أوطائفة ، فنجد أن بعضهم يرى أن التعريف بها من جهة التاريخ والعصر الذي نشأت فيه ، وآخر يرى أن التعريف بها عن طريق سرد معتقداتها ، وثالث ينظر إلى أهم رجالها فيعرفها عن طريقه وإليك الأمثلة .

فنبدأ بالشهرستاني -رحمه الله - :

يقول عند الحديث عن المعتزلة : ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا ، وقالوا : لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، احترازاً من وصمة اللقب ؛ إذ كان الذم به متفقًا عليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «القدرية مجوس هذه الأمة » وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد ، فكيف يطلق لفظ الضد على الضد ؟

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «القدرية خصماء الله في القدر » والخصومة في القدر انقسام الخير والشر على فعل الله ، وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل ، وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم ، والحكم والمحكوم »[1]

أما البغدادي -رحمه الله - : فقد عرض للمعتزلة ، وسماهم قدرية ، وعرف بهم عن طريق ذكر مقالاتهم وفرقهم ، فقال : «بيان مقالات فرق الضلال من القدرية والمعتزلة عن الحق ، ثم قال : إن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهن :

الواصلية - العمروية - الهذلية - النظامية - الأسوارية - المعمرية - الإسكافية . . . الخ

ثم قال ، ويجمعهم كلهم في بدعتهم أمور :

منها : نفيها كلها عن الله عزوجل صفاته الأزلية .

منها : قولهم باستحالة رؤية الله عزوجل بالأبصار .

---

(١) الملل والنحل ج١ ص٤٣

منها : اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله عزوجل .
منها : أنه سبحانه غير خالق لأكساب الناس
ومنها : اتفاقهم على دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين .
كذلك دعوى إجماع المعتزلة : على أن الله سبحانه لايغفر لمرتكبي الكبائر من غير توبة منهم غلطًا منه عليهم ، لأن محمد بن شبيب البصري ، والصالحي ، والخالدي هؤلاء الثلاثة من شيوخ المعتزلة ، وهم واقفية في وعيد مرتكبي الكبائر ، وقد أجازوا من الله تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة »[١]

أما ابن حزم -رحمه الله- : فقد فصل في ذكر شنع المعتزلة ، وأورد مالم يذكره غيره من دقائق أقوالهم وعاداتهم وعباداتهم [٢] وكذلك أبو الحسن الأشعري وهو أقرب إلى مذهبهم . فقد عاش أربعين سنة في الاعتدال .
يقول الجرجاني : المعتزلة : (أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري)[٣]
وقد نقله عنه أحد الكتاب المحدثين ، وزاد عليه فقال :
المعتزلة : اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني ، وسلكت منهجًا عقليًا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية ، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري)[٤]
أما الملطي -رحمه الله - : فنجده يسلك وجها آخر في التعريف بالمعتزلة فيقول :
« الطائفة السادسة من مخالفي أهل القبلة هم المعتزلة ، وهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتميز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام ، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل ، والمنصفون من مناظرة الخصوم وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد لايفارقونه ، وعليه يتولون وبه يتعادون ، وإنما اختلفوا في الفروع [٥]

---

(١) الفرق بين الفرق ص١١٤
(٢) الفصل في الملل من الأهواء والنحل ج٥ص٥٧ ، مقالات الإسلاميين ج١ص٢٣٥
(٣) التعريفات ص٢٨٢
(٤) المعتزلة وأصولهم الخمسة ، عواد المعتق ص١٣ - ١٤ ، ١٤٠٩ هـ دار العاصمة .
(٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ص٤٠ علق عليه محمد زاهد الكوثري ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م مكتبة الثقافة الإسلامية

أما من عرفها عن طريق تاريخ ظهورها فيقول :
«المعتزلة أعظم مدرسة من مدارس الفكر والكلام عرفها الإسلام وأقدمها . ظهرت في بداية القرن الهجري الثاني في مدينة البصرة التي كانت في ذلك العصر مجمعا للعلم والأدب . وقد كان أفراد مدرسة المعتزلة تجمعهم روابط متينة من وحدة العقيد ووحدة الهـــدف الذي ينزعون إليه ويقفون جهودهم عليه »[1]

أصل تسمية المعتزلة :

قدمنا فيما مضى تعريف كلمة الاعتزال في اللغة والاصطلاح ولكن ماسبب لصوق هذه الكلمة بتلك الفرقة ومن الذي أطلقها .
لقد اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية على آراء :
الرأي الأول :
التفسير الشائع الذي أورده كُتَّاب الفرق * والذي يفيد بأن كلمة «المعتزلة »لفظ أطلقه أعداؤهم من أهل السنة للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم ، واعتزلوا قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة ، فهو بهذا الاعتبار اسم يتضمن نوعًا من الذم .
الرأي الثاني :
يرى جولد تسيهر* أن هذه الفرقة الكلامية ولدت من نزعة ورعة ، وأنه كان من هؤلاء الجماعة الورعين المعتزلة أي : الزهاد الذين يعتزلون الناس ، ويؤيد رأيه بشبهات .
الرأي الثالث :
أن منشأ الاعتزال من أصل سياسي كما تذكر كتب التاريخ *وأن المعتزلة الدينية أتباع واصل بن عطاء وعمر بن عبيد كانوا في الأصل استمراراً في ميدان الفكر

---

(١) المعتزلة - زهدي حسن جار الله ص١ -١٣٦٦هـ - ١٩٤٧ م مطبعة مصر .

*انظر الملل والنحل ج١ ص٥٢ ، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٠ ، ٢١

* جولد تسيهير : مستشرق مجري ولد سنة ١٨٥٠ م درس في بودابست ، وعمل أستاذًا بجامعتها تنقل دارسًا وباحثًا في بلاد كثيرة . صحب في سوريا الشيخ / طاهرالجزائري ، وأقام في القاهرة ، ودرس على شيوخ الأزهر ، له مؤلفات منها الظاهرية مذهبهم وتاريخهم ، الموسوعة العربية الميسرة ص٦٦٨

*انظر تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٣٢٤٤ ، فرق الشيعة للنوبختي ص١٠٠

والنظر لفئة سياسية سبقتها في الظهور هي فئة المعتزلة السياسيين الذين ظهروا في حرب صفين ، وقبلها في معركة الجمل .

الرأي الرابع :

يقول : إن من بين الفرق اليهودية التي كانت منتشرة في ذلك العصر وماقبله طائفة يقال هم «الفروشيم *»وقال إن معناها المعتزلة . وذكر بعضهم أن هذه الفرقة تتكلم في ا لقدر وتقول : ليس كل الأفعال خلقها الله فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ أطلقه بعض ممن أسلم من اليهود .

والرأي الأقرب للصواب في أصل تسمية المعتزلة - والله أعلم - أن اسم الاعتزال ظهر أثناء الحروب التي حصلت في عهد علي - رضي الله عنه - لكنه لم يطلق على فئة بعينها ، بل من اعتزل عن السياسة أطلقت عليه ومن اعتزل للعبادة أطلقت عليه ، ثم إن وجود هذه الحروب مما أورث الخلاف بين المسلمين وتفرقهم فرقًا ، كل فرقة ترى أنها على الصواب ومن سواها على الخطأ حتى ساقهم هذا إلى البحث في مرتكب الكبيرة ، وقصة ذلك السائل الذي أتى الحسن البصري .

وعلى ذلك ، فظهور هذه التسمية على فرقة بعينها مستقلة إنما حصل في حلقة الحسن البصري - رحمه الله - »[1]

ويؤكد هذا ماذكره صاحب مروج الذهب حيث قال : « وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو الأصل الرابع ، فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولاكافر ، بل يسمى فاسقًا إلى أن قال : ولهذا سميت المعتزلة ، وهو الاعتزال»[2]

---

*انظر المذاهب الإسلامية ، لابن زهرة ص٢٠٩ ، المطبعة النموذجية مكتبة الأدب

(١) انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة - عواد بن عبدالله المعتق ص١٤ - ٢١ ط الأولى ١٤٠٩هـ دار العاصمة .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج٣ص١٥٤ ، ١٤٠٤ هـ دار الأندلس .

ولمزيد من المعرفة يراجع أصول العقيدة ص٢٧ - المعتزلة . زهدي جارالله ص٢ ومابعدها ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، فخر الدين الرازي ص٣٤ علق عليه محمد البغداد ي . دار الكتاب العربي .

الأسماء التي تطلق على المعتزلة :

إذا نظرنا إلى المعتزلة نجد أن لها أسماء كثيرة منها ماأطلقه الغير عليهم ، ومنها ماأطلقوه هم على أنفسهم ومنها مااشتركا في إطلاقه .

القسم الأول : مااشتركا في إطلاقه

١ - المعتزلة : إن كانت بمعنى المنشقين فقد سماهم بها أهل السنة لبعدهم عن المنهج الحق .

- إن المعتزلة أنفسهم لما لصق بهم هذا الاسم الدال على الذم أخذوا يبرهنون على فضله ، وأن المراد به الاعتزال عن الأقوال المحدثة ، ويستدلون على ذلك أن لفظ الاعتزال في القرآن لم يرد إلا في الاعتزال عن الباطل قال تعالى :

﴿ وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي ﴾ (١)

القسم الثاني : ماأطلقه غيرهم عليهم

١ - المعتزلة وسبق بيانه .

٢ - الجهمية : سبب تلقيبهم هو أنه لما كانت الجهمية سبقت المعتزلة في الظهور واشتهرت آراؤها إلا أن سبقها للمعتزلة سبق قريب ، ثم لما خرجت المعتزلة كانت قد وافقت الجهمية في مسائل كثيرة منها نفي الرؤية والصفات وخلق الكلام ، لذا أصبح يطلق على كل معتزلي جهمي ولاعكس ؛ لذا أطلق أئمة الأثر لفظ الجهمية على المعتزلة ، فالإمام أحمد في كتابه (الرد على الجهمية) والبخاري كذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق . دعوا الناس إلى التجهم وإبطال الصفات . وطلبوا أهل السنة للمناظرة . لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط ، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلةوالنجارية والضرارية ، وأنواع المرجئة ، فكل معتزلي جهمي ، وليس كل جهمي معتزليا ، لأن جهماً أشد تعطيلاً لنفيه الأسماء والصفات »(٢)

---

(١) سورة مريم : الآية ٤٨ ، انظر المنية والأمل - القاضي عبدالجبار ص٧ جمعة أحمد المرتضى ، دار المعرفة .

(٢) منهاج السنة ج١ ص٢٥٦ انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة جمال الدين القاسمي ص٤٤ ط الأولى مطبعة المنار .

٢- القدرية :

يلقب المعتزلة بالقدرية لنفيهم القدر ، يقول البغدادي :

« . . . وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم ، وأنه ليس لله عزوجل في أكسابهم وفي أعمال سائرالحيوانات صنع ولاتقدير ، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية »[١] إلا أن المعتزلة لاترتضيه ، ولذا يقولون : إنه أولى أن يطلق على من أثبت القدر خيره وشره . إلا أن ابن قتيبة #(يرى أن مدعى الشيء لنفسه أحق أن يدعى به)[٢]

٣- الثنوية والمجوسية :

يقول المقريزي-رحمه الله - # : « إن المعتزلة يدعون الثنوية ، لقولهم الخير من الله والشر من العبد »[٣] ولما كان هذا القول يشبه قول الثنوية ، فإن المعتزلة اكتسبوا علاوة على أسمائهم العديدة اسم المجوسية .

ولاشك أن المعتزلة لايقبلون هذا الاسم ، وهم إنما تنصلوا من اسم القدرية وأنكروه بشدة تخلصاً من وصمة لقب المجوسية ، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم ذم القدرية بتسميتها مجوس هذه الأمة .

٤- مخانيث الخوارج :

من ألقاب المعتزلة وسبب التسمية : أن المعتزلة ، ولاسيما شيخاهم الأولان : واصل بن عطاء ، وعمروبن عبيد كانوا يوافقون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قولهم : إنه ليس بكافر ، فهم قد وافقوا الخوارج في التخليد ، لكن لم يجرأوا على تكفيره، لذا سموا بهذا الاسم .

---

(١)الفرق بين الفرق ص٩٤

*هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبومحمد عالم في أنواع من العلوم كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه سكن بغداد وحدث فيها ، من تصانيفه عيون الأخبار - غريب القرآن ، ولد سنة ٢١٣هـ وتوفي ٢٧٦ هـ - معجم المؤلفين ج٦ص١٥٠

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٩٨ ط الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م دار الكتب العلمية .

*هو أحمد بن علي بن عبد القادر يعرف بابن المقريزي (٧٦٩ - ٨٤٥ هـ) أبوالعباس مؤرخ محدث مشارك في بعض العلوم ولد بالقاهرة ونشأ بها على مذهب أبي حنيفة ، من مصنفاته الكثيرة : العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة - مجمع الفوائد ومنبع الفرائد ، معجم المؤلفين ٢ / ١١

(٣)الخطط للمقريزي ج٤ ص١٦٩ مكتبة المثنى .

٥- الوعيدية : من أسماء المعتزلة ، سماهم به أحد المرجئة في شعر قاله في هجاء أبي هاشم *

يعيب القول بالإرجاء حتى ... يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوي الإرجاء جرمًا ... وعيدي أصر على الكبائر

واسم الوعيدية آت من قول المعتزلة بالوعد والوعيد .

٦- المعطلة :

كان أهل السنة يطلقون على الجهمية الأولى نفاة الصفات اسم المعطلة لتعطيلها الله تعالى عن صفاته ، وحين قام المعتزلة واقتبسوا عن الجهمية الأولى قولها بنفي الصفات ، لزمهم اسم المعطلة .

يقول الشهرستاني : «إن من معاني التعطيل تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي تدل عليها »(١)

وبما أن المعتزلة كانوا يلجأون في الآيات التي لاتوافق أغراضهم إلى التأويل ، فلا يبعد أن يكون سببًا آخر في تسميتهم بالمعطلة . ونجد بعض أهل السنة كابن القيم يستعملون لفظ المعطلة في كلامهم ، فقد وضع ابن ا لقيم كتابه (الصواعق المرسلة في الرد على ا لجهمية والمعطلة ، وهو يقصد بالدرجة الأولى المعتزلة .

القسم الثالث : ماأطلقوه على أنفسهم .

١ - المعتزلة : وسبق ذكره

٢ - أهل العدل والتوحيد : ويروي المقبلي أن المعتزلة كانوا يطلقون على أنفسهم أهل العدل والتوحيد والعدلية ، ولذا يقول : « وتسمي المعتزلة نفسها بالعدلية ، وأهل العدل والتوحيد ، أما مؤرخو أهل السنة فقد ذكر الشهرستاني أنهم يسمون أصحاب العدل والتوحيد . . . والعدلية »(٢)

---

*أبوهاشم الجبائي : هو عبدالسلام بن أبي على محمد الجبائي كان هو وأبوه من كبار المعتزلة ، وله مقالات على مذهب الاعتزال ، وكان له ولد يسمى أباعلي ، وكان لايعرف شيئًا ، ولد سنة سبع وأربعين ومائتين وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد ، وفيات الأعيان ٣/ ١٨٣ / سير أعلام النبلاء ١٥ / ٦٣

(١)نهاية الإقدام ص١٢٣ تحقيق الفروجيوم مكتبة المثنى القاهرة .

(٢) الملل والنحل ج١ص٤٩

والمعتزلة يفضلون أن يدعوا بهذا الاسم ، وذلك أنه علاوة على المعنى الحسن فإنه مشتق من أهم قاعدتين من قواعد الاعتزال اللتين تدور حولهما أكثر تعاليمهم وهما : العدل - التوحيد .

٣ - أهل الحق والفرقة الناجية والمنزهون الله عن النقص :

كذلك هي من أسماء المعتزلة التي سموا بها أنفسهم ؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق ، ومن سواهم على الباطل ؛ لذا يدعون خصومهم بالمجبرة ، والقدرية والمجوزة والمشبهةو الحشوية والمرجئة وغيرذلك »[1]

(١) انظر في هذا الموضوع المعتزلة وأصولهم الخمسة ص٢٢ - ٢٧ تحقيق عبدالكريم عثمان ١٩٨٨م ١٤٠٨هـ القاهرة مكتبة وهبة .

المبحث الثاني
قولهم في الشفاعة

يتصل البحث في الشفاعة بالبحث في الوعد والوعيد ؛ لأن المعتزلة إذا كانوا يجتمعون مع باقي الأمة في القول : إن شفاعةالنبي صلى الله عليه وسلم ثابتة لأمته ، فإنهم يقولون بوجوب تخليد مرتكب الكبائر في النار ، وهذان القولان يبدو عليهما التناقض في ظاهر الأمر ، ولذا فإن بحث المعتزلة في موضوع الشفاعة مرتبط بموضوع الوعد والوعيد ، وأيضًا الشفاعة تمثل أقوى الأدلة من جانب خصوم المعتزلة ضد مذهبهم في خلود الفساق في النار .

والمعتزلة لايجادلون في ثبوت الشفاعة ، ولكنهم يجادلون فيمن تثبت له هذه الشفاعة : وقد ذكر الأشعري مقالة المعتزلة في الشفاعة ، وأنها أنكرت ذلك ، وقالت بإبطاله [١]

وقد ذكر الباقلاني أقوالهم ، وحررها في كتابه الإنصاف فقال :

«اعلم أن المعتزلة افترقت فرقتين ، فقوم منهم أنكروا الشفاعة أصلاً ورأسًا ، وردوا الأخبار الصحيحة الواردة فيها وما دل عليه القرآن من ذلك .

وقالت الفرقة الثانية : إن للأنبياء شفاعة ، وللملائكة ، لكن لثلاث فرق من المؤمنين :

الفرقة الأولى منهم : أصحاب صغائر ، وليست لهم كبيرة من الذنوب .

الفرقة الثانية : قوم عملوا الكبائر ، وتابوا منها وندموا عليها .

والفرقة الثالثة : قوم من المؤمنين لم يعملوا ذنبًا أصلاً ، فأما صاحب الكبيرة الذي مات من غير توبة،فلاشفاعة له عندهم . وكلا القولين باطل »[٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - في مرتكب الكبيرة عند المعتزلة ، والمعتزلة ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية واسم الإسلام أيضًا ، ويقولون : ليس معه شيء من الإيمان والإسلام، ويقولون : ننزله منزلة بين المنزلتين ، فهم يقولون إنه يخلد في النار لايخرج منها بالشفاعة ، وهذا هو الذي أنكر عليهم، وإلا لونفوا مطلق الاسم وأثبتوا معه شيئًا من الإيمان يخرج به من النار

---

(١)انظر مقالات الإسلاميين ج٢ص ١٦٦

(٢)الإنصاف للباقلاني ص٣٣١ تحقيق عماد الدين حيدر ط الأولى ١٤٠٧ هـ١٩٨٦ م عالم الكتب .

لـــم يكونوا مـــبتدعة »[١]

يقول ناظم سلم الوصول إلى علم الأصول :

وثالثًا يـشفع مـن أقـــوام ماتـوا على دين الهدى الإسلام
وأوبقـتهم كـثر الآثـــام فأدخـلوا النار بذا الإجـــرام
أن يخـرجوا منها إلى الجنان بفضل رب العرش ذي الإحسان

قال الشارح :

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة ، كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم . . . وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة ، وقالوا بخلود من دخل النار من عـصاة الموحـــدين الذين يشـهدون أن لاإله إلا الله وحـــده لاشـريك لـــه ، ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليـــه وسلم ، ويقيمون الصـلاة ، ويـــؤتون الزكـاة ، ويصـومون رمـضـان ، ويحـجـون الـبـيت الحـــرام ، ويسألون الله الجنة ، ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء ، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء في الوعيد الشديد »[٢]

ومما يدل على أن المعتزلة لم تنكر أصل الشفاعة ، بل إنما جادلوا فيمن تثبت له .

قول التفتازاني-رحمه الله - * في الشفاعة

« الشفاعة دل على ثبوتها النص والإجماع ، إلا أن المعتزلة قصروها على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات ، وزيادة المثوبات »[٣]

---

(١) مجموع الفتاوى ج٧ص٢٥٧ - ٢٥٨

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ج٢ص٩٦

(٣) شرح المقاصد - مسعود بن عمر التفتازاني ج٥ص١٥٨ ، تحقـــيق عبدالرحمن عميرة ط الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م عالم الكتب .

* مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني سعد الدين عالم مشارك في النحو والبيان والفقه والمنطق توفي بسمرقند سنة ٧٩٣هـ وكانت ولادته ٧١٢ هـ من تصانيفه : المقاصد في علم الكلام - حقائق التنقيح لصدر الشريعة في أصول الدين - معجم المؤلفين ١٢ : ٢٢٨

يقول الأيجي * في شرح المواقف :

«وطلب المغفرة لذنب المؤمن شفاعة له في إسقاط عقابه عنه ، وقالت المعتزلة إنما هي لزيادة الثواب ، لالدرء العقاب ، لقوله تعالى ﴿ واتقوا يومًا لاتجزي نفس عن نفس شيئًا ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ﴾ وهو عام في شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام وغيره »(١)

أما بالنسبة لكتب المعتزلة المعتمدة فإن القاضي عبدالجبار المعتزلي يثبت الشفاعة للتائبين وينكر على أبي هاشم أن الشفاعة تحسن مع إصرار المذنب على الذنب كما في العفو .

فيقول : « وجملة القول في ذلك ، هو أنه لاخلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة للأمة ، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن ؟

فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين . . .

ثم يقول شفاعة الفساق الذين ماتوا على الفسوق ، ولم يتوبوا يتنزل منزل الشفاعة لمن قتل ولد الغير ، وترصد للآخر حتى يقتله ، فكما أن ذلك يقبح فكذلك ههنا »(٢)

ويوضح مذهب المعتزلة في الشفاعة ماورد في شرح العقائد النسفية من أن «الشفاعة ثابتة للرسل والأخيار في حق أهل الكبائر بالمتستفيض من الأخبار خلافًا للمعتزلة . وهذا مبنى على جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة ،

---

* عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار بن أحمد الإيجي الشافعي ولد سنة ٧٠٨هـ عضد الدين عالم في العلوم العقلية والكلام توفي مسجونًا بقلعة دريميان ، من مؤلفاته - الرسالة العضدية في الوضع - المواقف في علم الكلام - وكانت وفاته سنة ٧٥٦هـ ، معجم المؤلفين ٥ / ١١٩

(١) شرح المواقف للشريف الجرجاني ج٥ص٣١٣ منشورات الشريف الرضي . مطبعة السعادة ط الأولى ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

(٢)انظر شرح الأصول الخمسة . للقاضي عبدالجبار المعتزلي ص٦٨٧ - ٦٨٩ (المحيط بالتكليف) السفر ٢٩اللوحة ٧٨ب من المصورة بدار الكتب المصرية نقلا عن المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ص٦٤ محمد عمارة ط الأولى ١٩٧٢م المؤسسة العربية .

فبالشفاعة أولى ، وعندهم لما لم يجز لم تجز#

ولما كان أصل العفو والشفاعة ثابتًا بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع قالت المعتزلة بالعفو عن الصغائر مطلقًا ، وعن الكبائر بعد التوبة ، وبالشفاعة لزيادة الثواب . وكلاهما فاسد ، أما الأول فلأن التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لايستحقان العذاب عندهم ، فلامعنى للعفو .

وأما الثاني فلأن النصوص دالة على الشفاعة بمعنى طلب العفو عن الجناية»[1]

وقد تصدى الإمام الباقلاني لتفنيد قولهم ، وبيان فساده ، فقال :

«فيقال لهم : أما الشفاعة للفريقين ، فلامعنى لها ، لأنها شفاعة إلى الله في أن لايظلم ولايجور على عباده بعقاب غير مستحق ؛ لأن صاحب الصغيرة غير مستحق العذاب إذا فعلها مع مجانبة الكبائر عندكم وعلى أصولكم . وكذلك التائب من الكبيرة قد أزال عن نفسه العقاب بتوبته ، وصار عقابه عليها مع التوبة ظلمًا قبيحًا ، فلامعنى للشفاعة فيمن هذه حاله .

فأما الشفاعة للسالم من كل الذنوب في أن يزاد على قدر مايستحقه ، فإنها خلاف الشفاعة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، ولأن ذلك لم يذكر في شيء من الأخبار ، وكذلك هي مخالفة للقرآن ، لأن الشفاعة التي ذكرها سبحانه عن الملائكة إنما هي شفاعة في الغفران للذين تابوا من الكفر والظلم لأن يقيهم السيئات ، وليس فيها ذكر الزيادة في النعيم .

ويقال لهم : ليس الكلام في الأمة في الزيادة على قدر الثواب ، وإنما الكلام في الشفاعة التي جاءت بها الأخبار والقرآن فهل لها عندكم معنى أم لا ؟

فإن قالوا : لا صاروا إلى جحد القرآن والروايات ، وسألناهم على حد ماتقدم ، وإن أثبتوها وتأولوها على بعض ماتقدم كلمناهم بما سلف ، ولاجواب لهم عن شيء منه »[2]

#«وعند المعتزلة لما كانت مغفرة صاحب الكبيرة بدون الشفاعة ممتنعة ، كانت كذلك مع الشفاعة ، كمغفرة الكافر» تبصرة الأدلة - أبوالمعين النسفي ص٧٩٢ ج٢ تحقيق كلود سلامة ط الأولى ١٩٩٣م الجفان والجابي للطباعة والنشر .

(١) شرح العقائد النسفية - التفتازاني ص : (١١٨ - ١٢٥) حققه كلود سلامة وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

(٢)الإنصاف ص٤٢٨ - ٤٢٩

مسألة الوعد والوعيد :

علمنا فيما سبق أن قول المعتزلة في الشفاعة مرتبط بأحد أصولهم الخمسة ، وهو الوعد والوعيد ، ولأهمية هذا الأصل فلنا وقفة معه .

تعريف الوعد والوعيد

الوعد عند المعتزلة :

«هو الخبر الذي يفيد وصول نفع ، أومنع ضرر عن الغير مستقبلاً ، سواء كان هذا النفع مستحقًا كما في ثواب المطيعين ، أوغير مستحق كالتفضل بالثواب غير المستحق ، وسواء كان حسنًا أوقبيحًا .

أما الوعيد :

فإنه كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أوتفويت نفع عنه في المستقبل ، سواء كان هذا الوعيد حسنًا مستحقًا مثل وعيد الله للعصاة بالعقاب ، أوكان قبيحًا غير مستحق ، مثل أن يتوعد السلطان بعض الناس الأبرياء بإتلاف نفسه ونهب ماله .

ويشترط المعتزلة في الوعد والوعيد اعتبار المستقبل ؛ لأن الخبر* المتضمن للنفع أوللضرر في الحال لايسمى وعدًا ولاوعيدًا ، ولايسمى المخبر به واعدًا ولامتوعدًا »[١]

ويقول المعتزلة : إنه يجب عليه - أي المؤمن - أن يعلم أن وعده ووعيده حق ، من أطاعه أدخله الجنة ، ومن عصاه أدخله النار أبد الآبدين ، لاكما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين وكل المؤمنين »[٢]

أما سبب تمسك المعتزلة بهذا الأصل فهو دفاعهم عن الحرية الإنسانية واحتكامهم إلى العقل ، ومعنى هذا اعتقادهم أن إثابة المطيع ومعاقبة العاصي - إن لم يتب - أمر محتوم (أي يجب) على الله تعالى أن يفعله ، فخلطوا بين الوعد والوعيد[٣]

---

*يراجع لتوضيح المقصد : إيثار الحق على الخلق - لأبي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني ص٣٨٥ مكتبة العلم بجدة - مكتبة ابن تيمية .

(١) أصول العقيدة ص٣٣٣ - ٣٤٣

(٢) رسالة العدل والتوحيدليحيى بن الحسن ج٢ص٧٣ تحقيق محمد عمارة ، دار الهلال

(٣)انظر منهج علماء الحديث في أصول الدين ، مصطفى حلمي ص٩٥ دار الدعوة .

أما عن علاقة الوعد والوعيد بالشفاعة فهي أنه لما كان الوعد والوعيد عندهم ثابت الوقوع ؛ لأن الله تعالى صادق في وعده ووعيده - وذلك يوم القيامة - لامبدل لكلماته ، فلايغفر الكبائر إلا بعد التوبة ، فإذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها خلد في النار ، وكان عذابه فيها أخف من عذاب الكفار ؛ لذلك فإن المعتزلة أنكروا الشفاعة يوم القيامة ، فتجاهلوا الآيات القرآنية التي تقول بها ، وتمسكوا بالآيات التي تنفيها ، لأن الشفاعة تتعارض مع مبدأ الوعد والوعيد ، فلايستطيع أحد أن يشفع عند الله لأحد ، ويجعله ينجو من العقاب ، بل تجد كل نفس يومئذمن الثواب بقدر عملها الصالح ومن العذاب بقدر عملها السيء .

ويؤيد هذا ماذكره الإمام ابن حزم - رحمه الله - بقوله :

«وقد بنى المعتزلة على أصلهم في عدم جوا ز خلف الوعيد أن الذنب الكبير مخرج عن الإيمان والإسلام ، فإن مات عليه فهو غير مسلم ، وغير المسلم مخلد في النار »[1]

ومن أجل هذا فقد أنكروا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعصاة المؤمنين .

---

(١)انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٤٥

الأدلة على الوعيد :

استوعب الإمام الرازي الأدلة على القطع بالوعيد.ومسائله أن وعيد الفساق منقطع ، ونحن هنا نلخص ماساقه الإمام :

فقال : (اعلم أنهم تمسكوا في المسائلة بالقرآن والأخبار

أما القرآن : فمجموع مايتمسكون به من الآيات محصور في ثلاث أنواع :

أحدها : أنهم تمسكوا بلفظ «من » في معرض الشرط ، وزعموا : أنه يفيد العموم .

ثانيها : أنهم تمسكوا بصيغة الجمع مع دخول حرف التعريف فيها .

وثالثها : تمسكوا بصيغة «الذين » .

النوع الأول : فهو حجج

الحجة الأولى : قوله تعالى : «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها »[١]ومعلوم : أن من ترك الصلاة والحج والزكاة والصوم وقتل وزنى ولاط ، فقد تعدى الحدود ، فإن قيل : الحدود لفظ،فيه حرف التعريف فيفيد العموم وتعدي الحدود لايصدق إلا عند تعدي جميع الحدود .

الحجة الثانية : قوله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾[٢] وإذا ثبت أن جزاءه ذلك ، وجب أن يصل إليه . لقوله تعالى : ﴿من يعمل سوءاً يجز به ﴾[٣] لايقال : الآية نزلت في بعض الكفار ؛ لأنا نقول : العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب .

الحجة الثالثة : قوله تعالى : ﴿وقد خاب من حمل ظلماً ﴾[٤] ولاشك أن هذا الوعيد يتناول الظالم ، سواء كان كافراً أومؤمناً .

الحجة الرابعة : قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة ، فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ، هل تجزون إلا ماكنتم تعملون ﴾[٥] فلما دل النصف الأول من هذه الآية على أن الوعيد حاصل على

---

(١) سورة النساء : الآية ١٤

(٢) سورة النساء : الآية ٩٣

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٣

(٤) سورة طه : الآية ١١١

(٥) سورة النحل : الآية ٨٩ - ٩٠

جميع الطاعات دل النصف الثاني منها على أن الوعيد حاصل على جميع المعاصي .

الحجة الخامسة : أنه تعالى حكى قول المرجئة فقال : ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيام معدودة ﴾[١] ثم إنه تعالى كذبهم في هذه المقالة بقوله : ﴿قل أتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله مالاتعلمون ﴾[٢]

ثم ذكر المذهب الصحيح ، فقال : ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فإولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[٣] ثم أوضح -رحمه الله- وجه الاستدلال بهذه الأدلة فقال : «اعلم أن التمسك بهذه الآيات مفتقر إلى بيان أن كلمة (ما) و(من) في معرض الشرط للعموم ، وعليه دليلان :

الدليل الأول : أنه إذا قال : «من دخل داري أكرمته »حسن منه استثناء كل واحد من العقلاء ، والاستثناء يخرج من الكلام مالولاه لوجب دخوله فيه ؛ لأنه لانزاع في أن المستثنى من الجنس ، لابد أن يكون بحيث يصح دخوله تحت المستثنى منه ، فإما أن لايعتبر الصحة مع الوجوب ، أويعتبر ، من الأول باطل لأنه تعارض النقل في هذه المسألة ، فقال بعض أهل اللغة : « والاستثناء يخرج من الكلام مالولاه لصح » وقال آخرون : «إنه يخرج من الكلام مالولاه لوجب » ولما حصل التعارض وجب التوفيق ، فنقول : الصحة من لوازم الوقوع ، ولاينعكس . فلوجعلناه حقيقة في الوقوع أمكن جعله مجازًا عن الصحة ، لحصول الملازمة ، وأما لوجعلناه حقيقة في الصحة ، لايمكن جعله مجازًا عن الوقوع لعدم الملازمة ، فكان جعله حقيقة ، أولى في الوقوع ، فثبت أن حكم الاستثناء إخراج مالولاه لدخل .

الدليل الثاني : على أن صيغة (ما) و(من) في معرض الشرط يفيدان العموم : أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾[٤] قال ابن الزبعرى : (لأخصمن محمدًا) ثم قال : «يامحمد أليس قد عبدت الملائكة ؟ أليس قد عبد عيسى ؟»

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٠

(٢) سورة البقرة : الأية ٨٠

(٣) سورة البقرة : الآية ٨١

(٤)سورة الأنبياء : الآية ٩٨

وجه الاستدلال به : أنه تمسك بعموم اللفظ ، والرسول عليه السلام ماأنكر عليه في ذلك فدل هذا على أن هذه الصيغة للعموم .

النوع الثاني : من أقسام صيغ العموم من الآيات التي تمسك بها المعتزلة في الوعيد ، صيغة الجمع المحلاة بحرف التعريف .

الحجة الأولى : قوله تعالى ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾[١]

الحجة الثانية : قوله تعالى ﴿ونذر الظالمين فيها جثيًا﴾[٢]

الحجة الثالثة : قوله تعالى ﴿ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم ﴾[٣] يبين أنه تعالى يؤخر عقابهم إلى يوم آخر .

ثم عقب - رحمه الله - بعد ذلك ببيان وجه الاستدلال بهذه الآيات بعدة وجوه منها :

أولاً : أن الأنصار لما طلبوا الإمامة ، احتج عليهم (أبوبكر) - رضي الله عنه - بقوله عليه السلام : «الأئمة من قريش »والأنصار عرفوا صحة تلك الحجة ولولا أن الجمع المحلى بحرف التعريف يفيد العموم ، وإلا لما صحت تلك الحجة؛ لأن قولنا بعض الأئمة من قريش ، لاينافي كون بعض الأئمة من غيرهم .

ثانيًا : أن هذا الجمع يؤكد بما يقتضي الاستغراق فوجب أن يكون هذا الجمع مقتضيًا للاستغراق .

النوع الثالث : من صيغ العموم : مايتمسك بها المعتزلة في هذا المقام ، وهو صيغة الجمع المقرونة بحرف (الذين) .

كقوله تعالى ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾[٤]

وقوله ﴿والذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا﴾[٥]

وقوله ﴿والذين كسبوا السيئات ، جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة ﴾[٦]

---

(١) سورة مريم : الآية ٨٦

(٢) سورة مريم : الآية ٧٢

(٣) سورة النحل : الآية ٦١

(٤) سورة المطففين : الآية ١

(٥) سورة النساء : الآية ١٠

(٦) سورة يونس : الآية ٢٧

وأما الأخبار فكثيرة:

أحدها: قوله صلى الله عليه وسلم: «من أخذ شبراً من أرض، طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين»[١]

وثانيها: قوله عليه السلام: «والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن قيل من يارسول الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقه»[٢]

وثالثها: قوله عليه السلام: «من شرب الخمر في الدنيا، ولم يتب لم يشربها في الآخرة»[٣] ولاشك أن صيغ العموم في هذه الأحاديث متناولة للكفار، ولأهل الكبائر من أهل الصلاة.

ثم قال: واعلم أن أصحابنا أجابوا عن هذه الكلمات من وجوه:

المقام الأول: نسلم أن صيغة (من) في معرض الشرط تفيد العموم، ولانسلم أن صيغة الجمع إذا كانت معرفة بالألف واللام، كانت للعموم، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه يصح إدخال لفظي الكل والبعض على هاتين اللفظتين فيقال: كل من دخل داري وبعض من دخل داري، ويقال أيضاً: كل الناس كذا وبعض الناس كذا. ولوكانت لفظة «من» عند الشرط تفيد الاستغراق، لكان إدخال لفظ الكل عليها تكريراً. وإدخال لفظ البعض عليها نقض.

وأما تمسكهم بدليل الاستثناء: فجوابه: أن الاستثناء يخرج من الكلام مالولاه لصح دخوله تحت المستثنى منه، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه ثبت في أصول الفقه أن ظاهر الأمر لايفيد التكرار، مع أنه يصح أن يقال: صل إلا في الوقت الفلاني، ومن المعلوم أن الاستثناء ههنا لايفيد إلا منع الصحة.

ثانيها: أن صيغ جموع القلة يصح دخول الاستثناء فيها، وصيغ جموع القلة لاتفيد الاستغراق، وإلا لما كانت جموع قلة.

المقام الثاني: سلمنا: أن هذه الصيغ موضوعة للعموم، ولكنها تفيد العموم قطعاً أم ظناً؟ والأول ممنوع، والثاني مسلم، فنحن ندل على أن هذه الصيغ تفيد

---

(١) أخرجه البخاري: ٥ / ٧٦ في المظالم (باب من ظلم شيئاً من الأرض)

(٢) أخرجه البخاري: ١٠ / ٣٧٠ في الأدب (باب إثم من لايأمن جاره بوائقه)

(٣) أخرجه البخاري: ١٠ / ٢٥، ٢٦ الأشربة، ومسلم: رقم (٢٠٠٣) ٧٦ الأشربة

العموم ظنا ، وإذا كان كذلك ، لم يجز التمسك بها في هذه المسألة .

المقام الثالث :

سلمنا أن هذه الألفاظ تفيد معنى الاستغراق إفادة قطعية ، لكن العقلاء أجمعوا على أن التمسك بالعمومات مشروط بأن لايوجد شيء من المخصصات ؛ لأنه لانزاع في جواز تطرق التخصيص إلى العمومات ، فلم قلتم : إنه لم يوجد ههنا شيء من المخصصات ، حتى يتم استدلالكم ؟أقصى مافي الباب أن يقال : بحثنا وطلبنا ، فلم نجد شيئًا من المخصصات ، لكن استدلال بعدم الوجدان على عدم الوجود ، في غاية الضعف .

المقام الرابع :

هب أنه لابد للمعترض من بيان الوجه التفصيلي في أنه لايجوز التمسك بهذه العمومات ، لكنا نقول : وجد المانع عن التمسك بها .

المقام الخامس :

أن عمومات الوعيد معارضة بعمومات الوعد ، وهي كثيرة في القرآن كقوله تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾[1]وبالجملة : فالقرآن مملوء منها ، وإذا عرفت هذا فنقول : عمومات الوعد راجحة على عمومات الوعيد» أ . هـ[2]

أما الشبهة في هذا المقام فيقول القاضي عبدالجبار :

«فاعلم أنه تعالى إذا كلفنا الأفعال الشاقة ، فلابد من أن تكون في مقابلها من الثواب مايقابله . . . لأنه لو لم يكن في مقابلة هذه الأفعال الشاقة ماذكرناه كأن يكون القديم تعالى ظالما عابثًا»[3]

وهذا مردود من وجهين :

١ - «ماذكرتموه مبني على أن العبد يستحق بنفسه على الله تعالى شيئًا ، وهذا باطل ، فإن العبد لايستحق بنفسه على الله تعالى شيئًا ، وليس له أن يوجب على ربه شيئًا لالنفسه ، ولالغيره .

---

(١) سورة الزلزلة : الآية ٧

(٢) انظر الأربعين في أصول الدين ، الرازي ج٢ص٢١٢ - ٢٢٨ تحقيق : أحمد حجازي السقا ط الأولى ١٤٠٦ هـ مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣)انظر شرح الأصول الخمسة ص٦١٤ - ٦١٥

ووجوب إثابته سبحانه تعالى لعباده الطائعين ، إنما كان ذلك لإخباره به ، وهو صادق في وعده لايخلف الميعاد .

٢- إن الله تعالى لوقدر أنه عذب من يشاء من عباده ، لم يكن لأحد منعه ولايكون بذلك ظالمًا قال تعالى ﴿قل فمن يملك من الله شيئًا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا ﴾[١]

واستدلوا لوجوب الوفاء بالوعيد على الله تعالى «بأن الطريق في الوعد والوعيد واحدة ، وكما أنه لايجوز الخلف في الوعد ، فكذلك لايجوز الخلف في الوعيد»[٢]

وهذا أيضًا مردود :

بأن الطريق في الوعد والوعيد ليست متحدة ، فالوعد حق على الله تعالى لعباده ، والوعيد حق لله تعالى على عباده ، وفرق بين الأمرين ، ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على أنه يجب على الله تعالى الوفاء بما وعد به عباده ، لكونه سبحانه صادقًا في خبره ، والصادق لايخلف الميعاد ، فهم يوجبون ذلك بحكم الوعد ، لابحكم الاستحقاق ، فالوعد أوجبه الله تعالى على نفسه ، والاستحقاق أوجبه العبد على ربه ، والعبد لايملك الإيجاب على ربه »أ . هـ[٣]

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٧

(٢) شرح الأصول الخمسة ص١٣٦

(٣) آراء المعتزلة الأصولية علي بن سعد الضويحي ص١١٨ - ١١٩ ط الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م مكتبة الرشد ، انظر في الرد اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، الأشعري ص١٢٩ ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م دار لبنان للطباعة والنشر .

مسائل مرتكب الكبيرة :

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة من أهل التوحيد لايكفر ولايخلد في النار ، بل هو مؤمن بإيمانه ، عاص لله ، فاسق في الدنيا بكبيرته ، وفي الآخرة يبقى تحت مشيئة الله ، إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه ، وإن عذبه فلايخلد في نار جهنم .

والحكم على مرتكب الكبيرة من المسائل التي كانت سببًا في ضلال بعض الفرق ، وذلك راجع لأسباب : منها عدم فهمهم لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، أوالاعتماد على العقل وتحكيمه في النصوص أواتباع الأهواء والشهوات . فالصحابة -رضوان الله عليهم -لم يكن أحد منهم يكفر مرتكب الكبيرة ؛ ذلك أن هذا الحكم خاص بالله ورسوله ، بل إن الصحابة كانوا في شك ، هل يستغفر لأهل الكبائر أم لا ؟ فعن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنه - قال : «مازلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[١]

قال : فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ، ونطقنا به ورجوناه [٢]

ومازال الأمر على ماهو عليه حتى ظهرت البدع ، وبعد الناس عن عصر النبوة وظهرت بدعة الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة بسبب إنكارهم للتحكيم . ثم ظهرت بدعة المعتزلة ، وقالوا : إنه في منزلة بين المنزلتين ، أي لامؤمن ولاكافر ، وقالت كلتا الطائفتين : إنه خالد في نار جهنم ، ونجد محمد بن نصر المروزي* يبين أن سبب ضلال المعتزلة : أنها «قد غلت في تأويل هذه الأخبار التي جاءت في نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر من أهل الأهواء والبدع »[٣]

(١) سورة النساء : الآية ٤٨ ، ١١٦

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، أبي بكر البيهقي ص١٥١ تحقيق السيد الجميلي ، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م دار الكتاب العربي .

(٣) الإمام محمد بن نصر المروزي جهوده في بيان عقيدة السلف ، موسم بن منير بن مبارك النفيعي ج٢ ص٧٢٥ ط الأولى ١٤١٦هـ ، دار الوطن .

* محمد بن نصر المروزي أبوعبدالله (٢٠٢ - ٢٩٤) هـ فقيه أصولي محدث حافظ ولد ببغداد وتفقه بمصر على أصحاب الشافعي توفي بسمرقند من تصانيفه : الصلاة - الوتر - قيام الليل ، انظر معجم المؤلفين ج٢ ص١١ .

ولايغيب عنا هنا أن من أسباب ضلالهم أنهم لايرون أن للمعاصي تأثيراً على الإيمان ، أما أهل السنة والجماعة فيرون أن المعاصي توهن الإيمان وتنقصه .

ويوضح هذا جليًا شيخ الإسلام حيث يقول :

«إنهم لايكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب إشارة إلى بدعة الخوارج المكفرة بمطلق الذنوب ، فأما أصل الإيمان الذي هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقًا وانقيادًا له ، فهذا أصل الإيمان الذي من لم يأت به فليس بمؤمن . . . فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض ، والتجزئة وأن قليله يخرج الله به من النار من دخلها ، ليس هو كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل السنة : إنه لايقبل التبعيض والتجزئة ، بل هو شيء واحد ، إما أن يحصل منه ، أولايحصل منه شيء »[١]

ونحن نفصل بحول الله وقوته مقالة المعتزلة في مرتكب الكبيرة، ونسرد أدلتهم والرد عليهم إن شاء الله تعالى .

فالمعتزلة يقولون :

«إن كانت المعصية كبيرة فاسم مقترفها (الفاسق) لاالمؤمن ولاالكافر، فيخرج به صاحبها من الإيمان ، ولايدخل في الكفر، فيكون بمنزلة بين المنزلتين .

لأن الناس اختلفوا فيه :

فمنهم من قال : إنه مؤمن بما معه من التصديق فاسق بما اقترف من الذنب، وهو قول أهل السنة والجماعة .

ومنهم من قال : إنه كافر، وهو فاسق ،وهو قول الخوارج .

ومنهم من قال : إنه منافق وهو فاسق ، وهو قول الحسن البصري .

فاتفقت الأمة على إطلاق اسم الفاسق ، واختلفوا فيما وراء ذلك ، فأخذنا بالمتفق عليه ، وتركنا ما اختلفوا فيه ، فقلنا : إنه فاسق وليس بمؤمن ولاكافر ولامنافق وحكمه أنه مخلد في النار إن مات قبل التوبة »[٢]

وقد عرض صاحب الانتصار لهذه القضية ودلل على أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين بالأدلة العقلية والنقلية ، وقرر أن قول المعتزلة هو مما يعلم بالاضطرار

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٢ ص٤٧٤ - ٤٧٥

(٢) التمهيد لقواعد التوحيد ، أبي المعين النسفي ص٣٥٧ تحقيق جيب الله حسن أحمد ط الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، دار الطباعة .

فيقول :

«فكيف يكون واصل بن عطاء -رحمه الله - والمعتزلة قد خرجو من الإجماع بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين ؟وهل يكون قول أوضح صوابـًا ، ولاأصح معنىً من قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ؟ ولوكان شيء من الدين يعلم صوابه بالاضطرار لعلم قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ؟ باضطرار »[١] أما القاضي عبد الجبار فيقول : إن «صاحب الكبيرة لايسمى مؤمنـًا ولاكافرًا ولامنافقًا ، بل يسمى فاسقًا ، وكما لايسمى باسم هؤلاء ، فإنه لايجري عليه أحكام هؤلاء ،بل له اسم بين الاسمين أوحكم بين الحكمين »[٢]

والجواب عن هذا :

«مايزعمه المعتزلة أن نأخذ المتفق عليه ، ونترك المختلف فيه قول باطل ، لأن ذلك يصير إلى إحداث قول لم يكن من الأمة ، وخروج عن جميع أقاويل السلف ، وهذا خرق الإجماع، وخروج عنه ، وهو باطل بالإجماع ، وفيه أيضًا إحداث القول بمنزلة بين الإيمان والكفر ، وهو خروج عن الإجماع ، والأخذ بالإجماع بمخالف الإجماع من وجهين جهل فاحش .

ثم الأمة إذا اختلفت في شيء على أقاويل صار ذلك منهم إجماعًا على أن ماعداها باطل ، فكان الواجب بعد ذلك البحث عن الأقاويل وعرضها على الدلائل ، واتباع ماشهد الدليل بصحته وعند العجز عن التمييز بين الحق منها والباطل يجب التوقف والرجوع إلى من أكرم بالعلم والخضوع له والتعلم منه .

فأما جعل التوقف الذي هو مقتضى تعارض الأدلة ونتيجة العجز عن ترجيح البعض على البعض ، ومن موجبات الحيرة مذهبا يتمسك به وعقيدة يدان بها محيد عما توجبه العقول وتقتضيه الأصول وبالله العصمة »[٣]

---

(١)الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، أبي الحسن عبد الرحيم الخياط المعتزلي ص١٥٣ تحقيق تيبرج ١٩٨٧م دار الندوة الإسلامية .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص١٣٩ - ١٤٠ ، وفضل الاعتزال ص٦٤ نقلاً عن آراء المعتزلة الأصولية ص١٢٣

(٣)التمهيد لقواعد التوحيد ص٣٦١ - ٣٦٢

الأدلة والرد عليها :الأدلة العقلية:

قالوا : استحقاق الخلود في العقاب يختص بالكبائر .

والمعتزلة قسموا الذنوب إلى الصغائر والكبائر، والعقاب عندهم أوأكثرهم لايجب وجوب الثواب ، فإن الثواب لايجوز حطه ، والعقاب يجوز إسقاطه عند البصريين وفريق من البغداديين .

الجواب :

هذا المذهب يناقض معظم الآيات من الكتاب والأخبار من السنة،ويغلق باب الرحمة ويفضي إلى اليأس والقنوط .

وقد قال تعالى : ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾[١]

وقال ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[٢]

وقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[٣]

ففرق بين الإيمان والعمل ، وخاطب في كل آية الفاسقين بخطاب المؤمنين .

ومن أوضح مايلزمهم أن نقول :

من أصلكم أن الوعيد على التأبيد يستحق بزلة واحدة ،ويحبط لأجلها ثواب الطاعات ، وذلك مع تسليم فاسد أصولكم في القول بالتحسين والتقبيح - مستحيل .

فإن مرجع العقود عندكم ومداركها إلى أمثلة في الشاهد ، ونحن نعلم أن من خدم غيره ، وبلغ جهده دائبًا في رعاية حقه مائة سنة فصاعدًا ، ثم بدرت منه بادرة واحدة ، فليس يحسن إحباط جميع حسناته بسيئة واحدة ، وإن كان الثواب والعقاب متنافيين .

فليس الثواب بأن يحبط أو لا من العقاب بأن يسقط »[٤]

---

(١) سورة الزمر : الآية ٥٣

(٢) سورة النساء : الآية ١١٦

(٣) سورة الأنبياء : سورة ٨

(٤)لباب العقول - لأبي الحجاج المكلاتي ص٣٩١ - ٣٩٢ ط الأولى ١٩٧٧ م دار الأنصار .

الأدلة النقلية :

أولاً : استدلوا بقوله تعالى : ﴿وكان بالمؤمنين رحيما ﴾[١]
فوصف نبيه بالرأفة والرحمة بالمؤمنين ، فقال : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[٢]
وقال في الزانيين ﴿ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾[٣]

قالوا : فلو كانا مؤمنين لما أمر بترك الرأفة بهما ، وكيف يصف رسول الله ﷺ بالرأفة بالمؤمنين ، ويأمره أن لاتأخذه رأفة بالزانيين ؟ لولا أن الزانيين ليسا بمؤمنين، لأنهما لو كانا مؤمنين لكان الذي وصفه به من الذي نهاه عنه ، وغير جائز أن يصفه بصفة وينهاه عنها ، لأن ذلك يتضاد ويختلف .

قالوا : فدل ماوصفناه على أن الزانيين ليسا بمؤمنين .

الجواب : وقد تصدى لهذه الشبهة الإمام محمد بن نصر المروزي ، ودحضها بالأدلة الواضحة ، فقال : «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مامن صاحب كنز لايؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جبينه وجنباه ، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . . الحديث [٤] ، ثم قال ابن نصر : فهذا الحديث حجة على أهل الأهواء كلهم من الخوارج والمعتزلة وغيرهم ؛ لأنهم كلهم خلا المرجئة - يزعمون أن مانع الزكاة إذا مات غير تائب أنه من أهل النار خالداً مخلداً لايخرج منها أبداً وأيسوه من رحمة الله تعالى ومن شفاعة الشافعين .

فأكذب النبي ﷺ مقالتهم في الحديث ، فأخبر أن الله عزوجل يعاقب مانع الزكاة بالعقوبة التي ذكرها ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، فأطمعه في دخول الجنة ، ولم يؤيسه من رحمة الله تعالى ، خوفه دخول النار ولم يؤمنه منها .

فدل ما ذكرنا أن مانع الزكاة ليس بكافر ولامشرك ، إذ أطمعه في دخول الجنة

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٣

(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٨

(٣) سورة النور : الآية ٢

(٤) رواه مسلم : ك١٢ ب٦ ح٢٦

لقوله تعالى ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[١]
ودل ذلك أيضًا على أنه مؤمن ، إذ أطمعه في دخول الجنة لقول النبي صلى الله عليه وسلم «لايدخل الجنة إلا مؤمن »[٢]

ثم إضافة على ذلك فإن « الشرع يدل على درء السيئات بالحسنات ، فإحباط العقاب أحق ، وقد قال تبارك وتعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾[٣] ثم الطاعات ثابتة على حقائقها ، صحيح أداؤها .

والإصرار على الكبائر ، لوكان يدرأ ثواب الطاعات كالردة ، ومفارقة الملة ، فإنها لما كانت محبطة ، كانت منافية لصحة العبادات ، ثم الثواب يستحق على الطاعات ، وإن كان عندهم بحسها ووقوعها طاعات ، وذلك يتحقق مع الكبيرة الواحدة محققة دونها »[٤]

اماالآيات من القرآن الكريم التي تأولوا فيها المعاني لتوافق أهوائهم ، ونحن نسوق بعضًا منها ، والرد عليها :

قال تعالى ﴿ لايصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ﴾[٥]

وقوله تعالى ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها ﴾[٦]

وقال تعالى ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار

---

(١)سورة النساء : الآية٤٨

(٢) مسلم : الصلاة ٢ / ١٠١٤

(٣) سورة هود : الآية ١١٤

(٤) الإمام محمد بن نصر المروزي ج٢ص٧٢٨ - ٧٢٩

(٥) سورة الليل : [١٥ - ١٦ : ٩٢]

(٦)سورة النساء : ١٤

هم فيها خالدون ﴾[١]

وقوله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ﴾[٢]

وأيضًا قالوا : إن الرب سبحانه ذكر حال الأشقياء ، حال السعداء ، وربط الخلود بهما ، ولم يذكر في الكتاب العزيز قسمًا ثالثًا .

فقال تعالى : ﴿وأما الذين سعدوا ﴾[٣] وقال : ﴿وأما الذين شقوا ﴾[٤]

وقال : ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾[٥]

واستدلوا أيضًا بقصة إبليس لعنه الله ، إذ كان عارفًا بالله تعالى مطيعًا له غير أنه ارتكب كبيرة ، وهي الامتناع عن السجود ، لآدم عليه السلام مما استوجب اللعنة والكفر والتخليد في النار .

الجواب عن هذه الأدلة :

أما قوله ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ فمعناه يكفر بالله ورسوله ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ويتعد حدوده ﴾ وتعدي جميع الحدود ، لايتصور إلا من كافر ، وأماالمؤمن المطيع لله سبحانه المستعين بسننه ، كيف يكون متعديًا جميع الحدود بمعصية واحدة ؟

وكذلك قوله ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وكذلك قوله ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدًا ﴾

والعمد من كل وجه لايتصور إلا من الكافر .

وآية ذلك : أن الرب تعالى لما ذكر القصاص ، ووجوبه ، لم يقرنه بالوعيد والخلود ، وحيث ذكر الخلود لم يتعرض للقصاص ، وذلك أصدق دلالة على أن التوعد بالخلود للكافر المستحل الذي لايجري ظواهر الأحكام .

فإن المرجئ الذي لم يلتزم أحكامنا إذا قتل لم نقض عليه بوجوب القصاص .

ثم الخلود ، وإن كان ظاهرًا في التأبيد ، فليس هو نصًا فيه ، فقد يطلق ،

---

(١)سورة البقرة : الآية ٨١

(٢) سورة النساء : الآية ٩٣

(٣)سورة هود : الآية ١٠٨

(٤) سورة هود : الآية١٠٦

(٥)سورة الشورى : الآية ٧

والمراد به امتداد مدد تطاول أمدها ، وعلى هذا التأويل تحي الملوك بتخليد الملك ، ويعارض استدلالهم بقوله تعالى : ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ ، وقد جاء في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باب في سياق ماروي من أن القاتل عمداً له توبة ، وقوله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمنا . . ﴾ وأنها منسوخة بقوله ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ﴾ ثم ذكر ماروي عن السلف في إثبات التوبة لكل ذنب ، ثم ذكر حديث القاتل تسعة وتسعين ، وكيف أنه مع ذلك كانت له توبة [١]

وهذا نص في محل النزاع ، ولاسبيل لهم إلى حمل الآية على التوبة من وجهين :

أحدهما : أن قبول التوبة حتم عندهم ، فلاسبيل إلى تعلق التوبة بالمشيئة .

الثاني : أنه تعالى فرق بين الشرك ومادونه ، والتوبة عن الشرك تجبه ، كما أن التوبة عن المعاصي تسقط أوزارها »[٢]

ومما يدل على فساد قولهم أمرين :

الأول : قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾[٣] سمى القاتل بغير الحق مؤمنا ، فثبت أن صاحب الكبيرة مؤمن .

الثاني : قوله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ ولو كان الجمع بين المعصية والإيمان محال : لما صح هذا الكلام ، وخرج عن كونه مفيداً ، وهو باطل »[٤]

---

(١) انظر المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبي القاسم اللالكائي ص٢٣٠ اختصره محمود آل موفي .

(٢) لباب العقول ص٣٩٥ - ٣٩٦

(٣) سورة البقرة : ١٧٨

(٤) المسائل الخمسون في أصول الدين ، للإمام فخر الدين الرازي ص٦٩ - ٧٠ تحقيق أحمد حجازي السقا - المكتب الثقافي للنشر والتوزيع .

المبحث الثالث :أدلتهم

استدل المعتزلة على مذهبهم بأدلة نقلية وعقلية على إثبات أن الشفاعة للتائبين وليست لأهل الكبائر العاصين .

المطلب الأول: الأدلة النقلية

النوع الأول : استدلوا بآيات الكتاب الحكيم في إثبات تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار ، وعدم إخراجهم منها ، وأن هذا يدل على عدم ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب .

قال القاضي عبدالجبار : «دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام ، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ﴾[١][٢]

ونجد أنه في موضع آخر من كتبه يذكر وجه الاستدلال فقال :

« إن هذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لايشفع للفجار والفساق ؛ لأنه لوشفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار ، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك »[٣]

- قوله تعالى : ﴿ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾[٤]

«قالوا : والظالم هو الآتي بالظلم ، وذلك يتناول الكافر وغيره ، لايقال : إنه تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع يطاع ، ولم ينف شفيعاً يجاب القول ، لأنا نقول : الجواب عنه من وجهين :

الأول : أن كل عاقل يعلم أنه ليس في الوجود أحد يطيعه الله تعالى ، فلا يكون في حمل الآية على ماذكرتم فائدة .

الثاني : أن الشفيع دون المشفوع إليه ، لأنه لوكان فوقه يسمى آمراً وحاكماً ، ولايسمى شفيعاً . فلفظ الشفيع أفاد كونه دون الله تعالى ، فلم يمكن حمل قوله

---

(١) سورة الزمر : الآية ١٩

(٢) شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩

(٣) متشابه القرآن - للقاضي عبدالجبار ، القسم الثاني ص٥٩٢ تحقيق عدنان زرزور ، دار التراث .

(٤) سورة غافر : الآية ١٨

«يطاع» على من فوقه . فكان المراد : أنه ليس لهم شفيع مقبول القول »[١]

قوله تعالى : ﴿ومالظالمين من أنصار﴾[٢] والشفيع لاشك أنه من الأنصار .

وقوله تعالى : ﴿وإن الفجار لفي جحيم ، يصلونها يوم الدين ، وماهم عنها بغائبين﴾[٣]

قالوا : «ولوكانت الشفاعة مقبولة في حق العصاة إما في إسقاط العقاب أوفي الإخراج من النار بعد الدخول فيها لكان قوله ﴿وماهم عنها بغائبين﴾ خلفاً »[٤]

- واستدلوا بقوله تعالى : ﴿لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾[٥]

وقوله : ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾[٦]

وقوله : ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾[٧]

قال القاضي عبدالجبار في الاستدلال بهذه الآيات :

«لوكان الفاسق يخرج من النار إما بانقطاع مايستحقه من النار ، أوبالشفاعة لما صح ماذكره الله تعالى من أنه كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها »[٨]

الجواب عن هذه الآيات : يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يأتي :

الوجه الأول :

أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر الأئمة يقرون بما تواترت به الأحاديث[٩] الصحيحة عن النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قوماً من عصاة

---

(١) انظر التفسير الكبير - الفخر الرازي ج٢ص٦٠ دار الفكر ، الأربعين في أصول الدين للرازي ج٢ص٢٤٩ ط١ الأولى ١٤٠٦هـ دار التضامن .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٠

(٣) سورة الانفطار : الآية ١٤ - ١٦

(٤) الأربعين في أصول الدين ج٢ص٢٥٠

(٥) سورة الزخرف : الآية ٧٥

(٦) سورةفاطر : الآية ٣٦

(٧) سورة السجدة : الآية ٢٠

(٨) متشابه القرآن ص٥٦١من القسم الثاني .

(٩) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ج٢ / ٦ ص١٠٨٩ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ج٢ص٥٢٤ بتحقيق التركي .

المؤمنين بعد أن يعذبهم الله ماشاء أن يعذبهم ، ويخرجهم بشفاعة محمد ﷺ .

الثاني : أن الآيات التي احتج بها المنكرون للشفاعة خاصة بالكفار فقط ، ومما يدل على ذلك ماورد في كتاب البعث والنشور من قوله : «آيات التخليد كلها في الكفار»[١] كذلك ماورد في كتاب تمهيد الأوائل حيث يقول : «جميع هذه الآيات وماكان بمعناها يراد بها أهل الكفر والجحد والتكذيب ، ولم يعن بهذا الوعيد أحداً من أهل الإسلام »[٢]

أما الجواب عن الآيات مفصلاً :

١ - فقوله تعالى : ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ المراد بكلمة العذاب هاهنا هي قوله تعالى لإبليس ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾[٣]ومعنى الآية : التسلية لرسول الله ﷺ ؛ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لايقدر رسول الله أن ينقذه من النار .

٢ - أن معنى قوله تعالى : ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ومالظالمين من أنصار ﴾ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته ، ولايخزى مؤمن مصيره إلى الجنة ، وإن عُذب بالنار بعض العذاب . فهذه الآية خاصة بمن لايخرج من النار ، ولهذا قال تعالى : ﴿ومالظالمين من أنصار ﴾أي الكفار ، وهذه الآية ليس فيها مايدل على تخليد كل من أُدخل النار أوعلى نفي الشفاعة .

٣ - أما قوله تعالى : ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ وغيرها فقد أجمع المفسرون على أن المراد بالذين فسقوا هم الذين كفروا وفارقوا طاعته »[٤]

---

(١) البعث والنشور للبيهقي ص٤٩ تحقيق عامر حيدر ط الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص٤٢٤ ، تحقيق عماد الدين حيدر مؤسسة الكتب الثقافية .

(٣)سورة ص : الآية ٨٥

(٤)انظر تفسير الطبري ١١ / ١٠٧ ، دار الحديث ، ابن كثير ٣ / ٤٦٣ مطبعة الشعب ، ولمزيد من الرد انظر الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين ، ناصر الجديع ، ص١١٤ - ١١٧ دار أطلس للنشر والتوزيع

النوع الثاني :

الاحتجاج بنصوص الوعيد في الكتاب والسنة الدالة على التصريح بالخلود في النار أوالحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي ، وأن في هذا دلالة على عدم إمكان الشفاعة لهم يوم القيامة .

- قوله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾[١]

واستدلوا : بماروي عن النبي ﷺ : «من تحسى سمًا وقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا »[٢] وفي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نارجهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»

وجاء أيضًا في الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لايدخل الجنة قاطع رحم »[٤]

وأيضًا استدلوا بحديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لايدخل الجنة نمام »[٥]

الجواب عن هذا :

١ - «أن ماورد من الوعيد بالخلود في النار أوالحرمان من الجنة لمن ارتكب تلك الذنوب محمول على من استحل ذلك ، فإنه يصير باستحلاله كافرًا ، أما من فعلها معتقدًا تحريمها فلا يلحقه هذا الوعيد ، وإن لحقه وعيد الدخول في النار لكنه دون تخليد »[٦]

٢ - «أن هذا جزاء من فعل شيئًا من تلك الذنوب ، ولكن الله تكرم على

---

(١)سورة النساء : الآية ٩٣

(٢)أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢ / ٤٧٨

(٣) رواه البخاري : ٧ / ٣٢ ومسلم : ١ / ١٠٣

(٤)صحيح البخاري ٧ / ٧٢ الأدب (باب اثم القاطع) ومسلم ٤ / ١٩٨

(٥) مسلم ١ / ١٠٠١ الإيمان (باب بيان غلظ تحريم النميمة)

(٦)انظر مدارج السالكين لابن القيم ١ / ٣٩٥

الموحدين فأخرجهم من النار إلى الجنة بتوحيدهم »

٣- أن هذا وعيد ، وإخلاف الوعيد لايذم بل يمدح ، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد ، ولايجوز عليه خلف الوعد ، والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة ، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه ، وأن الوعد حق عليه أوجبه على نفسه ، والله لايخلف الميعاد .

٤- أن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة ، يقال في شأنها : لايلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده ، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه ، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ، ومقتض لها وقد قام الدليل على ذكر الموانع ، كالتوبة والتوحيد والحسنات العظيمة الماصية ، والمصائب الكبار المكفرة ، وإقامة الحدود ونحوها »[١]

٥- إن هذا يحمل على من فعله على وجه التكذيب للصادق فيما أخبر به أن هذا الفعل كبيرة حرام ونحو ذلك ، وهذا صحيح لأن الرسول ﷺ قال : « من قال لاإله إلا الله دخل الجنة » فقال أبوذر : وإن زنا وإن سرق ؟ فقال : وإن زنا وسرق وقتل وشرب الخمر ، وإن رغم أبي ذر»[٢] فصح ماقلناه ، وقبلنا جميع الأخبار الصحاح ، ولم نضرب بعضها ببعض ، ولاأسقطنا بعضها ببعض ، كما يفعل أهل ا لبدع الذين ضاهوا اليهود في قولهم ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾[٣][٤]

النوع الثالث :

الاحتجاج بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة ، وأنها لاتنفع العصاة يوم القيامة ، وإنما تختص بزيادة درجات أهل الجنة .

ومن الآيات التي استدلوا بها :

- قوله تعالى : ﴿فما تنفعهم شفاعة ا لشافعين ﴾[٥]

قال الزمخشري * عند هذه الآية مقرراً إنكار الشفاعة لعصاة المؤمنين وغيرهم

---

(١) الشفاعة والرد على المخالفين ص١١٩ - ١٢٠

(٢)أخرجه أحمد في مسنده ٢ / ٢٤٣

(٣) سورة النساء : الآية ١٥٠

(٤) الإنصاف للباقلاني ص٢٣٦

(٥) سورة المدثر : الآية ٤٨

ماعدا الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة : « لوشفع لهم الشافعون جميعًا ، الملائكة والنبيون وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم ، لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله ، وهم مسخوط عليهم ، وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ ؛ لأنها تزيد في درجات المرتضين »[١]

-وقوله تعالى : ﴿ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع﴾[٢]

قالوا : «فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة ، وأصحاب الكبائر ظالمون »[٣]

-وقوله : ﴿من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة ﴾[٤]

قالوا : «ظاهر الآية يقتضي نفي الشفاعات بأسرها»[٥]

- وقوله : ﴿واتقوا يومًا لاتجزي نفس عن نفس شيئًا ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ﴾[٦]

«قالوا : فيه دليل على أن الشفاعة لاتقبل للعصاة ، لأنه نفى أن تقتضي نفس عن نفس حقًا أخلت به من فعل أوترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع »[٧]

---

* محمود بن عمربن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جارالله أبوالقاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب سافر إلى مكة فجاور بها زمنًا ملقب بجار الله أشهر كتبه الكشاف - أساس البلاغة ، ولد عام (٤٦٧ وتوفي عام ٥٣٨هـ - ١٠٧٥ - ١١٤٤م) الأعلام ج٨ص٥٤

(١) الكشاف ٤ / ١٦٢ دار الفكر

(٢) سورة غافر : الآية ١٨

(٣) انظر تفسير القرطبي ١ / ٣٧٩ ط الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م دار الكتاب العربي .

(٤) سورة البقرة : الآية٢٥٤

(٥)التفسير الكبيرللرازي ج٢ص٦٠ ط الأولى دار الفكر .

(٦)سورة البقرة : الآية ٤٨

(٧)متشابه القرآن ص٩٠

- وقوله ﴿لايشفعون إلالمن إرتضى ﴾[١] والفاسق غير مرتضى وقوله﴿أفمن حقت عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ﴾[٢]

قالوا : «أخبر تعالى عن ملائكته أنهم لايشفعون لأحد إلا أن يرتضيه الله عزوجل ، والفاسق ليس بمرتضى عند الله تعالى وإذا لم تشفع الملائكة له فكذا الأنبياء عليهم السلام لأنه لاقائل بالفرق »[٣]

الجواب عن هذه :

يجاب عن هذه بأن ماجاء في القرآن الكريم من آيات الشفاعة المنفية يتعلق بالكفار فقط ، بخلاف عصاة الموحدين ، فإن الشفاعة ثابتة لهم ، كما دلت عليه النصوص الشرعية من القرآن والسنة المثبتة للشفاعة .

قال ابن حزم -رحمه الله - : «قد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، فصح يقينًا أن الشفاعة التي أبطلها الله - عزوجل - هي غير الشفاعة التي أثبتها عزوجل ، وإذ لاشك في ذلك فالشفاعة التي أبطل عزوجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار . . . فإذ لاشك فيه فقد صح يقينًا أن الشفاعة التي أوجب الله عزوجل لمن أذن له واتخذ عنده عهدًا ورضي قوله ، فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام وهكذا جاء الخبر الثابت »[٤]

وأما الشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة فهذه لاخلاف عليها ، لكن لايعني هذا تأويل جميع نصوص الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات ، فهذا باطل ، وألفاظ النصوص الشرعية في الشفاعة صريحة في بطلان ذلك[٥]

هذا بالنسبة للرد المجمل أما الرد المفصل على الآيات التي احتجوا بها فهو كما يأتي :

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٢) الزمر : ١٩

(٣) التفسير الكبير للرازي ج٢ص٦٠

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ص٦٤

(٥) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ج٣ص٣٥ راجعه خليل الميس ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار القلم .

١- قوله تعالى : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[١]

المراد بهذه الآية الكفار ، حيث لاتنفعهم الشفاعة يوم القيامة .

وهو يدل بسبب التخصيص على ضد هذا الحكم في حق المؤمنين »[٢]

٢- قوله تعالى : ﴿ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾[٣]

قال الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله - مبينًا معنى الآية «ماللكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم مانزل بهم من عذاب الله ، ولاشفيع يشفع لهم عند ربهم ، فيطاع فيما شفع ، ويجاب فيما سأله»[٤]

فصار المراد بالظالمين الكفار ، فإن الظالم على الإطلاق هو الكافر .

٣- قوله تعالى ﴿ من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة ﴾[٥]

والجواب عن هذه الآية هو الجواب عن قوله ﴿ولايقبل منها شفاعة ﴾ فهب أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب إلا أن تخصيص مثل هذا العام بذلك السبب المخصوص يكفي فيه أدنى دليل ، فإذا قامت الدلائل الدالة على وجود الشفاعة وجب المصير إلى تخصيصها »[٦]

وقد أوضح هذا بالتفصيل الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية [٧]

٤- قوله تعالى : ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[٨]

قال الإمام ابن حزم ردًا على من احتج بهذه الآية على إنكار الشفاعة وقصرها على المحسنين فقط : «لاحجة لهم فيها ، لأن من أذن الله في إخراجه من النار

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤٨

(٢) انظر التفسير الكبير ج٢ ص٦٩ انظر الشريعة للآجري ص٣٣٥ أنصار السنة المحمدية

(٣) سورة غافر : الآية ١٨

(٤) تفسير الطبري ج٢٤ ص٥٣

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٤

(٦) التفسير الكبير للرازي ج٢ ص٦٩ وانظر تفسير النسفي عبدالله بن أحمد النسفي ١ / ٤٧ دار الكتاب العربي .

(٧) انظر تفسير الطبري ج٣ ص٣، ٤

(٨) سورة الأنبياء : الآية ٢٨

وأدخله الجنة ، وأذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه »[١]

ثم يرد عليهم أيضًا : «أنا لانسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح ، وإن كان مبغوضًا من جهة الذنوب والعصيان ، وارتكاب القبائح ، بخلاف الكافر ، فإنه ليس بمرضي مطلقًا ، لعدم الأساس الذي تبنى عليه الحسنات . . . وهو الإيمان »[٢]

يقول سيف الدين الآمدي *رادًا على المعتزلة في إبكار الأفكار :

«وقوله تعالى ولايشفعون إلا لمن ارتضى فهو حقيقة في ذات المشفوع له فالرضى غير متعلق بذاته ، ولهذا فإنه لايقال رضيت ذات فلان ، فلابد من التجوز فكما يمكن التجويز بذلك عمن ارتضى أفعاله فيمكن التجوز به عمن ارتضيت الشفاعة له ، وليس أحد المجازين أولى من الآخر ، و تقدير أن يراد منه من ارتضيت الشفاعة له لايدل على نفي الشفاعة إلا بتقدير عدم الرضا بالشفاعة ، وإن سلمنا وجوب حمل الآية على من ارتضى فعله ، فلانسلم وجوب حمله على كل الأفعال فإن حمل اللفظ على الفعل إنما كان ضرورة العمل باللفظ فيكون حجة في أقل ماندفع به الضرورة ولايعم ، وعلى هذا فيكون الفاسق المؤمن مرضيًا من جهة إيمانه فلايكون خارجًا عن صورة الاستثناء . وقوله تعالى ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب . . .﴾ دليل على أن من حقت عليه كلمة العذاب لاشفاعة في حقه ، ونحن نقول به فإن المراد من قوله حقت عليه كلمة العذاب أنه قُطع بعذابه وذلك عندنا غير متصور في حق غير الكافر الذي مات على كفره »[٣]

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٦٤

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢١٧ - ٢١٨

* أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي نسبه إلى آمد مسقط رأسه اشتهر بلقبه سيف الدين وينسب الآمدي إلى الحنبلي الشافعي ولد سنة ٥٥١هـ وتوفي ٦٣١هـ انظر سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣١٩

(٣) أبكار الأفكار - الآمدي ج٢ فصل ٢ ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار ، مخطوط مصور من مكتبة تركيا جامعة الملك سعود رقم ٣٥ / ب .

النوع الرابع : الأحاديث الدالة على أن محمدًا ﷺ لايشفع لبعض الناس في بعض المواطن من ا لقيامة .

- استدلوا بحديث أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام دخل المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أني قد رأيت إخواننا : قالوا يارسول الله ألسنا إخوانك قال : بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، قالوا : يارسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال أرأيت إن كان لرجل خيل غير محجلة . . . ألا فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألاهلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقًا فسحقًا »(١)

وجه الاستدلال : أنه لوكان شفيعًا لهم لم يكن يقول فسحقًا فسحقًا ؛ لأن الشفيع لايقول ذلك ، وكيف يجوز أن يكون شفيعًا لهم في الخلاص من العقاب الدائم ، وهو يمنعهم شربة ماء .

- استدلوا بحديث جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال لكعب ابن عجرة «ياكعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء إنه سيكون أمراء من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ، ولست منه ، ولن يرد علي الحوض . . . »(٢)

وجه الاستدلال : أنه إذا لم يكن من النبي ولاالنبي منه ، فكيف يشفع له ؟

وقوله «ولم يرد علي الحوض » دليل على نفي الشفاعة ؛ لأنه إذا منع من الوصول إلى الرسول حتى لايرد عليه الحوض ، فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب أولى .

- استدلوا بحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «لاألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول : يارسول الله أغثني ، فأقول لاأملك لك من الله شيئًا ، قد أبلغتك »(٣)

قالوا : وهذا صريح في المطلوب ؛ لأنه إذا لم يملك له من الله شيئًا ، فليس له

---

(١) رواه مسلم ك الطهارة ب استحباب إطالة الغرة والتحجيل حديث٣٩

(٢)رواه مسلم ك ٢٢ ب ٤ ح٢٠

(٣)رواه البخاري : ك الجهاد ب١٨٩ الغلول برقم ٣٧٣ ح٦ ص٢٢٨ ، ومسلم : ك الإمارة ب غلظ تحريم الغلوم ح١٢ ص٢٩٩

في الشفاعة نصيب .

الجواب عن هذه الأحاديث :

قال الإمام الفخر الرازي في الجواب عن هذه الأحاديث :

«وأما الأحاديث فهي دالة على أن محمداً ﷺ لايشفع في بعض مواطن القيامة ، وذلك لايدل على أنه لايشفع لأحد البتة من أصحاب الكبائر ولاأنه يمتنع من الشفاعة في جميع المواطن ، والذي نحققه أنه تعالى بين أن أحداً من الشافعين لايشفع إلا بإذن الله ، فلعل الرسول لم يكن مأذونًا في بعض المواضع وبعض الأوقات ، فلا يشفع في ذلك المكان ، ولافي ذلك الزمان ، ثم يصير مأذونًا في موضع آخر وفي وقت آخر في الشفاعة ، فيشفع هناك ، والله أعلم »[١]

المطلب الثاني : الأدلة العقلية :

ذكر الإمام الباقلاني أن من جملة شبههم أنهم قالوا : إنه قد روي عن الحسن البصري وغيره أن النبي ﷺ قال : «لاتنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي »[٢]

وروي عن القاضي عبد الجبار أن المراد بالحديث أي إذا تابوا »[٣]

الجواب عن هذا النوع :

أن هذا عن الحسن لم يصح ،ولم يرد في خبر صحيح ولافي سقيم ، وإنما هو اختلاق وكذب ، ولايعارض الآثار الصحاح المتفق على صحتها .

ثم لوجاز أن يكون قد روي فلم يسقط الصحيح المجمع على صحته بالضعيف السقيم الذي لاأصل له . مع إمكان الجمع بين الكل واستعمال الجميع ، فتحمل صحاح الأخبار على ماقلنا ، ويحمل هذا الخبر على أنه أراد به الكبائر التي تخرج من الإسلام ، ويصير هذا كما قلنا إن نجمع بين كل ماذكر في القرآن ، وإن كان ظاهره يناقض بعضه بعضًا عند الجهال مثلكم ، فإنه تعالى قال : ﴿هذا يوم لاينطقون ﴾[٤]

---

(١)تفسير الفخر الرازي ج٢ص٧٠

(٢)الإنصاف ص٢٢٤

(٣) شرح الأصول الخمسة ص٦٩١

(٤)سورة المرسلات : الآية : ٣٥

ثم قال في موضع آخر ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾[١] فيحمل هذا على أنهم لاينطقون عند الصراط ، والميزان والكتب ويسأل بعضهم بعد ذلك ، حتى لانسقط شيئًا من كتاب الله ، ولاينقض بعضه ببعض ، فكذلك يحمل قوله : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» في حق من يبقى على الإيمان حتى يخرج من دار الدنيا ، ويحمل ماذكروا لوكان صحيحًا على من خرج من الدنيا على غير إيمان ، ونكون أسعد وأولى ، لأنا نثبت الصحيح بتأويل لشيء باطل لأصل له أن لوصح ، وهم يسقطون الصحيح المتفق على صحته بشيء باطل لم يصح »[٢]

الوجه الثالث : لادليل على تقييد هذه الشفاعة لأهل الكبائر بالتوبة ، لافي هذا الحديث ولافي غيره .

ومن المعلوم أن التوبة تجب ماقبلها ، وأن التائب من الذنب كمن لاذنب له ، ومن تاب من أي ذنب توبة صادقة تاب الله عليه ، وغفر ذنبه ، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعًا للتائبين .

ومادام أن التائب ذنبه مغفور فلايحتاج إلى شفاعة أحد ، وإنما يحتاج إلى المغفرة أو الشفاعة المذنب الذي مات ولم يتب »[٣] وقد أيد هذا المعنى شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى [٤]

النوع الثاني :

قال القاضي عبدالجبار : «الرسول إذا شفع لصاحب الكبيرة فلايخلو : إما أن يشفَّع أولا ، فإن لم يُشفَّع لم يجز لأنه يقدح بإكرامه ، وإن شفِّع لم يجز أيضًا لأنا دللنا على أن إثابة من لايستحق الثواب قبيح ، وأن المكلف لايدخل الجنة تفضلاً »[٥]

---

(١) الطور : الآية ٢٥

(٢) الإنصاف - للباقلاني ص٢٣٤

(٣) انظر الشفاعة والرد على المنكرين ص١٢٩ - ١٣٢

(٤) ج١١ ص١٨٤ ، ١٨٥

(٥) شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩

الجواب . .

أن هذه الشبهة للمعتزلة مبنية على مسألة الوعد والوعيد ، وقد سبق الكلام عليها وبيان فسادها .

النوع الثالث :

قال القاضي عبدالجبار : «اتفقت الأمة على هذا القول : اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة » فلو كان الأمر على ماذكرتموه - أي أهل السنة - لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق ، وذلك خلف »[١]

الجواب عن هذا النوع : قال الإمام الفخر الرازي :

« إن عندنا تأثير الشفاعة في جلب أمر مطلوب ، وأعني به القدر المشترك بين جلب المنافع الزائدة على قدر الاستحقاق ، ودفع المضار المستحقة على المعاصي ، وذلك القدر المشترك لايتوقف على كون العبد عاصيًافاندفع السؤال »[٢]

ويجاب عن هذه الشبهة أيضًا بما نقل عن القاضي عياض - رحمه الله - أنه قال : «قد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح - رضي الله عنهم - شفاعة نبينا - ﷺ - ورغبتهم فيها » ثم قال وعلى هذا لايلتفت إلى قول من قال : إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لكونها لاتكون إلا للمذنبين ، فإنها قد تكون لتخفيف الحساب ، وزيادة الدرجات ، ثم عاقل معترف بالتقصير ويحتاج إلى العفو ، غير معتد بعمله ، مشفق منه أن يكون من الهالكين ، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة ، لأنها لأصحاب الذنوب أيضًا ، وهذا كله خلاف ماعرف من دعاء السلف والخلف »[٣]

النوع الرابع :

فإن قيل : أليس عندكم أن الرسول ﷺ لايشفع إلا في مؤمن ، وقد وردت الروايات «لايزني الزاني وهو مؤمن » ولايسرق السارق وهو مؤمن»[٤]

---

(١) المرجع السابق ص٦٩٢

(٢) التفسير الكبير ج٢ص٦٩

(٣) انظر شرح النووي ج٣ص٢٣٦

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤ / ١٧٣ كتاب الحدود (باب السارق حين يسرق)

وكذلك روي أنه قال : «ليس منا من يأتينا بطينا ويأتي جاره خميصًا »[١] «ومن غشنا فليس منا »[٢] إلى غير ذلك ، فكيف يشفع الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن ليس بمؤمن ؟

الجواب :

أن يقال لهم : هذه الأخبار لاحجة فيها ، ولاتعارض أخبار الشفاعة ، فإنها محتملة لوجوه إذا صرفت إليها صحت ، ولم تكن معارضة لأخبار الشفاعة .

منها : أن يكون المراد لايزني ولايسرق حين يفعل ذلك ، وهو مؤمن ؛ أي مستحل لذلك ، حتى يصح الجمع بين هذه الأخبار وبين قوله صلى الله عليه وسلم : «من قال لاإله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنا وشرب الخمر »[٣]

أويكون أراد بذلك إذا فعله على وجه التكذيب لتحريم هذه الأشياء ، والله تعالى لم يحرمها ، أويكون المراد ليس بمؤمن كإيمان المؤمن الذي لم يكن منه سرقة وزنا ولاشرب خمر ؛ أي في البر والطهارة والعفة ونحو ذلك أي المراد كمال الإيمان »[٤]

الشبهة الأخيرة : شبهة الحلف بالطلاق

وهذه الشبهة مما تعلق بها المعتزلة كثيرًا حتى إن الإمام الباقلاني رد على هذه الشبهة في اثنين من كتبه # فيقول : «فإن قيل : ماتقولون فيمن حلف بالطلاق الثلاث أنه يفعل فعلاً ينال به شفاعة الرسول عليه السلام ، ويستحق به شفاعة الرسول ، أوقال : أفعل فعلاً يجوز أن يشفع لي فيه الرسول مما استحق من العقاب بماذا تأمرونه ؟ أتأمرونه بالمعصية أم بالطاعة ؟

قلنا الجواب من وجهين :

أحدهما : أنا نقول نأمره بالتمسك بالتوحيد والإيمان دون فعل الذنوب ؛ لأن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٣ص٤٦٦

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١ / ٦٩ ك الإيمان (باب قوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا .

(٣) أخرجه البخاري : ٤ / ١٢٠ ك الدعوات (باب ماجاء في الرقاق)

(٤) الإنصاف للباقلاني (٢٣٦ - ٢٣٧)

الشفاعة لاتنال بالذنوب ، وإنما تنال بالإيمان دون الذنوب ، وهذا كما أن زيداً يشفع في ذنب صديقه ، أوقريبه أوحبيبه في دار الدنيا إلى من ملك إسقاط ذلك لايقال : إنه نال ذلك بالذنب الذي أذنب أو الخطأ الذي أخطأ ، وإنما ناله بالصداقة المتقدمة أوالقرابة المتقدمة أو السؤال المتقدم ، لانفس الذنب ، ونأمره أيضاً بفعل الطاعات حتى ينال بذلك شفاعة الرسول عليه السلام في الزيادة له من البر والنعيم ونحو ذلك .

الجواب الثاني :

أنا نعارضكم بمثل هذا : لاتجدون أنتم عنه محيصاً ، فنقول لكم : ماتقولون فيمن سمع قوله تعالى : ﴿يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾[1]

فحلف رجل بالطلاق الثلاث ليفعلن فعلا يجب عليه فيه التوبة أو الاستغفار حتى يتوب منه ويستغفر ماتأمرونه ؟ فإن قالوا نأمره بالطاعة ، وفعل الخير .

قلنالهم : هذا لايصح ، لأن الإنسان لايجب عليه التوبة أو الاستغفار من فعل الطاعة والخير بإجماع المسلمين ، وإن قلتم : نأمره بفعل المعاصي والذنوب حتى تجب عليه التوبة والاستغفار فيتوب ويستغفر حتى يتخلص من يمينه ، فقد استحللتم ماحرم الله وأمرتم بما لايجوز لمسلم أن يأمر به ، وإن قلتم : لانأمره بفعل المعصية ، ولكن إن ابتلي بشيء من ذلك قلنا له قد فعلت ماوجب به عليك التوبة والاستغفار وزوال حكم اليمين ، قلنا لكم : نحن أيضاً نقول لمن حلف ليفعلن فعلاً يجوز أن يشفع فيما يستحق عليه من العقاب شفاعة الرسول ﷺ ، نقول له تمسك بالطاعة والإيمان ، فإن ابتليت بشيء من المعاصي فقد خرجت من اليمين ، ويجوز أن يشفع لك الرسول ، لاأنا نأمره بالمعصية بوجه من الوجوه »[2]

---

* تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص٤٢٩ ، الإنصاف ص٢٣٩

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٢

(٢) الإنصاف للباقلاني ص٢٣٩ - ٢٤٠

انظر أصول الدين - للبغدادي ص٢٤٥ ط الأولى ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م مطبعة الدولة ، استانبول .

ومما يدل على فساد قولهم وأصل قولهم وأدلتهم أنهم ذهبوا في هذا كله إلي التمسك بأمور ظنوها قطعية في الدلالة وهي ظنية ، ومن ذلك :

أولاً : «ردهم للأحاديث التي لاتوافق أقوالهم ومذاهبهم ويدعون أنها مخالفة للعقول فيجب ردها كالمنكرين لعذاب القبر والصراط والميزان ، ورؤية الله عزوجل في الآخرة .

ثانيًا : قدحهم في الرواة من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم ، كل ذلك ليردوا به على من خالفهم في المذاهب ، وأحيانًا كانوا يردون فتاوى الصحابة أمام العامة لينفروا الأمة عن أتباع السنة وأهلها .

ثالثًا : ذهبت طائفة إلى نفي أخبار الآحاد جملة والاقتصار على ماتستحسنه عقولهم في فهم القرآن »[1]

ومما تقدم نكون قد عرضنا لقول المعتزلة وأدلتهم وأصل قولهم وبينا فساد هذا ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) الاعتصام للشاطبي ج١ ص١٤٠

ولمزيد من الرد عليهم انظر ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره ، محمد الحربي ص١٣٣ عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

المطلب الثالث: احتجاجاتهم أن الشفاعة ثابتة بخبر الواحد :

وقد أورد هذه الشبهة أحد كبار المعتزلة ، وهو القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني عند كلامه عن الشفاعة فقال :

(ماروى عن النبي ﷺ أنه قال : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . . وهذا الخبر لم تثبت صحته ، ولوصح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ﷺ ، ومسألتنا طريقها العلم ، فلايصح الاحتجاج به»[1]

الجواب عن هذه الشبهة من عدة وجوه :

الوجه الأول :

هذا الحديث أخرجه جمع من أصحاب السنن والمسانيد[2]عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، وأن بعض أئمة الحديث قد نصوا على صحته .

الوجه الثاني :

أن الامتناع عن الاحتجاج بهذا الحديث - على افتراض صحته - لأنه من آحاديث الآحاد غير مسلم ، لما تقدم من بيان صحته ، ولأن القول بأن أحاديث الآحاد لاتثبت بها عقيدة قول مبتدع وحادث لاأصل له في الشريعة وكل ماكان كذلك فهو قول مردود .

الوجه الثالث :

لووجد دليل قطعي يدل على أن أحاديث الآحاد لاتثبت بها عقيدة لعلمها الصحابة وصرحوا بها ، وكذلك من بعدهم من السلف .

الوجه الرابع :

هذا القول مخالف للمنهج العلمي الذي كان عليه الصحابة ، فقد كان الواحد منهم يقبل خبر من حدثه عن الرسول - ﷺ - ويجزم به ولايرد قول أخيه بحجة أن الحديث الذي نقله إنما هو حديث آحاد وكذلك إرسال الرسول ﷺ الرسل إلى

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص٦٩٠

(٢) أخرجه أبوداود : ٥ / ١٠٦ ك السنة باب الشفاعة ، والترمذي في سننه ٤ / ٦٢٥ كتاب صفة القيامة والإمام أحمد في مسنده ٣ / ٢١٣ - اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦ / ١١٠١ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١ / ٤٨٨ إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم ٢ / ٣٩٩ وقال : صحيح بطرقه .

الأمراء والبلدان لتبليغ رسالة الله يدل على قبول خبر الواحد . يقول ابن حجر عند شرحه لكتاب أخبار الآحاد (باب ماجاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة . . . «وقصد الترجمة الرد به على من يقول إن الخبر لايحتج به إلا إذا رواه أكثر من شخص واحد حتى يصير كالشهادة ثم جاء في الكتاب أبواب منها باب بعث النبي ﷺ الأمراء والرسل واحداً بعد واحد »[1]

الوجه الخامس :

الأدلة الدالة على وجوب الأخذ بأدلة الكتاب والسنة تشمل العقائد والأحكام . فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد إذا كانت آحاد تخصيص من غير مخصص .

الوجه السادس :

قولهم هذا في ذاته عقيدة (أي أن أحاديث الآحاد لايحتج بها) وعلى طريقتهم فإن هذه العقيدة تحتاج إلى دليل قطعي ينهى عن الأخذ بآحاديث الآحاد في العقيدة ولادليل على ذلك .

الوجه السابع :

أمر الله تعالى رسوله بالبلاغ المبين ، ومعلوم أن البلاغ المبين هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ويحصل به العلم ، فلوكان خبر الواحد لايحصل به العلم لم يقع به التبليغ فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل من العلم .

الوجه الثامن :

هذا القول يقتضي ترك العمل بأحاديث الآحاد التي فيها عقيدة وعمل ، لأن

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص٢٣١ ك أخبار الآحاد ، دار المعرفة .

عدم الأخذ بها في العقائد رد لها ، فكيف يؤخذ بها في الأحكام ؟!

الوجه التاسع :

ذكر الإمام ابن القيم *كلام العلماء في حجية خبر الواحد أمثال الشافعي في الرسالة وابن حزم وغيره من العلماء .

الوجه العاشر :

أنه قد دلت على الشفاعة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها * أ . هـ[1]

فما أحوج المنكرين إلى بعض التأمل في السنة المطهرة حتى يرجعوا إلى الصواب .

---

* انظر مختصر الصواعق المرسلة للموصلي ج٢ص٤٦٧ ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤م دار الندوة الجديدة .

* البخاري ٨ / ٢٠٢ ك التوحيد (باب شفاعة الرب عزوجل يوم القيامة والأنبياء وغيرهم) ، ومسلم ١ / ١٨٢ ك الإيمان . ابن خزيمة في التوحيد ٢ / ٦٥٤

(١) انظر الرسالة للشافعي ص٣٦٩ ومابعدها .

العقيدة في الله لعمر الأشقر ص٥١ ط الثانية ١٩٧٩م مكتبة الفلاح ، الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين - الجديع ص١٢٩

- أخبارالآحاد في الحديث النبوي الشيخ عبدالله بن جبرين .

الفصل الرابع

الشفاعة عند الأشاعرة والماتريدية ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول:التعريف بهم ، وفيه مطلبان:
المطلب الأول :التعريف بالأشاعرة
المطلب الثاني : التعريف بالماتريدية

المبحث الثاني :قولهم وأدلتهم وفيه مطلبان :
المطلب الأول :قولهم في الشفاعة
المطلب الثاني:أدلتهم

الفصل الرابع
الشفاعة عند الأشاعرة والماتريدية وفيه مبحثان :
المبحث الأول :التعريف بهم وفيه مطلبان :
المطلب الأول :التعريف بالأشاعرة

الأشاعرة : هم أتباع أبي الحسن الأشعري الذي كان معتزليًا فرجع عن ذلك إلى إثبات الصفات العقلية السبعة ، وتأويل الصفات الخبرية ، وهو الذي عليه الأشاعرة ، ثم انتهى أبوالحسن إلى مذهب السلف في غالب معتقده كما صرح بذلك في كتاب الإبانة .

وأبو الحسن هو علي بن إسماعيل ، من ذرية أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ تزوجت أمه بعد وفاة أبيه إسماعيل بأبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره ، وحامل راية ا لاعتزال ، ونشأ أبوالحسن في حجره ، وتلقى عليه علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته وأمين سره .

ولم يزل أبوالحسن يتزعم المعتزلة ويدافع عنهم ، حتى ثار عقله الكبير ، ونفسه القلقة على مذهب الاعتزال ، ونشأ في نفسه رد فعل ضد تأويلات المعتزلة فاعتكف في بيته خمسة عشر يومًا يفكر ويتأمل ويستخير الله حتى اطمأنت نفسه ورأى أنه لايسعه إلا الإعلان بالبراءة عن الاعتزال والرجوع إلى مذهب السلف .

مؤلفاته :

لأبي الحسن الأشعري مؤلفات كثيرة ، قال ابن حزم إنها خمسة وخمسون مصنفًا .

أما ماوصل إلينا منها فهو :

١ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين :

ويعد من أهم كتب المقالات وأوثقها وأدقها في نسبة الأقوال إلى أصحابها .

٢ - اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع :

وقد بين فيه كثيرًا من القضايا الكلامية التي رد فيها على المعتزلة ، وشرح فيها مذهبه في بعض المسائل من أمثال : وجوب الصانع - القرآن - الإرادة - الرؤية - القدر . . . الخ

٣- رسالته إلى أهل الثغر :

وهذه الرسالة تشتمل على مقدمة طويلة حول منهج الرسل في الاستدلال

وأنهم لم يدعوا إلى دليل الاعراض الذي دعا إليه المعتزلة وأهل الكلام ثم بعد ذلك عرض ما أجمع عليه السلف في مسائل العقيدة المختلفة من أمثال : الصفات - الرؤية - القدر - النبوة - الإيمان - الشفاعة . . . الخ

٤ - الإبانة عن أصول الديانة

وهو من أهم كتب الأشعري ، وأكثرها إثارة للجدل ؛ لأنه يحوي جوانب من العقيدة تخالف ما عليه متأخرو الأشعرية ونسبته ثابتة للأشعري[١]

أعلام المذهب : ومن أسباب انتشار المذهب الأشعري أن جمهرة من العلماء اعتمدوه ونصروه وخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين والأعلام الذين تبنوه :

كالباقلاني و ابن فورك و البيهقي و الإسفراييني و الشيرازي و الجويني والقشيري و البغدادي والغزالي والرازي و الآمدي و العز بن عبدالسلام وبدر الدين بن جماعة و السبكي -وغيرهم كثير ولم يكن هؤلاء أشاعرة فقط بل كانوا مؤلفين ودعاة إلى هذا المذهب ، ولذلك ألفوا الكتب العديدة في نصرة المذهب ، لذا فلم يكن أبو الحسن الأشعري مؤسس مذهب الأشاعرة فارس الميدان وحده ، بل جاء من بعده أتباع لهم شأن في هذا المجال بعضهم تابعه متابعة تامة ، وبعضهم خالفه فيما ذهب إليه على اختلاف في مقدار هذه المخالفة مما أدى إلى التطور في مذهب الأشاعرة حسب العلماء في كل عصر ، ومن أبرز من تطور المذهب على يديه الإمام الباقلاني الذي يعد الرجل الثاني بعد أبي الحسن الأشعري ، وكذلك أبو المعالي الجويني إمام الحرمين الذي لم يعد ناقلاً لمذهب أشياخه بل إنه ناقش ورد على بعضها أمثال مسائله تكليف مالايطاق

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج١ ص٣٤٥

مقدمة تحقيق الإبانة لفوقية محمود ص٣٨ ، مذاهب الإسلاميين -بدوي ج١ ص٤٨٧ ط١ الأولى ١٩٧١م دار العلم للملايين .

تبيين كذب المفتري ص١٢٨ ، ١٣٩٩هـ دار الكتاب العربي ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٢٨٤ دار صادر .

والاستطاعة مما ليس هذا مجال البسط فيه[١]

أما مجمل عقيدته : ١ - إثبات أن الله موجود واحد ، أزلي ، وأن العالم حادث .

٢ - إثبات صفات الله تعالى دون تفرقة بين الخبرية والعقلية ، ومن ذلك إثبات صفات السمع والبصر والحياة والإرادة ، والكلام ، والقدرة ، والعلم ، واليدين ، والوجه ، والاستواء ، والنزول ، والعلو ، والمجيء ، وغيرها مما هو ثابت في الكتاب والسنة .

٣- أما الصفات الاختيارية فلايثبتها صفات قائمة بالله تتعلق بمشيئته واختياره ، بل إما أن يؤولها أويثبتها أزلية وذلك خوفا من حلول الحوادث .

٤ - الإيمان بكلام الله ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، لكن الكلام عنده أزلي .

٥ - إثبات الرؤية ، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة .

٦ - الإيمان بالقدر مع ا لقول بالكسب ، وأن الاستطاعة لاتكون إلا مع الفعل .

٧- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ومرتكب الكبيرة مؤمن فاسق .

٨- في الإمامة والصحابة ، وأمور المعاد وغيرها يقول كما قال أهل السنة[٢]

والأشاعرة اليوم تعتقد بأمور أخرى بناءً على التطور المذهبي الذي حدث من خلال رجالها .[٣]

---

(١)انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، فقد عرض فصلاً في تطور المذهب الأشعري وأشهر رجاله ج٢ ص٥٠٩

(٢)الإبانة عن أصول الديانة ، للأشعري ص٧ ، تحقيق عبدالقادرالأرناؤوط ، ط الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م دار البيان .

(٣) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبدالرحمن بن صالح المحمود ، ج٢ص٤٩٣ مكتبة الرشد ط الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٥ م .

المطلب الثاني :التعريف بالماتريدية

الماتريدية : هم أتباع أبي منصور الماتريدي،وهم يشبهون في غالب آرائهم الأشاعرة لذا أدرجناهم في فصل واحد وهما الأشاعرة - والماتريدية.

أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة .

والماتريدي هو : محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ، السمرقندي .

والماتريدي : نسبة إلى ماترید ، ويقال لها ماتريت ، وهي محلة قرب سمرقند . ويحتل الماتريدي منزلة كبيرة في تاريخ الفكر الإسلامي حيث إنه مؤسس لإحدى المدارس الكلامية التي ذاع وانتشر فكرها في العالم الإسلامي ، وهي المدرسة الماتريدية .

وأبو منصور الماتريدي حنفي على مذهب الإمام أبي حنيفة »[1]

«ولقد خلع عليه أصحابه ألقابًا كثيرة فيذكر الكغوي أنه قد سمي إمام الهدى وقدوة أهل السنة والاهتداء ، رافع أعلام السنة والجماعة ، قالع أضاليل الفتنة والبدعة ، الشيخ الإمام أبومنصور الماتريدي إمام المتكلمين،ومصحح عقائد المسلمين،وهذه الألقاب تدل على مكانته العلمية بين أصحابه ، فقد فاق الأقران وتجمل به الزمان ، وشاعت مؤلفاته ، وسارت مصنفاته ، واتفق الموافق والمخالف على علو قدره وعظمة محله وطيب بشره .

أما عن أسرته فلاتمدنا المصادر بشيء عن أسرة الماتريدي ولاعن أحد من أسرته .

كذلك لم تذكر المصادر شيئًا عن تاريخ مولده ، وإن كان يرجح أنه ولد في عهد المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٧هـ وذلك لأن تاريخ وفاة اثنين من أساتذة الماتريدي ، وهما محمد بن مقاتل الرازي كان سنة ٢٤٨هـ ، ونصير بن يحيى البلخي كان سنة ٢٦٨هـ وعلى هذا يكون مولودًا في وقت يسمح بتلقيه العلم على يد

---

(١) انظر الماتريدية دراسة وتقويمًا ، أحمد بن عوض الحربي ص٧٩ - ٩٩ دار العاصمة ط الأولى ١٤١٣ هـ . منار الهدى لطالب بيان الحق - محمد أولى بن المنذر الأنصاري ص١٧٢

وتاج التراجم - لأبي الفداء قاسم بن قطلوبغا رقم٢١٧ حققه محمد خير رمضان ط الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، دار القلم .

هـــؤلاء ، واتفـــقت المراجع على تاريخ وفـــاة الماتريدي ٣٢٢هـ ودفـــنه في سمرقند »[١]

«وقد كان الماتريدي أبومنصور يجلس مع أبي نصر العياضي شيخه في حلقة أبي بكر أحمد الجوزجاني ، فقد تخرجا معًا في حلقته ، وكذلك كان يجلس الإمام أبوبكر أحمد الجوزجاني تلميذ محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة،وقد عكفت هذه المشيخة على رواية الكتب المنسوبة للإمام أبي حنيفة ، ورسائله ووصاياه في أصول العقائد ودراستها ، فكان الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة والرسالة والفقه الأبسط وكتاب العالم والمتعلم والوصية هي التعليقة التي يحملها فقهاء مذهب النعمان في أصول العقائد،وقد حملها الماتريدي ، ورواها عن شيوخه ، ولكنها أخذت شكلاً آخر على يديه بحيث أصبح هو متكلم مدرسة أبي حنيفة ورئيس أهل السنة والجماعة في بلاد ماوراء النهرين(سيحون وجيحون) .

تلاميذه :

وتخرج على يديه أربعة من أئمة العلماء هم :

- أبوالقاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الشهير بالحكيم السمرقندي ت ٣٤٠هـ - ٩٥١م
- أبوالحسن علي بن سعيد الرستغني
- أبومحمد عبدالكريم بن موسى البزدوي المتوفى ٣٩٠هـ - ٩٩٩م
- أبوالليث البخاري »[٢]

مؤلفاته :

١-كتب في الفقه وأصوله : وهما كتاب الجدل ، وكتاب مآخذ الشرائع ، ولهذين الكتابين أهميتهما ومكانتهما في أصول الفقه بين أتباع المذهب الحنفي، ولكن لم يقع لنا شيء من هذين المؤلفين .

---

(١)إمام أهل السنة والجماعة ، أبي منصور الماتريدي ، علي عبدالفتاح المغربي ص١١ ومابعدها ، مكتبة وهبة .

(٢) كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي ، تحقيق فتح الله خليف ، المقدمة ص٤ ومابعدها دار الجامعات المصرية .

٢- كتب في علم الكلام : ذكرت المصادر كتبًا للماتريدي هي :
التوحيد - والمقالات - والرد على القرامطة - وبيان وهم المعتزلة - ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي - ورد أوائل الأدلة للكعبي - ورد وعيد الفساق للكعبي - ورد تهذيب الجدل للكعبي - ورد الإمامة لبعض الروافض .

ولم يحفظ لنا الزمن من هذه الكتب سوى كتاب التوحيد والمقالات ، وكتاب التوحيد صحيح النسبة إلى الماتريدي حققه د. خليف ، وكتاب المقالات لايزال مخطوطا .

٣- تأويل القرآن الكريم : له كتاب ذكره أصحاب الطبقات باسم تأويلات القرآن ، وذكره صاحب كشف الظنون * باسم تأويلات أهل السنة ، وهذا الكتاب قد حفظه لنا الزمان ، وهو لايزال مخطوطا سوى جزء يسير منه .

أشهر رجال الماتريدية وأعلامها :

١- أبو اليسر البزدوي
٢- أبوالمعين النسفي صاحب تبصرة الأدلة .
٣- نجم الدين عمرالنسفي صاحب العقائد النسفية
٤- نور الدين الصابوني
٥- الكمال ابن الهمام صاحب فتح القدير في الفقه
٦- ملاعلي القاري ، صاحب شرح نخبة الفكر ، وشرح الفقه الأكبر .

منهج الماتريدي وعقيدته :

لايبعد الماتريدي كثيرًا عن أبي الحسن الأشعري ، فهو خصم لدود للمعتزلة ، وقد خالفهم في المسائل التي اشتهروا بمخالفة أهل السنة فيها مثل مسائل الصفات ، وخلق القرآن ، وإنكار الرؤية وتخليد أهل الكبائر في النار والشفاعة وغيرها ، ومع ذلك فلم ينطلق الماتريدي في الرد عليهم من منطلق السلف -رحمهم الله تعالى -إنما كان متأثرًا بمناهج أهل الكلام .

---

* لحاجي خليفة ج١ ص٢٥٣

انظر الماتريدية دراسة وتقويم ص١٠٩ ومابعدها

إمام أهل السنة والجماعة أبي منصور ص٢٢

من المسائل التي تميز بها مذهب الماتريدي :

١ - القول بوجوب النظر وإبطال التقليد في مسائل العقيدة ، ولذلك يقول : «نثبت أن التقليد ليس مما يعذر صاحبه »

٢ - الاستدلال على إثبات الصانع بدليل حدوث الأجسام المبني على عدم خلوها من الأعراض ومالايخلو من الحوادث فهو حادث ، وهو لايقتصر على هذا الدليل وإنما يذكر أدلة أخرى .

٣- استدلاله في بعض مسائل العقيدة بالسمع والعقل .

٤ - الماتريدي يثبت الصفات العقلية لله تعالى كالسمع والبصر والقدرة والإرادة والإحياء والإماتة وغيرها من صفات الذات والفعل وهو لايفرق بينهما لذا فهو يقول بأزلية صفات الفعل ، ومنها صفة التكوين التي قال إنها أزلية .

٥ - الماتريدي من نفاة الصفات الاختيارية لله تعالى تبعاً لمنعه حلول الحوادث بذات الله تعالى .

٦ - ينكر الماتريدي أن يكون الله في جهة العلو ويؤول بعض الأدلة .

٧- يقول بأن الله فاعل مختار على الحقيقة ، وهو خالق كل شيء والعبد مختار لما يفعله وهو فاعل كاسب .

٨- يميل إلى التحسين والتقبيح العقلي كما يثبت التعليل والحكمة في أفعال الله .

٩- والإيمان عند الماتريدي هو التصديق ومحله القلب ويستدل لذلك بدليل السمع من العقل .

١٠ - يوافق الماتريدي أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة لذلك فهو يرد على المعتزلة والخوارج .[1]

وبهذا نكون قد عرفنا بالماتريدية من حيث المؤسس والمنهج ورجال المذهب لنقف على قولهم في الشفاعة .

---

(١)انظر كتاب التوحيد للماتريدي ، تحقيق د. خليف ص٣١ ، الماتريدية دراسة وتقويم - اللهيبي ص: ١٣١

موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج٢ص٤٨١

إمام أهل السنة والجماعة أبي منصور - المغربي ص٣١ ومابعدها .

تأويلات أهل السنة للماتريدي ج١ تحقيق إبراهيم عوضين - السيد عوضين ١٩٧٦م القاهرة ، عند قوله تعالى ﴿ولاتقبل منها شفاعة ﴾.

المبحث الثاني: قولهم وأدلتهم وفيه مطلبان

المطلب الأول: قولهم في الشفاعة

أولاً : قول الأشاعرة في الشفاعة : الأشاعرة يوافقون أهل السنة والجماعة في إثبات الشفاعة ، ويقررون ذلك في كتبهم ، ويردون على من أنكر ذلك من أمثال المعتزلة والخوارج .

- فنجد أن شيخ الأشاعرة أبا الحسن الأشعري في كتابه الإبانة ، وهو ماانتهى إليه اعتقاده فيما ألف يقول :

«مسألة : الكلام في الشفاعة والخروج من النار

يقال لهم : قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة .

فلمن شفاعته ؟ أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أو للمؤمنين المخلصين ؟

فإن قالوا : للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا . وإن قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها رد عليهم »[1] ولعل مايقصده الشيخ أبو الحسن الأشعري هو ما وضحه العلامة أبوعذبة في كتابه الروضة البهية حين ذكر مسألة في الإنكار العقلي لعذاب العبد المطيع حين يقول :

«لووقع تعذيب المطيع لم يكن ذلك منه ظلمًا ولاعدوانًا - أي تعديًا - لأنه تعالى متصرف في ملكه بالتعذيب وتركه ، فله مايختار منها يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد لكنه جاء في حق العباد بالإحسان - أي بأن أحسن إليهم - بترك العقاب ، والجود إعطاء ماينبغي ، لالغرض ولالعوض .

إن قلت : كيف يتصور الجود بترك العقاب ، وهو عدمي ، والجود يقتضي كون مايتعلق به وجوديًا ؟

قلت : لما كان ترك العقاب مستلزمًا للأمن والسلامة ، وهما وجوديان صح تعلق الوجود به ، قال تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾[2] فلله ترك العقاب وبذل الثواب فضلاً على المطيعين أحدهما وجودي ، والآخر عدمي .

---

(١) الإبانة ص١٧٧

(٢) سورة النساء : الآية ٥٧

إن قلت : إطلاق الفضل على الوجودي ظاهر ؛ لأن إطلاقه على العدمي غير معقول .

قلت : الفضل الزيادة والإحسان الإتيان بما فيه صلاح الغير من غير أن يستحق ويستوجب ذلك ، ولما لم يجب للعبد على الله تعالى شيء فكل مايفعل في حقه من ترك العقاب وبذل الثواب يكون فضلا وإحسانا .

ألا أن ترك الأذى أحد ركني التفضل والإحسان »[١]

ويقول في رسالة إلى أهل الثغر «وأجمعوا أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه يخرج من النار قومًا من أمته بعدما صاروا حممًا فيطرحون في نهر الحياة »[٢]

نرى الإمام الباقلاني #في كتابيه« الإنصاف»« وتمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل» يقرر إثبات الشفاعة ويرد على شبه المعتزلة والخوارج ويبين فسادها فيقول : «اعلم أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من هذه الأمة »[٣]

أما الإمام أبو المعالي الجويني : إمام الحرمين #فإنه يذكر الشفاعة عن طريق

---

(١)الروضة البهية ، فيما بين الأشاعرة والماتريدية - الحسن بن عبدالمحسن المشهور بأبي عذبة ص٥٣ حققه عبدالرحمن عميرة ، عالم الكتب .

(٢) رسالة إلى أهل الثغر - لأبي الحسن الأشعري ص٢٨٨ ، مكتبة العلوم والحكم .

#محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني (٣٣٨ - ٤٠٣هـ) أبوبكر متكلم على مذهب الأشعري ولد بالبصرة ،وسكن بغداد ، وسمع الحديث ، ورد على المعتزلة والشيعة والخوارج من تصانيفه (تمهيد الأوائل - الإنصاف) انظر معجم المؤلفين ١٠ / ١٠٩

(٣) الإنصاف ص٢٣١ - تمهيد الأوائل ص٤١٥

عبدالملك بن عبدالله الجويني (٤١٠ - ٤٧٨ هـ) النيسابوري الشافعي الأشعري المعروف بإمام الحرمين ضياء الدين أبوالمعالي فقيه أصولي متكلم مفسر ولد في المحرم من تصانيفه (الشامل - الإرشاد) انظر معجم المؤلفين ٦ / ١٨٤

العقل،وأنها ثابتة،وهي مذهب أهل الحق،فيقول في كتابه الإرشاد :

«إذا ثبت جواز الغفران ، وقد شهدت له شواهد من الكتاب والسنة ، لم نذكرها لشهرتها ، فيترتب على ذلك تشفيع الشفعاء وحط أوزار المجرمين بشفاعتهم . فمذهب أهل الحق ، أن الشفاعة حق ، وقد أنكرها منكرو الغفران ومن جوز الصفح والعفو بدءاً من الله تعالى ، فلايمنع الشفاعة ، ومنهم من يمنعها على مصيره إلى تجويز الغفران ، وذلك نهاية في الجهل لايلتزمها ذوتحصيل »[١]

إن القارىء لعبارات إمام الحرمين يجد أنها تحتاج لمزيد من الإيضاح والتفسير يقول شارح الإرشاد :

« الشفاعة يؤمن بها أهل الحق ، لورود الآثار في ذلك ، وأما الذين أنكروا الغفران من الله جل وعز فإنهم منعوها ، ومن جوز الصفح والعفو من الله جل وعز ابتداء لايمنع الشفاعة ، ومنهم من يمنعها مع مصيره إلى تجويز العقل ، وهذا نهاية في الجهل ، لأنهم إذا جوزوا الغفران ، والشفاعة تفضي إلى الغفران ، فلم يمنعونها ؟ ثم من يرد الشفاعة لنا معهم نقاش :

أحدهما : أن نبطل عليهم التقبيح والتحسين بالعقل ونلزمهم أن الرب تعالى يفعل ماشاء ، وإن سلمنا لهم التقبيح والتحسين جدلاً ، فإنا نقول : كما تبتدىء الملوك بالصفح عن المذنبين ، كذلك أيضاً يصفحون عنهم بشفاعة رجال وجهاء عندهم ، وهذا غير منكر من عادات العقلاء .

ولشهرة الشفاعة عند العقلاء قال الله تعالى : ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ﴾[٢] وأحاديث الشفاعة كثيرة .

ومازال المسلمون قبل ظهور البدع يسمون محمداً صلى الله عليه وسلم شفيع الأمة ، وإذا كان الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم يشفعون لآبائهم ، فأحرى وأولى أن يشفع فيهم هاديهم إلى سواء الطريق ، ثم كان المسلمون مجمعين على الدعاء إلى الله جل وعز في أن يرزقهم الشفاعة ، وكان ذلك في العصور الماضية . وفيما تقدم ذكر دليل على أن الشفاعة لاتختص برفع الدرجات دون حط السيئات

---

(١)الإرشاد ص٣٣٠ تحقيق أسعد تميم ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، مؤسسة الكتب العربية .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٥

لتنصييص الأخبار على ذلك ، ولم ينكر منكر في الصدر الأول على عاص يدعو الله جل وعز في أن يشفع فيه نبيه »[١]

أما دلائل العفو فقط بسط الكلام فيها ا لإمام الرازي في الأربعين في فصل أسماه الفصل الرابع في دلائلنا على العفو فقال :

الحجة الأولى : الآيات الدالة على كون الله تعالى عفوا كقوله تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون ﴾[٢]

ثم سرد آيات وأدلة عقلية ثم قال :

الحجة الثانية : الآيات الدالة على كونه تعالى غافرًا أوغفورًا وغفارا .

قال تعالى : ﴿غافر الذنب ﴾[٣] . . .

الحجة الثالثة : الآيات الدالة على كونه تعالى رحمانا ورحيما . . .

الحجة الرابعة : قوله تعالى : ﴿إن ا لله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[٤]

ووجه الاستدلال به : أن قوله تعالى : ﴿لمن يشاء﴾ لايجوز أن يتناول صاحب الصغيرة ولاصاحب الكبيرة بعد التوبة ، فوجب أن يكون المراد منه حمله على صاحب الكبيرة قبل التوبة . . . الخ »[٥]

والمطالع لكتب الامام فخر الدين الرازي *

يجد أن غالب كتبه في الرد على منكري الشفاعة وقد استفاض في كتابيه

---

(١) شرح الإرشاد لأبي بكر بن ميمون ص٦٣٣ تحقيق أحمد حجازي السقا ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م مكتبة الأنجلوا المصرية .

(٢) سورة الشورى : الآية ٢٥

(٣) سورة غافر : الآية ٣

(٤) سورة النساء : الآية ١١٦

(٥) الأربعين في أصول الدين ج٢ص٢٣٥

*محمد بن عمر بن الحسن الطبرستاني الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي وبابن خطيب الري أبوعبدالله مفسر متكلم فقيه أصولي ولد بالري (٥٤٣ - ٦٠٦ هـ) له مؤلفات ضخمة منها مفاتيح الغيب وشرح الوجيز للغزالي (انظر معجم المؤلفين ١١ : ٧٩) .

الأربعين [١] والتفسير الكبير [٢] في الرد على هؤلاء ، أما في كتاب المسائل الخمسون في أصول الدين فقد اكتفى بذكر المذهب الصحيح فيقول «شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم شفاعة مقبولة في حق عصاة أمته يوم القيامة والدليل عليه : هو أنه أمر النبي بالاستغفار فقال : «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » فلزم أن يغفر الله تعالى لمن استغفر له النبي صلى الله عليه وسلم »[٣]

أما نص قوله في الأربعين فيقول : «المسألة السابعة والثلاثون في شفاعة نبينا محمد ﷺ اتفقت الأمة على إثبات هذه الشفاعة ، إلا أن المعتزلة قالوا بتأثيرها في إيصال ازدياد النعيم إلى أهل الثواب ، وأصحابنا قالوا ذلك حق ، ولكن من جملة تأثيراتها إسقاط العقاب عن أهل العقاب »

أما في محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين فقد عرض جانبًا آخر لهذه المسألة فقد بين بالأدلة العقلية والمناظرات الكلامية أن مرتكب الكبيرة لابد أن يعفو عنه ويدخل الجنة ، وهذا أحد الأدلة العقلية لهم حيث إنهم يقولون إذا جاز العفو والغفران جازت الشفاعة »[٤]

ثانيًا : قول الماتريدية في الشفاعة .

الماتريدية تثبت الشفاعة لما ورد من النصوص الشرعية الدالة على ثبوتها .

فقد جاء عن أبي منصور الماتريدي في كتاب التوحيد عند الحديث عن مسألة الشفاعة ومناقشة النافين فيقول :

«ثم قال بعضهم : لوكانت الكبيرة مما يجوز الشفاعة له لكان من يحلف بفعل شيء يستوجب به الشفاعة ، يؤمر بارتكاب الكبيرة .

قال الفقيه - رحمه الله - : فنقول ذلك وهم ؛ لأنه ليس الذي له أن يشفع هو

---

(١) ج٢ص٢٤٥

(٢) التفسير الكبير ج٢ص٦٠

(٣) المسائل الخمسون في أصول الدين - تحقيق أحمد حجازي السقا ص٦٩ المكتب الثقافي للنشر والتوزيع .

(٤) انظر محصل أفكان المتقدمين والمتأخرين - الرازي ص٢٣٥ مكتبة الكليات الأزهرية .

الذي يستوجب الشفاعة ، بل يستوجب بالحسنات التي بها يجب الولاية فيما ترك فحق من حلف بذلك ليس أن يقال له : اعص ، ولكن يقال له : أطع ليستوجب به الشفاعة فيما عصيت ، وكذلك من يحلف : لأفعللن الفعل الذي أستوجب به المغفرة ، لايقال له ارتكب الصغائر ، بل يؤمر باتقاء الكبائر والتوبة عنها ليغفر له ، فمثله أمر الشفاعة .

والشفاعة من أعظم ما احتج بها ، وقد جاء القرآن بها والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشفاعة في المعهود والمتعالم من الأمر تكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة ، فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الأخيار وأهل الرضا ، ثم كانت الصغائر مما لايجوز التعذيب عليها عند القائلين بالخلود في الكبائر ، والكفار مما لايعفى عنهم بالشفاعة ، فإذا بطل عظيم ماجاء به من القرآن والآثار في الامتنان وسقط ماجبل عليه أهل العلم من الرجاء بالله وبرحمته ، ويبطل دعاء المسلمين بشفاعة الرسل ، ولاقوة إلا بالله »[١]

وقال البزدوي* : وكذا الشفاعة لأهل الكبائر حق عند أهل السنة والجماعة ، فيشفع الرسل والأنبياء والعلماء لأهل الكبائر . . . ففيه أحاديث كثيرة . . . وكتاب الله تعالى دال عليه »[٢]

قال الله تعالى : ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[٣]

﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ﴾[٤]

وقال شارح الفقه الأكبر : «وشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق ، أي

---

(١) كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي ، تحقيق فتح الله خليف ص٣٦٥

* علي بن محمد بن الحسن بن عبدالكريم البزدوي أبوالحسن فخر الإسلام الفقيه بما وراء النهر صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة توفي يوم الخميس الخامس من رجب سنة ٤٨٢ هـ ودفن بسمرقند له كتاب المبسوط والجامع ، انظر تاج التراجم وقم ١٦٢ ص٢٠٥

(٢) أصول الدين ص١٦٢ نقلاً عن الماتريدية دراسة وتقويم ص٤٠ ومابعدها .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٤) سورة طه : الآية ١٠٩

عمومًا في المقصود ، وشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، أي خصوصًا في المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود ، للمؤمنين المذنبين ، أي من أهل الصغائر المستحقين للعقاب ، ولأهل الكبائر منهم ، أي من المؤمنين ، المستوجبين للعقاب حق ثابت ، فقد ورد : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[١] . . . ، بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى [٢]

وفي شرح العقائد النسفية يقول :

«والشفاعة ثابتة للرسل والأخيار في حق أهل الكبائر بالمستفيض من الأخبار » وهذا مبني على ماسبق من جواز المغفرة بدون الشفاعة ، فبالشفاعة أولى »[٣]

وفي تبصرة الأدلة يقول مقررًا إثبات الشفاعة بناءً على دليل عقلي :

«وهذه المسألة في الحقيقة هي المسألة الأولى ؛ فإن عندنا لما جاز أن يغفر الله تعالى لصاحب الكبيرة بفضله ورحمته ، وكانت المغفرة تحت الحكمة أجاز أن يغفر بشفاعة الرسل والأنبياء عليهم السلام ، وبشفاعة الأخيار من الآباء والأبناء والأقارب والأستاذين والتلامذة وغيرهم »[٤]

وهذه النصوص واضحة جلية في أن الماتريدية تثبت الشفاعة بناء على القاعدة عندها من جواز الغفران لصاحب الكبيرة ، وحيث إنهم يجعلون المغفرة تحت الحكمة ، قالوا : جاز أن يغفر لصاحب الكبيرة بشفاعة الشافعين من الأنبياء والرسل وغيرهم من المؤمنين .

---

(١)صحيح الترمذي ج٢ص٢٩٥ ، المشكاة ٥٥٩٩

(٢) شرحه الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص٩٤ - ٩٥ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(٣)شرح العقائد النسفية ص١٢٥ ، وانظر تفسير النسفي ج١ص٤٧

(٤)تبصرة الأدلة ص٧٩٢

وانظر كذلك الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية ، عبدالفتاح أحمد فؤاد ص١٢١ ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠م

المطلب الثاني :أدلتهم

يعتمد الأشاعرة في إثبات الشفاعة على أدلة عقلية مع إثبات الأدلة السمعية فعندهم أن شفاعة الشفعاء من مجوزات العقول ، وأن المعتزلة إذا كانوا قد جوزوا الصفح والعفو ابتداءً من الله تعالى فإن إنكارهم للشفاعة بمعنى إسقاط العقاب من العصاة تحكم لامعنى له .

يقول إمام الحرمين الجويني :

«وسبيلنا أن نبين أن تشفيع الشفعاء من مجوزات العقول بالطرق التي قدمناها فإن رددنا الأمر إلى محض الحق ولم نقل بالتحسين والتقبيح ، فالرب يفعل مايشاء ، وإن جارينا ، وقفونا فاسد معتقدهم ، فمرجعهم إلى شواهد الشاهد ، ولايقبح عند العقلاء أن يشفّع الملك بعض المخلصين المصطفين لديه في مذنب استحق عقابًا ولاينكر ذلك إلا متعنت .

فإذا أثبت جواز التشفيع عقلاً ، فقد شهدت له سنن بلغت الاستفاضة ، فمن رامها ألفها منقولة ، ثم هي مصرحة بالتشفيع في أهل الكبائر :

منها : حديث «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[١]

وقوله أيضًا : «لاتحسبوها للمتقين وإنما هي للخاطئين المتلوثين »[٢]

وحديث «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة فإنها أشفى »[٣]

وقد أجمع المسلمون قبل ظهور البدع على الرغبة إلى الله تعالى في أن يرزقهم الشفاعة ، وذلك مجمع عليه في العصور الماضية .

ثم قال : فإذا شهد العقل بالجواز ، وعضدته شواهد السمع ، فلا يبقى بعد ذلك للإنكار مضطرب »[٤]

---

(١)أخرجه الترمذي :ك القيامة (باب الشفاعة) رقم ٢٥٥٢ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج٢ص٢٩٥

(٢) أخرجه ابن ماجة : ك الزهد رقم ٤٣١١ صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ج٢ص٤٣١

(٣) أخرجه الترمذي : ك القيامة(باب الشفاعة)

(٤) الإرشاد ص٣٣٠ - ٣٣١

يقول الإمام الباقلاني في الإنصاف :

«ويجب أن يعلم أن كل ماورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكرونكير ورد الروح إلى الميت عند السؤال ونصب الصراط والميزان والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين ، كل ذلك حق وصدق ، يجب الإيمان به ، والقطع به ؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل ، ثم قال والدليل على ثبوت الشفاعة قوله تعالى : ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[١] يدل على ثبوت الشفاعة لمن أراد سبحانه وتعالى ، ويدل عليه قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[٢] وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[٣][٤]

أما أبو المعالي الجويني في النظامية فقد أثبت الشفاعة للعصاة بأدلة عقلية منها : دليل غفران الذنوب ، وبأحاديث نبوية ، ولم يذكر نصوصاً من القرآن [٥] فيقول : «اتفق أهل الحق على إثبات الشفاعة ، وهذا يستدعي تقديم القول في جواز غفران الذنوب ، فنقول : من استقر عنده أن الله تعالى يفعل مايشاء ، وتقرر لديه أن رب الأرباب لايجب عليه ثواب ولاعقاب لم ينكر جواز غفرانه وعفوه ، وإن نزلنا على مقدار عقول المخالفين في تشبيههم أحكام أفعال الله تعالى ، فقد تقرر عند العقلاء قاطبة أن العفو والصفح والتجاوز عن المجرمين من مكارم الأخلاق ومعالي الأمور ، وقد أطبقت طبقات الخلق على تفنن آرائهم واختلاف أهوائهم على تحسين التجاوز والعفو عند القدرة ، ثم إذا عظم قدر بعض الخدم عند الله لم يقبح منه تشفيعه في جميع المذنبين إذا تقرر الجواز في ذلك،فالأخبار في الشفاعة معروفة »[٦]

---

(١)سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٢) سورة الإسراء : الآية٧٩

(٣) أخرجه أبوداود ك السنة (باب الشفاعة) ص٢٧٩

(٤) الإنصاف ص٧٨

(٥) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للجويني ص١١٨ تحقيق أحمد حجازي السقا ط الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مكتبة الكليات الأزهرية .

(٦) العقيدة النظامية للجويني صححها الكوثري ص٦٠ مطبعة الأنوار ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م

أما كتب الماتريدية فقد ذكر في شرح العقائد النسفية أدلة عقلية ونقليه على إثبات الشفاعة نذكرمنها :

«قال : قوله(والشفاعة ثابتة) -قد يقال إن مرتكب المكروه يستحق حرمان الشفاعة تمسكًا بقوله ﷺ : «من ترك سنتي لم تنله شفاعتي »[١] فيحرم أهل الكبائر بطريق الأولى ، ويجاب بمنع الملازمة ؛ لأن جزاء الأدنى لايلزم جزاء الأعلى الذي له جزاء أعظم ، ويحمل السنة على الطريقة . قيل على أن الاستحقاق لايستلزم الوقوع .

ولوسلم فلعل المراد حرمان الشفيعية أوحرمان الشفاعة لرفعه الدرجة أولعدم الدخول في النار أوفي بعض مواقف المحشر على أن الاستحقاق لايستلزم الوقوع .

- إن هذا مبني على ماسبق من جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة فبالشفاعة أولى وعندما لم يجز ذلك لم تجز تلك . ولنا قوله تعالى ﴿فاستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾[٢] وقوله : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[٣] فإن أسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة وإلا لما كان لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد إلى تقبيح حالهم ، وتحقيق بأسهم معنى ، لأن مثل هذا المقام يقتضي أن يوسموا بما يخصهم لابما يعمهم وغيرهم ، وليس المراد أن تعليق الحكم بالكافر يدل على نفيه عما عداه حتى يرد عليه أنه إنما يقوم حجة على من يقول بمفهوم المخالفة .

- كذلك استدلوا بقوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾[٤] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على كون المؤمنين من أهل الجنة مع ماسبق من الأدلة القاطعة على أن العبد لايخرج بالمعصية من الإيمان ، وأيضًا الخلود في النار من أعظم العقوبات ، وقد جعل جزاء الكفر الذي هو أعظم الجنايات فلو جوزي به غير الكافر كان زيادة على قدر الجناية فلايكون عدلاً .

---

(١)

(٢) سورة محمد : الآية ١٩

(٣) سورة المدثر : الآية ٤٨

(٤) سورة الكهف : الآية ١٠٧

- إن قوله تعالى ﴿ولايقبل منها شفاعة﴾ قالوا : يجوز أن يقال تدل الآية بظاهرها على انتفاء ماليس محل النزاع من الشفاعة العظمى لفصل القضاء والشفاعة لزيادة الدرجات ، فما كان جوابهم في ذلك فهو جوابنا في الشفاعة لأصحاب الكبائر .

- ومن أدلتهم قالوا :

لما كان جزاء الإيمان كما نطقت به النصوص القاطعة من الكتاب والسنة المتواترة وأجمع عليه المسلمون إنما هو الجنة ، وهو لايمكن أن يجازى بها قبل دخول النار ثم يدخلها لأن داخل الجنة مخلد فيها بالإجماع »أ . هـ[١]

وأيضًا قالوا : وعندنا وجوب وقوعه لإخباره به فقط ، ويجوز العفو عمن مات مصرًا على الكبائر بشفاعة النبي ﷺ أودونها وعندهم لا أثر للشفاعة إلا في زيادة الثواب للوجوب الذي ذكرناه ، ولاخلاف في عدم العفو عن الكفر سمعا عندنا فما تنفعهم شفاعة الشافعين لوشفعوا ، لكن لايقع ذلك من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وعقلا عندهم على مازعموا هم وصاحب العمدة من الحنفية بناء على أن العفو عنهم مخالف للحكمة على ماظنوا فيمتنع عقلا عليه تعالى فيجب العقاب كما أسمعناك »[٢]

وقالوا : «إنها من الأمور الممكنة أخبر بها الصادق ونطق بها الكتاب والسنة فتحمل هذه النصوص على ظاهرها »[٣]

وعلى ضوء ماسبق يظهر لنا موقف الأشاعرة والماتريدية من الشفاعة ، وأنه يقف جنبًا إلى جنب من موقف أهل السنة والجماعة في إثبات الشفاعة .

---

(١) انظر من مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية - للتفتازاني - ملا أحمد الجندي - الخيالي - عبدالحكيم السيالكوتي ج١ ص١٧١ - ١٧٧ مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٩هـ

(٢) كتاب المسامرة لكمال بن أبي شريف في شرح المسايرة لكمال بن الهمام ص٣٨ - ٣٩ ط الثانية مطبعة السعادة .

(٣) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة - محمد بن عبدالرحمن الخميس ص٦٠٩ ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م دار الصميعي .

الفصل الخامس :الشفاعة عند الفلاسفة

المبحث الأول :التعريف بهم

المبحث الثاني :قولهم

المبحث الثالث:أدلتهم

المبحث الأول :التعريف بالفلاسفة

اللغة :

إذا نظرنا إلى كتب اللغة العربية نجد أنها تغفل ذكر الفلسفة تحت مادة (فلس) ولعل السبب كما ذكره العلامة ابن منظور عند عرضه لمادة (فلسف)فقال : (الفلسفة : الحكمة أعجمي، وهو الفيلسوف ، وقد تفلسف)[١]

أماالمعاجم والموسوعات الفلسفية فقد عرضت لمعنى الفلسفة واتفقت جميعًا على أن الفلسفة مشتقة من اليونانية .

ففي موسوعة الملل والنحل للشهرستاني :

يقول : «الفلسفة باليونانية : محب الحكمة والفيلسوف هو فيلاوسوفا وفيلا هو المحب وسوفا الحكمة أي محب الحكمة .

والحكمة قولية وفعلية :

أما الحكمة القولية وهي العقلية أيضًا : فهي كل مايفعله العاقل بالحد وما يجري مجراه مثل الرسم والبرهان ومايجري مجراه مثل الاستقراء .

أما الحكمة الفعلية : فكل مايفعله الحكيم لغاية »[٢]

وفي المعجم الفلسفي يذكر ماذكره الشهرستاني ويزيد عليه فيقول :

« لفظ فلسفة مشتقة من اليونانية : محب الحكمة . . .

ثم يقول : وكانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم وهي قسمان : نظري وعملي .

أما النظري فينقسم إلى العلم الإلهي ، وهوالأعلى - والعلم الرياضي ، وهو الأوسط ، والعلم الطبيعي ، وهو الأسفل .

وأما العلمي فينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولها : سياسة الرجل نفسه ، ويسمى بعلم الأخلاق .

= تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام - محمد أبو ريان ص٣ ، ١٩٧٤م دارالجامعات المصرية ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ت . ج . دي بور، تعريب محمد أبوريدة ص٣٥٧ ط الرابعة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، المنهج في تاريخ الفلسفة العربية ، حسن عاصي ص١١ ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م دار المواسم .

(١) لسان العرب ج٢ص١١٢٧

(٢) موسوعة الملل والنحل ، لأبي الفتح الشهرستاني ص١٥١ ط الأولى ١٩٨١م مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت .

والثاني : سياسة الرجل أهله ويسمى بتدبير المنزل
والثالث : سياسة المدنية والأمة والملك »[١]
اصطلاحًا :
فنجد أن التعريفات تجمع على أن الفلسفة علم فيه تشبه بالذات العلية فيقول الجرجاني :
«الفلسفة : التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق عليه الصلاة والسلام في قوله : «تخلقوا بأخلاق الله» أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات »[٢]
أما في دستور العلماء فنجد أنه يعرف الفلسفة بقوله :
الفلسفة : في اللغة اليونانية التشبه بحضرة واجب الوجود وبقدر الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية . . . ثم يسرد نفس كلام الجرجاني ثم يقول والفلاسفة : الحكماء .
والفلسفة الأولى هي العلم الإلهي وتحقيقها في الإلهي»[٣]
أما الفلاسفة فقد عرفوا بأنهم :
«أصحاب الطب والنجوم المتولعون في ذلك ، منهم من قال : إن الله تعالى يظهر ، ومنهم من قال لايظهر ، بل هو علة لكل شيء ، والشيء معلول »[٤]
أما أحد الكتاب المحدثين فقد عرف الفلسفة من طريق آخر :
فقال : الفلسفة علم بأصول نتعرف به إلى الوجود ، ونستخلص من معرفتنا خطة نسير عليها نحو الهدف الأعلى »[٥]
وليس بين هذه التعريفات اختلاف تضاد ، بل كل عرفها من جانب ، ففي الأول عرفت من جانبها الروحي ، وفي الآخر عرفت من جانبها العملي .

(١) المعجم الفلسفي جميل صليبا ج٢ ص١٦٠ ط الأولى ١٩٧٣م دار الكتاب اللبناني .
(٢) التعريفات للجرجاني ص٢١٦ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ط الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢ م ، دار الكتاب العربي .
(٣) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، الملقب بدستور العلماء عبدالنبي عبد الرسول الأحمد نكري ج٣ص٤٤ ط الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م مؤسسة منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
(٤) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، عباس منصور السكسكي الحنبلي ص٦٠ تحقيق خليل الحاج ط الأولى ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م دار التراث العربي .
(٥) تاريخ الفلسفة العربية ص٨

المبحث الثاني :قولهم في الشفاعة

بين يدي المبحث

عند حديثنا عن الشفاعة يتبادر إلى أذهاننا الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب لذا سنقدم هنا بالحديث عن المعاد وأحوال الناس فيه :

أحوال الناس في المعاد .

قد ذكر العلماء أحوال الناس في المعاد ، فمنهم من قسمها خمسة أقسام ومنهم من جعلها ثلاثة * فقط بين بسط وإجمال وتشعيب للقول الواحد نحن نوجز ماقالوا :

قال الرازي في الأربعين :

« اعلم أن الأقوال الممكنة في هذه المسألة لاتزيد على خمسة : وذلك لأن الحق

-إما أن يكون المعاد هو المعاد الجسماني فقط ، وهو قول أكثر المتكلمين

- أوالمعاد الروحاني فقط - وهو قول أكثر الفلاسفة الإلهيين .

- أو كل واحد منهما حق وصدق وهو قول أكثر المحققين .

- أوالحق هو بطلانهما معا وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين .

- أوالحق هو التوقف في كل هذه الأقسام . وهو منقول عن «جالينوس»فإنه قال : «لم يظهر لي أن النفس شيء غير المزاج وبتقدير أن تكون النفس هي المزاج ، فعند الموت تصير النفس فانية معدومة ، والمعدوم لايمكن إعادته ، وأما بتقدير أن تكون النفس جوهرا باقيًا بعد فساد المزاج ، كان المعاد ممكنا ، ولما لم يتبين عنده أن النفس هل هي مزاج بعينه أو شيء غيره ؟ لاجرم توقف فيه »[1]

يقول ابن سينا * :

«العالم في المعاد على طبقتين : طبقة وهم الأقلون عددا والناقصون والأضعفون بصيرة ، منكرون له . وطبقة وهي السواد الأعظم ، والأظهرون

---

* رسالة أضحوية في أمر المعاد ، ابن سينا ص٣٨ تحقيق سليمان دنيا ط الأولى ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م دار الفكر العربي .

(١) الأربعين في أصول الدين ج٢ص٥٥

*الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري (٣٧٠ - ٤٢٨هـ) (٩٨٠ - ١٠٣٧م) ويلقب بالشيخ الرئيس أبوعلي فيلسوف ، طبيب شاعر من تصانيفه القانون في الطب - تقاسيم الحكمة . انظر معجم المؤلفين ٤ / ٢٠ ، معجم أعلام الفكر الإنساني ص١٧٥ - الموسوعة الفلسفية المختصرة د محمود قاسم ص١١ - ١٩٨٤م .

معرفة وبصيرة مقرون به وبعد ذلك فهم فرق :

ففرقة : تجعل المعاد للأبدان وحدها وهم فرقة من أهل الجدل من العرب .

وفرقة : تجعله للنفس والبدن .

وفرقة : تجعله للنفس وحدها وهؤلاء الحكماء الفاضلون »[١]

يقول ابن رشد # :

«والمعاد مما اتفقت على وجوده الشرائع ، وقامت عليه البراهين عند العلماء ، وإنما اختلفت الشرائع في صفة وجوده ولم تختلف في الحقيقة في صفة وجوده ، وإنما اختلفت في الشاهدات التي مثلت بها للجمهور تلك الحالة الغائبة ، وذلك أن من الشرائع من جعله روحانيًا ، أعني للنفوس ، ومنها من جعله للأجسام والنفوس معًا ، والاتفاق في هذه المسألة مبني على اتفاق الوحي في ذلك واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك ، أعني أنه قد اتفق كل على أن للإنسان سعادتين ، أخروية ودنيوية »[٢]

ومن قول الفيلسوفين يتضح لنا رأي الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني ، وأن المعاد هو فقط معاد روحاني وينكرون كل المحسوسات في ذلك اليوم من الحوض والصراط والميزان والجنة والنار والشفاعة ، فإن إنكار هذه الأمور هو من لازم قولهم ، وقد نقل عنهم الأئمة إنكار المعاد الجسماني وماينـدرج تحته مثل الشفاعة وعذاب القبر # وذكروا لهم أدلة على ذلك نعرض لها في المبحث القادم إن شاء الله .

---

(١) رسالة اضحوية ص٨٣

(٢) فلسفة ابن رشد - محمد بن أحمد بن رشد ص٩ - ط الثالثة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م المكتبة المحمودية التجارية .

* أبوالوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الفيلسوف والشارح لأرسطو وقاضي قرطبة ولد سنة ٥٢٠هـ ١١٢٦م وتوفي ٥٩٥ هـ ١١٩٩م من مؤلفاته تهافت التهافت - الكشف عن منهاج الأدلة - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١١

* إنكار الفلاسفة لهذه الأمور ليس إنكارًا لوقوعها إنما هم يجعلونها في عالم المثل ولم يقولوا بأنها محسوسة بل من قبيل اللذات والآلام العقلية ، انظر حاشية السيالكوتي على شرح المواقف ج٨ص٢٩٥ وشرح العقيدة الواسطية ص١٤١

ذكر أقوال العلماء في هذا :

ففي شرح العقيدة الواسطية يقول الشارح عند شرحه لقول شيخ الإسلام :

« الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره .

قال : « والبعث في الأصل الإثارة والتحريك ، والمراد به في لسان الشرع إخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة لفصل القضاء بينهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ويجب الإيمان بالبعث على الصفة التي بينها الله في كتابه ، وهو أنه جمع ما تحلل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا ، وإنشاؤها خلقاً جديداً ، وإعادة الحياة إليها ، ومنكرو البعث الجثماني كالفلاسفة والنصارى كافرون ، وأما من أقر به ولكنه زعم أن الله يبعث الأرواح في أجسام غير الأجسام التي كانت في الدنيا فهو مبتدع فاسق »[1]

وأما شارح العقيدة الطحاوية فإنه يقول في معرض شرحه لقول الطحاوي :

«ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب ، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان »

قال : «الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة ، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز ، وأقام الدليل عليه ، ورد على منكريه في غالب سور القرآن . وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله ، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم ، وهو فطري كلهم يقر بالرب إلا من عاند ، كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر ، فإن منكريه كثيرون ، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء ، وكان قد بعث هو والساعة ، وكان هو الحاشر المقفي بين تفصيل الآخرة بياناً لايوجد في شيء من كتب الأنبياء،ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم ، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ،وجعلو هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري»[2]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - محمد خليل هراس ص١٩ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٤

يقول ابن القيم * - رحمه الله - في الروح ، فصل في أن هل عذاب القبرعلى النفس والبدن ، أو النفس دون البدن ، أوعلى البدن دون النفس . . . . ؟

وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث ، قول من يقول : إن النعيم والعذاب لايكون إلا على الروح ، وأن البدن لاينعم ولايعذب ، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان ، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين»[1]

أما أبوحامد الغزالي * فإنه قد بين موقف الفلاسفة من حشر الأحياء وجعلها من المسائل التي كفر بها الفلاسفة ، وذكر أدلتهم ، ورد عليها فيقول :

* المسألة العشرون : في إبطال إنكارهم لبعث الأجساد ، ورد الأرواح إلى الأبدان ، ووجود النار الجسمانية ، ووجود الجنة والحور العين ، وسائر ما وعد به الناس ، وقولهم : إن كل ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق ، لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين ، هما أعلى رتبة من الجسمانيين»[2]

أما الإمام الرازي فقد عرض لبيان إنكار الفلاسفة حشر الأجساد في أكثر من كتاب له فيقول :

المطلوب الثاني ، هو القول في المعاد :

اعلم أن المعاد الجسماني أنكره أكثر الفلاسفة ، وجملة أهل الإسلام متفقون على إثباته .

---

* ابن القيم : هو محمد بن أبي بكر أيوب الدمشقي الشيخ العلامة تلميذ شيخ الإسلام المفسر المحدث الآخذ من كل علم بأوفر الحظ والنصيب صاحب التصانيف شمس الدين أبي عبدالله ولد سنة ٦٩١ هـ توفي ٧٥١هـ من كتبه - الصواعق المرسلة - إغاثة اللهفان - انظر مختصر طبقات الحنابلة ص٦٨ محمد البغدادي دراسة فواز الزمرلي ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م دار الكتاب العربي .

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص٦٨ مكتبة المدني .

* أبوحامد الغزالي حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ولد سنة ٤٥٠هـ ١٠٥٩م بمدينة طوس وكان والده يشتغل بغزل الصوف درس الفلسفة دراسة عميقة فألف مقاصد الفلاسفة من أشهر مؤلفاته : إحياء علوم الدين - تهافت الفلاسفة ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٢٢

(٢) تهافت الفلاسفة ص٢٨٢ تحقيق سليمان دنياط ، السادسة ، دار المعارف .

واعلم أن الجمع بين إنكار المعاد الجسماني ، وبين الإقرار بأن القرآن حق متعذر لأن من خاض في علم التفسير ، علم أن ورود هذه المسألة في القرآن ، ليس بحيث يقبل التأويل »[١]

وقد بين عضد الدين الأيجي في المواقف موقف الفلاسفة من حشر الأجساد وذكر أن قولهم مخالف لما عليه أهل الإسلام ، ورده بالأدلة العقلية فيقول : «أجمع أهل الملل والشرائع عن آخرهم على جوازه وقوعه - حشر الأجساد - وأنكرهما الفلاسفة »[٢]

وأوضح الإمام التفتازاني مواطن الاتفاق والاختلاف في مسألة المعاد بين أهل الملة والفلاسفة فقال :

« واتفق المحققون من الفلاسفة ، والملليين على حقيه المعاد واختفلوا في كيفيته »[٣]

أما شارح لوامع الأنوار البهية فقد ذكر فصلا في المعاد يبين فيه الأصل الذي بنى عليه الفلاسفة إنكارهم للمعاد الجسماني فيقول :

«وأنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع المادة المعدوم بعينه »[٤]

اعلم أن المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادق دل عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الإيمان به والتصديق بموجبه لأنه جاء في السماع الصحيح المنقول ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول ، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها .

ثم اعلم أن الله تعالى يبعث جميع العباد ، ويعيدهم بعد إيجاد بجميع أجزائهم الأصلية ، وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء ، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف

---

(١) الأربعين ج٢ص٥٥ وكذلك ، محصل افكار المتقدمين والمتأخرين ص٣٢٨ ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م دار الكتاب العربي .

(٢) شرح المواقف للايجي ج٨ص٢٩٤

(٤) شرح المقاصد ج٥ص٨٩

(٥) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية محمد السفاريني ج٢ص١٥٧ تنبيه عبدالرحمن أبابطين سليمان بن سحمان ط الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م المكتب الإسلامي .

الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع وكل ماهو كذلك فهو ثابت والأخبار عنه مطابقة ، والأصل فيما لادليل على وجوبه ولاعلى امتناعه الإمكان كما يقوله الحكماء والمتكلمون من أن كل ماقرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الإمكان مالم يردك عنه قائم البرهان ، فمن زعم عدم إعادة المعدوم ألزم بالمبدأ فإن المعاد مثل المبدأ بل هو عينه أوأيسر كما لايخفى ، وتقدم أن الأنبياء تأتي بما تدركه العقول أوتتحير فيه ، ولاتأتي بما تحيله العقول أبدًا فتأتي بمحارات العقول لابمحالات العقول ، وإمكان المعاد لأنه إما إيجاد ماانعدم أوجمع ماتفرق أو إحياء بعد إماتة ، وهذا كله ممكن لا إحالة في شيء من ذلك أصلاً مع ماتواتر من أخبار الأنبياء والكتب السماوية في القرآن العظيم والذكر الحكيم وكذلك ماورد من السنة وإجماع الأمة على تلقي هذا الأمر بالقبول ثم إن العقل يدل عليه »[1]

وبعد هذا العرض لقول الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني نعلم أنهم ينكرون بناء على ذلك الشفاعة لأن الشفاعة جزء من أحداث اليوم الآخر الذي يقولون إنه عبارة عن تخيلات لتقريبها للعوام فجعلوا الشفاعة عبارة عن تخيلات لتقريبها للعوام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عنهم في هذا المجال :

« وقد ظن بعض من تكلم في الشفاعة على طريقة الفلاسفة كابن سينا وأشباهه أن الشفاعة تنفع لتعلق الشفيع بالمشفوع ، وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع ، وشبه ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرآة ، والمرآة تطرح شعاعها على الماء والشعاع الذي على الماء يظهر في الحائط ، وأن العبد إذا تعلق بالملائكة والأنبياء كان ماينزل عليهم من الرحمة ينزل عليه من ذلك بتوسطهم كما ينتفع اتباع المتبوع بما يحصل له من الجاه والمنزلة .

وهذا الذي قاله هو شر من قول المشركين ، وهذه هي الشفاعة التي أبطلها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وابن سينا ذكر هذه الشفاعة جريًا على منهاج سلفه المشركين الصابئين »[2]

---

(١) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري - ابن تيمية ص٦٣ المطبعة السلفية ١٣٤٦هـ - انظر الصفدية لشيخ الإسلام ج١ ص٢٠٩ تحقيق محمد رشاد سالم ١٩٣٦م مطابع حنيفة الرياض .

وقد صور هذا أيضًا الغزالي في المضنون به على غير أهله فقال :

« فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الإلهية على جوهر النبوة . . . وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن . . . وكثرة الذكر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . ومثاله نور الشمس إذا وقع على الماء فإنه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط لا إلى جميع المواضع . . . وإنما اختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين الماء في الموضع . . . »[١]

أما الفخر الرازي في تفسيره فقد ذكر لهم نوعًا آخر من التأويلات فيقول :

قالت الفلاسفة في تأويل الشفاعة : إن واجب الوجود عام الفيض تام الجود فحيث لايحصل فإنما لايحصل لعدم كون القابل مستعدًا ، ومن الجائز أن لايكون الشيء مستعدًا لقبول الفيض عن واجب الوجود إلا أن يكون مستعدًا لقبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود ، فيكون ذلك الشيء كالمتوسط بين واجب الوجود وبين ذلك الشيء الأول ، ومثاله في المحسوس أن الشمس لاتضيء إلا للقابل المقابل وسقف البيت لما لم يكن مقابلا لجرم الشمس لاجرم لم يكن فيه استعداد لقبول النور عن الشمس إلا أنه إذا وضع طستًا مملوءًا من الماء الصافي ، ووقع عليه ضوء الشمس انعكس ذلك الضوء من ذلك الماء إلى السقف فيكون ذلك الماء الصافي متوسطًا في وصول النور من قرص الشمس إلى السقف الذي هو غير مقابل الشمس ، وأرواح الأنبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين أرواح عوام الخلق في وصول فيض واجب الوجود إلى أرواح العامة ، فهذا ماقالوه في الشفاعة تفريعًا على أصولهم »[٢]

---

(١) المضنون به على غير أهله ، الغزالي ، ص٩٤ منشورات دار الحكمة .

(٢) تفسير الفخر الرازي ج٢ ص٧٠ دار الفكر .

وقد أيد شيخ الإسلام ماذكره الرازي من أن الفلاسفة تجعل الشفاعة عبارة عن اتصال الأرواح فيقول في دقائق التفسير : «وللناس في الشفاعة أنواع من الضلال . . . فكثير منهم : يظن أن الشفاعة هي بسبب اتصال روح الشافع بروح المشفوع له ، ويقولون : من كان أكثر صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، كان أحق بالشفاعة من غيره ، وكذلك من كان أحسن ظنا بشخص وأكثر تعظيما له : كان أحق بشفاعته ثم قال : وهذا غلط ، بل هذا هو قول المشركين الذين قالوا : نتولى المشركين ليشفعوا لنا ، يظنون أن من أحب أحدا من الملائكة والأنبياء والصالحين وتولاه كان ذلك سببا لشفاعته له ، وليس الأمر كذلك »[١]

ولكن لنا أن نتساءل لماذا قال الفلاسفة في الشفاعة بهذا القول ؟

إن الجواب عن هذا التساؤل هو :

بناء على أصلهم الفاسد في «أن الله ليس بفاعل مختار يحدث الحوادث بمشيئته واختياره بل هؤلاء يقولون إن الرب يوجب العالم بذاته ويسمونه علة العلل ، ويقولون إنه علة تامة ، وإذا كان كذلك فلابد للحوادث من سبب حدوثها وهو بسبب حركة الفلك ومايحدث عنها من الأشكال الفلكية والاتصالات الكوكبية »[٢]

---

(١) دقائق التفسير - ابن تيمية ج٢ ص ٣١ ط الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مطبعة التقدم .

(٢) كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، ابن تيمية تحقيق عبدالله السهلي ص٢٣٦ ، رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود ١٤١٦هـ .

المبحث الثالث :أدلتهم

الأدلة على إنكار المعاد الجسماني :

«أما الفلاسفة المنكرون لصحة المعاد الجسماني ، فقد احتجوا بوجوه :

الأول : أن حشر الأجساد لايتم إلا مع القول بصحة إعادة المعدوم وهذا محال ، فذلك محال .

الثاني : إذا قتل إنسان ، وأكله إنسان آخر ، فقد صارت أجزاء بدن المقتول أجزاء بدن هذا الذي أكله ، لأن من أكل شيئًا واغتذى به ، فقد صارت أجزاء الغذاء ، أجزاء بدن المغتذي . فيوم القيامة لابد أن ترد تلك الأجزاء إلى بدن أحد هذين الشخصين ، فلابد أن يضيع الثاني فعلمنا أن القول بحشر الأجساد محال .

الثالث : أنه تعالى إذا أعاد بدن شخص ، فإما أن يعيد هذه الأجزاء التي كانت موجودة وقت الموت ، أويعيد جملة الأجزاء التي كانت أجزاء له ، في جميع مدة الحياة . والأول يقتضي أن يعاد الأعمى والأقطع والمجذوم على هذه الصورة . وذلك باطل بالاتفاق ، والثاني أيضًا باطل .

الرابع : البدن جوهر حار رطب ، والحرارة إذا أثرت في الرطوبة ، لزم أن تصعد من الجوهر الرطب أجزاء بخارية لطيفة ، فعلى هذا التقدير لابد أن يرتفع عن كل عضو أجزاء بخارية لطيفة ، وربما التصق بعضو آخر وصار جزءًا لذلك العضو الآخر ، فإذن هذا الجزء الواحد قد كان جزءًا لأحد العضوين . ثم صار للعضو الآخر ، ففي زمان الحشر لوأعيد ذلك الجزء إلى العضو الأول ، ضاع العضو الثاني ، ولوأعيد إلى العضو الثاني ، لضاع العضو الأول ، ولما كان القول بالحشر متأديًا إلى هذا الباطل ، وجب أن يكون باطلاً .[1]

الخامس : إن الإعادة لالغرض عبث ، ولغرض عائد إلى الله تعالى نقص ،

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة للغزالي ص٢٩٤ ومابعدها - الأربعين للرازي ج٢ص٥٨

وإلى العبد إما إيصال ألم ، وهو سفه ، أولذة ولالذة في الوجود ، سيما في عالم الحب إذ هي خلاص عن ألم ، والإيلام الذي يعقبه الخلاص غير لائق بالحكمة بمنع لزوم الغرض ، ومنع كون اللذة الأخروية دفع ألم .[١]

الجواب عما تقدم من الحجج هو :

بعث البدن ممكن ، وذلك بردها إلى البدن ، أي بدن كان ، سواء كان من مادة البدن الأول ، أو من غيره ، أو من مادة استؤنف خلقها ، فإنه هو بنفسه لابيدنه ، إذ تتبدل عليه أجزاء البدن ، من الصغر إلى الكبر ، بالهزل والسمن ، وتبدل الغذاء ويختلف مزاجه مع ذلك ، وهو ذلك الإنسان بعينه ، فهذا مقدور لله تعالى ، ويكون ذلك عوداً ، لتلك النفس ، فإنه كان قد تعذر عليها أنه تحظى بالآلام واللذات الجسمية ، بفقد الآلة ، وقد أعيدت إليها ، ثم أليس يتفكر المنكر للبعث ، أنه من أين عرف انحصار أسباب الوجود فيما شاهده ، ولم يبعد أن يكون في إحياء الأبدان ، منهاج غير ماشاهده ، وقد ورد في بعض الأخبار : أنه يغمر الأرض في وقت البعث ، مطر ، قطرانه تشبه النطف ، وتختلط بالتراب ، فأي بعد في أن يكون في الأسباب الإلهية ، أمر يشبه ذلك ، ونحن لانطلع عليه ، ويقتضي ذلك انبعاث الأجساد ، واستعدادها لقبول النفوس المحشورة ، وهل لهذا الإنكار مستند ، إلا الاستبعاد المجرد .

ثم إن هناك فكرة ينادي بها المتكلمون وخاصة الأشاعرة وهي مايسمى بالقدرة اللانهائية ، فهي تستطيع أن تخلق ماتشاء كيف تشاء . فهو إذن قادر على إعادة البدن نفسه بحذافيره مهما تحللت أجزاؤه وتداخلت في أجزاء بدن آخر .[٢]

هذا في الرد المجمل أما الرد المفصل على تلك الشبهة :

الجواب عن الشبهة الأولى :

أن نقول : أما الذين قالوا : إن الإنسان هو هذا الهيكل ، فلا جواب لهم عن هذه الشبهة إلا ببيان أن إعادة المعدوم غير ممتنعة ، وبيان ذلك أن تعلم أن إعادة المعدوم إن كانت جائزة فلا إشكال من أن الذي يوجد بعد العدم مغاير لمن وجد

---

(١) شرح المقاصد ج٥ص٩٤

(٢) انظر الله والعالم في الفكر الإسلامي ، محمد جلال شرف ص٢٦٨ ومابعدها ١٩٨٠ م دار النهضة العربية - تهافت الفلاسفة ص٢٩٩ - ٣٠٣

قبله وعليه لايكون الثواب واصلاً إلى المطيع والعقاب متوجهاً إلى العاصي .

وإن كانت ممتنعة ، فهذا الإشكال لازم ، سواء قلنا : إنه تعالى يعدم الأجزاء ، أوقلنا : إنه لايعدمها وتقرير ذلك : أن المشار إليه لكل أحد بقوله «أنا» ليس هو مجرد تلك الأجزاء ، وذلك لأنا لوقدرنا أن هذه الأجزاء تفرقت وصارت ترابا وسيما من غير حياة ولاخراج ولاتركيب ولاتأليف ، فإن كل أحد يعلم أن ذلك القدر من التراب الصرف ليس عبارة عن (زيد) بل ا لإنسان المعين إنما يكون موجوداً ، إذا تركبت تلك الأجزاء ، وتألفت على وجه مخصوص ، ثم قام بها حياة وعلم وقدره وعقل وفهم .

وأما الذين قالوا : الإنسان ليس هو هذا الهيكل ، وهذا هو الأقرب فقد احتجوا عليه بوجهين :

أحدهما : أن الإنسان شيء واحد باق من أول عمره إلى آخر عمره . وهذا الهيكل غير باق من أول العمر إلى آخره . فالإنسان شيء مغاير لهذا الهيكل .

الثاني : إن الإنسان قد يكون عالمًا بذاته المخصوصة ، حال مايكون غافلاً عن جميع أجزائه الظاهرة والباطنة . والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم .

الجواب عن الشبهة الثانية :

هو أن المعتبر في الحشر والنشر ، إعادة الأجزاء الأصلية ، لا إعادة الأجزاء الفاضلة ، والأجزاء الأصلية لكل مكلف أجزاء فاضلة بالنسبة إلى غيره ، وعلى هذا التقدير فالإشكال زائل ، وأما إن قلنا بأن الشيء الذي هو الإنسان باق مصون عن التبدل والانحلال ، فهذا الإشكال غير متوجه البتة .

وبهذا الحرف يظهر الجواب عن الشبهة الثالثة : وذلك لأن المأمور والمنهي والمثاب والمعاقب ، هو تلك الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره . فأما الزوائد التي تتبدل باختلاف أحوال السمن والهزال فلا عبرة بها .

وبه يظهر الجواب عن الشبهة الرابعة : لأن الأجزاء التي تصير أبخرة وتنفصل عن العضو وتتصل بعضو آخر ، فهي من الأجزاء الفاضلة ، ولاعبرة بها في الحشر والنشر ، وكل من أنصف علم أن هذه الأجوبة وافية بدفع هذه الشبهات .

الجواب عن الشبهة الخامسة :

منع لزوم الغرض ، وقبح الخلو عنه في فعل الله تعالى ، ثم منع انحصار الغرض في إيصال اللذة والألم ، إذ يجوز أن يكون نفس إيصال الجزاء إلى من

يستحقه غرضًا ، ثم منع كون اللذة دفعًا للألم ، وخلاصًا عنه ، كيف واللذة والألم من الوجدانيات التي لايشك العاقل في تحقيقها ، ثم منع كون اللذات الأخروية من جنس الدنيوية بحسب الحقيقة ليلزم كونها وفقًا للألم وخلاصًا عنه .[١]

هذا بالنسبة للشبهة التي ذكرها العلماء عن الفلاسفة أما كتب الفلاسفة فقد ذكرت شبه أخرى .

يقول ابن سينا في رسالة أضحوية في المعاد مدللاً على إنكار المعاد الجسماني :

«أما الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء ، يرام بها خطاب الجمهور كافة ولهذا ورد التوحيد تشبيها كله ، ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء ، ولاأتى بصريح مايحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل ، بل أتى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر ، وبعضه تنزيها مطلقا عاما جدًا لاتخصيص ولاتفسير له .

وأما أخبار التشبيه فأكثر من أن تحصى ، ولكن القوم لايقبلونها ، وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا ، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية »[٢]

الجواب :

قولك هذا غير جار على مقتضى قوانين اللغة العربية ، إذ أن نظام هذه اللغة يقتضي أن اللفظ إذا لم توجد قرينة تصرفه عن ظاهره ، يكون مراده به حقيقة معناه ، لايختلف في ذلك فرد عن فرد ، ولاجمهور عن خاصة .

وإذا وجدت قرينة تصرفه عن ظاهره ، كان له معنى وراء هذا الظاهر تحدده تلك القرينة ، وهذا المعنى المحدد في ضوء تلك القرينة يكون هو المراد بالنسبة للمخاطبين جميعًا ، لافرق بين قبيل وقبيل .

هذا هو ماتسمح به قوانين اللغة العربية التي نزل القرآن في حدودها وقوانينها

---

(١) الأربعين في أصول الدين ج٢ من ص٥٢ - ٦١

وشرح المقاصد ج٥ ص٨٨ وشرح المواقف ج٨ ص٢٩٥

(٢) رسالة أضحوية في المعاد ص٤٤ - ٤٥ انظر تهافت التهافت ص٨٦٥

ونظمها »[١]

ونختم الرد على الفلاسفة بما ذكره الرازي في محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين حيث يقول :

- مسألة أجمع المسلمون على المعاد بمعنى جمع الأجزاء بعد تفرقها خلافاً للفلاسفة ، ثم قال : قلنا إنه في نفسه ممكن والصادق أخبر عنه فوجب القول به ، وإنما قلنا إنه ممكن لأن الإمكان إنما ثبت بالنظر إلى القابل أو الفاعل وهما حاصلان ، أما بالنظر إلى القابل فلأن قبول الجسم الأعراض الفاعلية أمر ثبت له لذاته وما بالذات كان حاصلاً أبداً فذلك القبول حاصل أبداً وأما بالنظر إلى الفاعل فلأنه تعالى بدأ بأعيان جزء كل شخص لكونه عالماً بالجزئيات وقادراً على جمعها وخلق الحياة فيها لكونه قادراً على كل الممكنات ، وإذا كان كذلك كانت الإعادة ممكنة [٢]

وبهذا يتضح لنا أن الفلاسفة لاتقر بشفاعة أصلا لالرسول الله صلى الله عليه وسلم ولالغيره على مايقرره جمهور أهل السنة والجماعة وكل ماعندهم فيها عبارة عن خيالات ظنوها يقينيات

أدلة إثبات المعاد :

وقد أنكروا البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن .

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع ، والحس ، والعقل .

أما الشرع :

١ - إن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء ، من آدم إلى نوح ، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام *

٢ - الأدلة الدالة على أن المشاهد الكونية المحسوسة دالة على إمكان البعث :

قال تعالى ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء

---

(١) رسالة أضحوية ص٤٦ الحاشية

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين - الرازي - ص٣٣٩ دار الكتاب العربي ، وانظر أبكار الأفكار للآمدي ج٢ جامعة الملك سعود مخطوط رقم ٣٥/ ب م ج الأصل الثالث في جواز إعادة ماعدم عقلاً .

*انظر شرح العقيدة الطحاوية في ذكر الأدلة ص٤٠٥

قدير ، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور »[١]

٣- قدرة الله الباهرة المتجلية في خلقه الأعظم :

قال تعالى ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول كن فيكون ﴾[٢]

٤- ومن الأدلة أيضًا ذكر النشأة الأولى .

قال تعالى : ﴿ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة . . ﴾[٣]

٥- كذلك حكمته تعالى الظاهرة للعيان والمتجلية في هذه الكائنات لكل من أمعن النظر وجرد الفكر من التعصب والهوى .

قال تعالى ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق ﴾[٤][٥]

وأما الحس : فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا ، وفي سورة البقرة ، خمسة أمثلة على ذلك وهي :

المثال الأول : قوم موسى حين قالوا له : ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾[٦] فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل : ﴿وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾[٧]

المثال الثاني : في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحو بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾[٨]

المثال الثالث : في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم

---

(١) سورة الحج : الآية ٥ - ٧ (٢) سورة يس : الآية ٨١ - ٨٢

(٣) سورة الحج : الآية : ٥ - ٧ (٤) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ - ١١٦

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٥ ومابعدها . وانظرأشراط الساعة ، يوسف بن عبدالله الوابل ص٣٣ ومابعدها دار ابن الجوزي ، الكواشف الجلية ، السلمان ص٥٦٢ ط الحادية عشر ١٤٠١هـ ١٩٨١م مطابع المجد .

(٦) سورة البقرة : الآية ٥٥ (٧) سورة البقرة : الآية ٥٥ (٨) سورة البقرة : الآية ٧٣

ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ﴾[١]

المثال الرابع : في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى ، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه وذلك في سورة البقرة [٢]

المثال الخامس : في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحي الموتى ؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير ، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله ، ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ويأتين إلى إبراهيم سعيا ، وذلك كله في سورة البقرة [٣]

أما دلالة العقل فمن وجوه :

أحدها : أن الله تعالى فاطر السموات والأرض ومافيهما ، خالقهما ابتداء ، والقادر على ابتداء الخلق لايعجز عن إعادته ، قال الله تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾[٤] وقال تعالى ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾[٥] وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم : ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾[٦]

الثاني : أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء ، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج ، والقادر على إحيائها بعد موتها ، قادر على إحياء الأموات ، قال الله تعالى : ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٣

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٩

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٠

(٤) سورة الروم : ٢٧

(٥) سورة الأنبياء : ١٠٤

(٦) سورة يس : ٧٩

قدير﴾ [١] وقال تعالى ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركًا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾[٢][٣]

الثالث: أن في إثبات المعاد تقرير لكمال علم الرب وقدرته وحكمته كما قرر ذلك ابن القيم - رحمه الله - في الفوائد حيث يقول :«براهين المعاد : أحدها : تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال : ﴿من يحيى العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهوبكل خلق عليم ﴾[٤]

والثاني : تقرير كمال قدرته كقوله : ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾[٥]

الثالث : كمال حكمته كقوله ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون ، فتعالى الله الملك الحق ﴾[٦]

ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل والشرع ، وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه ، وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص [٧]

ومما تقدم يتضح لنا مدى الفرق البعيد بين مايقرره أهل السنة والجماعة من القول بالمعاد والشفاعة وبين شفاعات الفلاسفة الناتجة عن عقولهم الضعيفة التي ظنوا أنها تستطيع الوصول إلى اليقين بمفردها من غير اعتماد على السمع فضلوا وأضلوا وحادوا عن الطريق المستقيم نسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٩

(٢) سورة ق : الآية ٩ - ١٠ - ١١

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين جمع فهد السليمان ج٦ ص١٠٣ ط الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م دار الثريا للنشر .

(٤)سورة يس: الآية ٧٨ - ٧٩

(٥) سورة الحج: الآية ٦

(٦) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ - ١١٦

(٧) الفوائد لابن القيم ص١٤ - ١٦ ط السادسة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار النفائس .

الفصل السادس
الشفاعة عند الصوفية

المبحث الأول :التعريف بهم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول:أصل التسمية

المطلب الثاني :تعريف التصوف

المبحث الثاني :قولهم في الشفاعة

المبحث الثالث:أدلتهم

الفصل السادس : الشفاعة عند الصوفية

تمهيد :

إذا بحثنا عن المصدر الأساسي الذي ترجع إليه الصوفية فإن صاحب «الكشف عن حقيقة التصوف » يسعفنا بالإجابة التالية فيقول :

«لإبليس شركان :

الشرك الأول : هو الجنس ولواحقه ، يمنع به ابن آدم - ابتداء - من الدخول في الإسلام ، والإسلام هو الدين الذي جاءت به جميع الرسل .

الشرك الثاني :-هو الإشراق الصوفي ، ينصبه إبليس لابن آدم الذي سار في طريق الإسلام ، ولم ينغمس في غواية الجنس ، فيغريه ويقنعه إن أوهام الإشراق هي الخلد وملك لايبلى ، أوهي المعرفة أوالغوثية أو الحلول أو الاتحاد أو الوحدة ، حسب استعداده الثقافي والنفسي .

إن دراسة لأي وثنية من الوثنيات ترينا الدور الرئيس الذي يلعبه الإشراق في عقائدها وطقوسها ، وكلما تطورت الوثنية ، كلما زاد دور الرياضة والمجاهدة وصار أكثر بروزاً ولايكون الكاهن كاهناً إلا إذا وصل إلى الجذبة ، وأشرق عليه سناها الخداع ، وأكرر القول إن دراسة كافية لوثنيات التاريخ تؤكد هذه الظاهرة ، مما يجعلنا مطمئنين إلى القول بأن الصوفية وجدت منذ أن نزل إبليس إلى الأرض أوبعد ذلك بقليل .

وهذا يعني أن الصوفية لو لم تنحدر إلى المسلمين من الأمم السابقة لأوجدها فيهم إبليس باستدراج العباد السذج ذوي القلوب الطيبة إلى الجذبة ، والواقع هو أن الصوفية انحدرت إلى المسلمين من الأمم السابقة فعندما جاء الإسلام ، كانت منتشرة في كل البلاد التي دخلها ، بل في كل العالم وكانت تقوم على أساس الرياضة حتى الجذبة ، ومافيها من رؤى ومكاشفات وكانت منتشرة في النصرانية التي كانت موجودة على مصر والعراق وجزء من فارس واليمن وكذلك اليهودية ، وكان الشيخ فيها يطلق عليه باللغة العربية اسم «الكاهن ، والعارف ، والعراف » أم مايراد فها في اللغات الأخرى .

ولما جاء الإسلام ، اختبأت وراء الأسوار حتى قدر لكهانها أن يجدوا صيغة ملائمة استطاعوا أن يظهروا بها أمام الناس ويدعوهم إليها .

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علماؤهم القدامى (إن لم يكن أكثرهم)

فهذا شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي *يقول :

. . . وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة ، فخميرة الفيثاغوريين وقعت إلى أخي أحميم (أي ذو النون المصري) ومنه نزلت إلى سيار تستر وشيعته . . . وأما خميرة الخسروانيين في السلوك فهي نازلة إلي سياربسطام (أبي يزيد) ، ومن بعده إلى فتى بيضاء (الحلاج) ، ومن بعدهم إلى سيارآمل وخراقان أبي الحسن الخراقاني »[1] ونسي السهروردي كهان الحجاز ونجد !وله الحق ، فقد كان أكثرهم أدعياء مقلدين ، كما يظهر من قراءة أخبارهم ، كما نسي اليهود ، لأنهم كانوا يعملون بصمت وتكتم .

ولعل من المفيد إيراد فقرة للسهروردي نفسه وردت قبل كلامه هذا مباشرة فقد روى أنه رأى أستاذه أرسطوا في المنام فسأله عن رأيه عن أقطاب التصوف الذين يستشهد بهم وبآرائهم كل من كتب في التصوف أوتكلم فيه ، من قبل أبي يزيد البسطامي وسهل التستري وذي النون المصري والحسين بن منصور الحلاج فقال فيهم : أولئك هم الفلاسفة الحكماء حقّا ، ماوقفوا عند العلم الرسمي ، بل جاوزوا إلى العلم الشهودي وماشتغلوا بعلائق الهيولى ، فلهم الزلفى وحسن مآب . أما إذا أردنا تحديد العصر الذي ظهرت فيه كلمة صوفي فإننا نجد اختلافا بين الكتاب في هذا الموضوع فمنهم من يقول ظهرفي الجاهلية قبل الإسلام ، ثم تجدد ظهوره في عصر الإسلام ؟ ومنهم من يقول أن هذا الاسم لم يظهر إلا في عهد الإسلام ؟

الفريق الأول :

إن الفريق الأول وعلى رأسهم أبوالفرج بن الجوزي * يؤيد الرواية القائلة بأن

---

(١) ولاية الله والطريق إليها دارسة وتحقيق ، قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني بقلم إبراهيم إبراهيم هلال ص١٧١ دار الكتب الحديثة مطبعة المدني .

ولمزيد من المعرفة عن أصل التصوف انظر العقيدة والشريعة جولدتسيهر ص١٦٢ نقله للعربية محمد يوسف موسى – علي حسن عبدالقادر – عبدالعزيز عبدالحق ط الثانية دار الكتب الحديثة .

* يحيى بن حبش بن أميرك أبوالفتوح شهاب الدين السهروردي ، فيلسوف نسب إلى انحلال العقيدة صاحب حكمة الإشراق . أفتى العلماء بإباحة دمه ، يقول ابن خلكان عنه (كان علمه أكثر من عقله) أما تاريخ مولده ووفاته (٥٤٩ – ٥٨٧هـ) (١١٥٤ – ١١٩١ م) . انظر الأعلام ٩ / ١٦٩ ، طبقات الأولياء لابن الملقن ص٢٦٢ تحقيق نور الدين شريبة ، دار المعرفة .

* جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي التميمي علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف مولده ووفاته كانت (٥٠٨ – ٥٩٧هـ) (١١١٤ – ١٢٠١م) من مؤلفاته (صيد الخاطر) (تلبيس إبليس) انظر الأعلام (٤ / ٩٠)

رجلا في الجاهلية كان يدعى (الغوث بن مر) نذرت أمه حيث لم يكن قد عاش لها ولد أن تعلق برأسه صوفة أوتجعله ربيط الكعبة . ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده وفي رواية أخرى إن أم هذا الرجل كانت لاتلد الذكور فقالت : «لله علي إن ولدت غلاما لأعيدنه للبيت » . فلما ولدته ربطته عند البيت فأصابه الحر فمرت عليه وقدسقط واسترخى ، فقالت : « ماصار ابن إلا صوفة » فسمي صوفة [١]

ويرى الإمام ابن الجوزي أن في هاتين الروايتين دليلاً كافيًا على أن أصل مولد الكلمة كان قبل الإسلام عند عرب الجاهلية . وإن من تعلق بالزهد من المسلمين فيما بعد وانقطع للعبادة فقد انتسب إلى صوفة هذا .

وهذا الفريق يمكن مناقشة قولهم من عدة وجوه .

الوجه الأول :

إن هذه القبيلة من العرب غير مشهورة ولامعروفة عند أكثر النساك كما قرر ذلك الإمام ابن تيمية [٢] .

بل إن غالب من تكلم باسم التصوف لايرضى أن يكون مضافًا إلى قبيلة في الجاهلية لاوجود لها في الإسلام كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا .

الوجه الثاني :

إن كلا الروايتين : إنما تثبتان إن صحتا أن امرأة ماعلقت في رقبة طفلها علامة وهي قطعة من الصوف ، أوأن امرأة شبهت ابنها بالصوف لما رأته منهوك القوى كما هو حال الصوف ، وأنه سمي لذلك (صوفة) .

ولادخل لهذا في ظهور فئة في الإسلام تسمى بالصوفية إذ لم تدل على وجود

---

(١) تلبيس إبليس - ابن الجرزي ص٢٣٢ مطبعة المدني .

(٢) مجموع الفتاوى ج١١ ص٦

كلمة صوفية ولاكلمة صوفي بهذه الصيغة ولابهذا المعنى قبل الإسلام .

وماأورده ابن الجوزي من أنهم كانوا يقولون لهذه القبيلة (صوفة) و(صوفان) وأنهم كانوا يقولون عند دفع الناس من منى أو من عرفات (أجز صوفة) أي يطلبون من أحد أفراد هذه القبيلة أن يجيزهم في الدفع من تلك الأماكن تقديراً لهم باعتبار أنهم من سدنة البيت »[١]

وهذا لايبرر تحول الكلمة من (صوفة) أو(صوفان) إلى كلمة (صوفي) و(صوفية) ولايدل على وجود هذه الكلمة بهذه الصيغة قبل الإسلام .

الوجه الثالث :

لايعقل أن يكون المسلمون قد استمدوا مبادئ تصوفهم من عرب الجاهلية الذين كانوا يتخبطون في ظلمات الجهل ، ولاأن يكونوا قد اختاروا شعار الجاهلية أوأسماء الجاهلية وفضلوها على ماسماهم الله به من طيب الأسماء .

الفريق الثاني :

الرأي الثاني يقول : أن هذا الاسم حدث في عصر الإسلام ولكن أفراد هذا الفريق اختلفوا في فترة ظهوره في الإسلام على قولين :

القول الأول :

يزعم أصحاب القول الأول أن هذا الاسم وجد في القرن الأول من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى رأس هؤلاء أبونصر السراج*صاحب كتاب اللمع في التصوف وقد حاول أن يستدل على ذلك بمشهدين أوردهما في كتابه المذكور .

المشهد الأول : «أن الحسن البصري -رحمه الله - رأى صوفيًا في الطواف فعرض عليه شيئًا من المال فلم يأخذه »[٢] وكان السراج يريد أن يقول إن ورود هذه الرواية عن الحسن البصري -رحمه الله -وهو من مواليد عام ٢٠ هـ يدل على

---

(١) تلبيس إبليس ص١٨١

(٢) اللمع -للسراج ص٤٢

* هو عبدالله بن علي الطوسي ، زاهد شيخ الصوفية ، له كتاب اللمع في التصوف توفي سنة ٣٧٨هـ ، انظر الأعلام ٤ / ١٠٤

وجود التصوف في عهد مبكر في الإسلام .

ويرد علي هذه الرواية بأن الحسن البصري -رحمه الله - وإن كان قد ولد عام ٢٠هـ إلا أنه عاش حتى عام (١١٠)هـ أي إنه عاش عشرة أعوام في بداية القرن الثاني الهجري فيحتمل أنه رأى هذا الصوفي في آخر حياته أي في بداية القرن الثاني الهجري .

المشهد الثاني : «أن سفيان الثوري قال : لولا أبوهاشم الصوفي ماعرفت دقيق الرياء »[١]

ولم يبين الإمام أبونصر السراج وجه الدلالة في هذه الرواية على أن التصوف وجد في عهد مبكر في الإسلام ، بل هي دليل على خلاف مراده . فإن سفيان الثوري - رحمه الله - ولد سنة (٩٧) هـ وهذا يدل على أن التقاءه بأبي هاشم الصوفي لايمكن أن يكون في القرن الأول إطلاقًا علما بأن أباهاشم الصوفي توفي عام ١٥٠هـ فلابد أن لقاءهما كان في أثناء المائة الثانية للهجرة إن صحت الرواية بذلك .

القول الثاني :

قالوا بأن اسم التصوف ظهر في عصر الإسلام ، وخلاصته أن هذا الاسم ظهر في بداية القرن الثاني الهجري وقد ذكر هذا الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وكثير من العلماء .

قال الشيخ ابن تيمية «في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك - أي عن الزهد - بلفظ (الصوفي) لأن لبس الصوف كثر في الزهاد[٢]

ولقد عبركتاب التراجم الصوفية عن تبنيهم لهذا الرأي تعبيرًا عمليًا فقد اعتبروا الطبقة الأولى من طبقات الصوفية هي طبقة الفضيل بن عياض - وذي النون المصري - وإبراهيم بن أدهم - وشفيق البلخي ، ونحو هؤلاء ممن كانت وفاتهم

---

(١) اللمع - السراج ص٤٢

(٢) مجموع الفتاوى ج١١ ص٢٩

في أثناء القرن الثاني ومابعده[١]

وهذا عن العصر الذي ظهر فيه التصوف أما عن أول متصوف في الأمة الإسلامية فإن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عندما دخل مصر قال : «تركنا بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئًا يسمونه السماع» والزنادقة الذين عناهم الشافعي هنا هم المتصوفة والسماع :

هو الغناء والمواجيد والمواويل التي ينشدونها ، ومعلوم أن الشافعي دخل مصر سنة ١٩٩ هـ وكلمة الشافعي توحي بأن قضية السماع هذه قضية جديدة ولكن يبدوأن أمر هؤلاء الزنادقة كان معلومًا قبل ذلك .[٢]

فهذا يدل على أن هناك فرقة معلومة عند علماء الإسلام يسمونهم أحيانًا بالزنادقة وأحيانًا بالمتصوفة .

أما الإمام أحمد فقد أثر عنه كلامًا كثيرًا في ذم التصوف كقوله لرجل جاء يستغيثه في كلام الحارث المحاسبي : قال أحمد بن حنبل : « لاأرى لك أن تجالسهم » ويبدوأن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - قال هذا الكلام في مطلع القرن الثالث ، ولكن هذا القرن ماكاد يكتمل حتى ظهر التصوف على حقيقته وانتشر في الأمة انتشارًا ذريعًا ، واستطاع المتصوفة أن يظهروا ماكانوا يخفونه سابقًا ، والمطلع على الحركة الصوفية من أول نشأتها إلى حين ظهورها العلني على ذلك النحو يجد أن أساطين الفكر الصوفي جميعهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين كانوا من الفرس ، ولم يكن فيهم عربي قط ، أي أن التصوف بلغ غايته من حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاج أن يظهر معتقده على الملأ ولذلك أفتى علماء عصره بكفره وقتله فقتل سنة ٣٠٩هـ وبالرغم من ذلك فإن الصوفية ظلت تواصل انتشارها في أرض فارس على الخصوص ثم في العراق ، وساعد على انتشارها في فارس أن أقام رجل يسمى أبوسعيد الميهني نظامًا خاصًا للخانات الذي أصبح

---

(١) انظر طبقات الصوفية - لأبي عبدالرحمن السلمي دار الكتاب العربي بالقاهرة ص٦٦ طيقات الأولياء لابن الملقن سراج الدين أبي حفص دار التأليف ص٦ ، ص١٢ ، ١٣

(٢) تلبيس إبليس ص٣٧٠

فيما بعد مركزاً للصوفية وقلده في ذلك عامة رجال التصوف ، ومن هنا نشأت في منتصف القرن الرابع الهجري بدايات الطرق الصوفية التي سرعان ماانتشرت في العراق ومصر والمغرب .

وفي القرن السادس ظهرت مجموعة من رجال التصوف كل منهم يزعم أنه من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث استطاع كل منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاص وأتباعاً مخصوصين ، فظهر الرفاعي في العراق ، والبدوي في مصر ، وتتابع ظهور الطرق الصوفية التي تفرعت من هذه الطرق .[١]

إلا أن أصول التصوف خمسة :

١- تقوى الله في السر والعلن .

٢- اتباع السنة في الأقوال والأفعال .

٣- الإعراض عن الخلق ، ويتحقق بالصبر والتوكل لأن الله يحب المتوكلين وهو حسبهم وكافيهم .

٤- الرضى بما قسم الله .

٥- الرجوع إلى الله في السراء والضراء .[٢]

---

(١) دراسات في الصوفية نشأتها وتطورها ص٩٦

الصوفية عقيدة وأهداف ، ليلى بنت عبدالله ص١٣ ط الأولى ١٤١٠ هـ دار الوطن للنشر ، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية أحمد بن محمد بناني ص٨١ ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

(٢) انظر عوارف المعارف ج١ ص٢٠١ تحقيق عبدالحليم محمود - محمود بن الشريف . مطبعة السعادة

المبحث الأول : التعريف بهم وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصل التسمية

لقد رد الباحثون القدماء والمحدثون كلمة«التصوف »و«الصوفية »إلى أصول مختلفة من أبرزها :

أولاً : الصفة .

يرى البعض أن التصوف أو الصوفية يرجع إلى الصفة وهي : الموضع الذي بني لإيواء جماعة من المسلمين بالمسجد النبوي الشريف ، الذين هاجروا من مكة المكرمة تاركين أحوالهم وأهليهم ، أوهم من الفقراء الذين لايجدون مايسدون به حاجتهم [١]

وهذه النسبة ذكرها الكتاب قديمًا وحديثًا ، فقد ذكرها شيخ الإسلام في الفتاوى فقال : « الحمد لله : أما لفظ «الصوفية » : فإنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك » ثم قال : «وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه «الصوفي » فإنه من أسماء النسب : كالقرشي ، والمدني وأمثال ذلك .

فقيل : إنه نسب إلى (أهل الصفة) وهو غلط ، لأنه لوكان كذلك لقيل : صُفي [٢]

أما السهروردي * في عوارف المعارف فيقول :

«قيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى مقررًا الشبه بين الفريقين فيقول : «لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مَتآلفين متحابين لله وفي الله كأصحاب الصفة »[٣]

---

(١)الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري ص١٨٠ ط الأولى ١٤٠٦هـ دار القلم بيروت .

(٢) مجموع الفتاوى ج١١ ص٥ ومابعدها .

* هو شهاب الدين أبوحفص : عمر بن محمد بن عبدالله التميمي من شيوخ الصوفية وفقهاء الشافعية ولد سنة ٥٣٩هـ بسهرورد توفي ببغداد سنة ٦٣٢هـ من أشهر تصانيفه ، عوارف المعارف ، انظر الأعلام ٥ / ٦٢

(٣) عوارف المعارف عبدالقاهر السهروردي ص٦٢ ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م مكتبة القاهرة .

وقال الهجوري * في معرض حديثه عن أصل التسمية عندما استعرض بعض الأقوال التي قيلت في ذلك . «قالت طائفة إنهم سموا كذلك لأنهم يقولون أهل الصفة »[١]

وهناك سبب آخر ذكره البعض أنهم سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٢]

أما المحدثون : فيقول صاحب الكشف عن حقيقة الصوفية : «إن أصل التصوف الصفة » [٣] ويقول صاحب المصادر العامة للتلقي عند الصوفية :

«سموا بذلك لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة »[٤]

لكن هذه النسبة لاتستقيم من حيث اللغة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام [٥]

لأنه لوكان كذلك لصح أن يقال صُفي .

كما ذكرذلك كل من القشيري *[٦] وابن الجوزي في تلبيس أبليس[٧]

---

* هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجوري الغزنوي ، وكنيته أبوالحسن ، ولد فيما بين العقد التاسع والعاشر من القرن الرابع الهجري من أشهر مؤلفاته «كشف المحجوب »توفي بلاهور باكستان سنة ٤٥٦هـ تقريبًا انظر مقدمة كشف المحجوب ص٤٥ - ٩٨

(١) كشف المحجوب للهجوري ص٢٢٧ دراسة وتعليق إسعاد قنديل راجع الترجمة أمين بدوي ١٩٨٠م دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

(٢)التعرف لمذهب أهل التصوف أبي بكر محمد الكلاباذي ص١٠ط الأولى ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية محمود عبدالرؤوف القاسم ص٧٣٧ المكتبة الاسلامية انظر أيضًا الصوفية عقيدة وأهداف - ليلى بنت عبدالله ص١٠ ط الأولى ١٤١٠هـ دار الوطن .

- الصوفية في نظر الإسلام سميح عاطف الزبن ص١٤ دار الكتاب اللبناني .

(٤)المصادر العامة للتلقي عند الصوفية - صادق سليم ص٢٧ ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م مكتبة الرشد .

(٥) مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٦٨ ، ١١ / ٦

(٦) الرسالة القشيرية ص١٢٦ تحقيق معروف رزين وعلي بلطه جي ط الثانية ١٤١٠هـ دار الجيل .

* عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري ، ولد سنة ٣٧٦هـ توفي سنة ٤٦٥هـ وهو صاحب الرسالة الذي يعتبر من أهم متون التصوف ، له التفسير المسمى (لطائف الإشارات)مطبوع ، انظر وفيات الأعيان ٣ / ٢٠٥

(٧) تلبيس إبليس ص٢٣٣ مطبعة المدني .

والواضح أن هذه النسبة ليس لها دليل تستند عليه فهي إذن مردودة .

ثانيًا : النسبة إلى الصفاء .

قبل الشروع في الأقوال المتعلقة بهذا الرأي لابد من إيضاح معنى الصفاء عند المعاجم الصوفية :

الصفاء هو : «ماخلص من ممازجة الطبع . . . ومزايلة المذمومات »[١]

والصفاء : «نقيض الكدر»[٢]

وقد تعلق الصوفية بهذه النسبة لما فيها من المدح لهم وإضفاء المزايا الحسنة والمعاني السامية إليهم .

وقد ذهب غير واحد من الصوفية إلى القول بأن الصوفية سموا بذلك لنقاء سرائرهم ومال إليه أبو نعيم الأصبهاني * ونص عبارته :

«اشتقاقه عند أهل الإشارات ، والمتنبئين عنه بالعبارات : من الصفاء ، والوفاء »[٣]

وبذلك قال أبو الفتح البستي * وقد أنشد :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقًا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي ، فصوفي حتى سمي الصوفي[٤]

وقيل «إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ، ونقاء آثارها »[٥]

---

(١) معجم المصطلحات الصوفية أنورفؤاد - باب الصاد - ط الأولى ١٩٩٣م مكتبة لبنان .

(٢) المعجم الصافي في اللغة العربية-صالح العلي -أمينة الأحمد - باب الصاد -ط الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة الناصر .

* هو أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني الإمام الحافظ سمع من جماعة من كبار الشيوخ في عصره كأبي القاسم الطبراني - وأبي أحمد الحاكم وخلق ، مات سنة ٤٣٠هـ من مؤلفاته المستخرج على الصحيحين ، دلائل النبوة ، انظر وفيات الأعيان ١ / ٩١ ، سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٥٣

(٣)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الأصفهاني ١ / ١٧ ط الثالثة ، دار الكتاب العربي بيروت .

*هوعلي بن محمد البستي الكاتب العلامة شاعر زمانه مات سنة ٤٠١هـ له نظم غاية الجودة انظر الأعلام ٤ / ٣٢٦

(٤) قواعد التصوف ، أحمد بن أحمد بن زروق ص٧ صححه محمد زهري النجار ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م مكتبة الكليات الأزهرية .

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٩

وينحو الهجوري نفس المنحى في نسبة الصوفية إلى الصفاء ويذكر العلة في ذلك فيقول : «والصفاء في الجملة محمود وضده الكدر . . . واسم لطائف الأشياء صفوها ، واسم أوضارها كدرها ، فلما هذب أهل هذا الأمر أخلاقهم ومعاملتهم ، وتبرأوا من آفات الطبيعة ، فإنهم سموا صوفية وهو اسم لهذه الطائفة من أسماء الأعلام »(١)

ولكن هذه النسبة كما يقول القشيري : «ومن قال : إنه من الصفاء ، فاشتقاق الصوفي من الصفاء ، بعيد في مقتضى اللغة»(٢)

يقول الهجوري مبينًا أن هذه النسبة بعيدة من اشتقاق اللغة وأنها بسبب تصفية الأخلاق وتهذيبها ضاربًا بالاشتقاق اللغوي عرض الحائط ، مبينًا أنه عاجز قاصر عن اشتقاق مثل هذا المعنى العظيم فيقول : «فإنهم سموا صوفية وهو اسم لهذه الطائفة من أسماء الأعلام لأن خطر أهله أجل من أن يمكن إخفاء معاملتهم حتى يلزم لاسمهم الاشتقاق . . . واشتقاق هذا الاسم لايصح على مقتضى اللغة من أي معنى ، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه » (٣)

وبهذا نعلم أن القول بعجز اللغة العربية التي حوت كلام الله لفظًا وأحكامًا واتسعت لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى قول باطل والنسبة إلى الصفاء

---

(١) كشف المحجوب ص٢٢٧

(٢) الرسالة القشيرية ص١٢٦

(٣) انظر كشف المحجوب من (٢٢٧ - ٢٣٠)

مردودة أيضًا ويؤيده قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - «من قال إن التصوف نسبة إلى الصفاء قيل له : كان حقه أن يقال صفائية ، ولوكان مقصوراً لقيل صفوية »[١]

وبهذا يسقط هذا القول .

ثالثًا : النسبة إلى الصف :

يقال أنهم منسوبون إلى الصف الأول : فهم في الصف الأول بين يدي الله - عزوجل - بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه .

يقول القشيري معلقًا على قول من يقول : (إن التصوف مشتق من الصف) «فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله » ثم بين صحة هذا القول[٢]

وممن أيد هذا القول الكلاباذي فيقول : «إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عزوجل بارتفاع هممهم إليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه . . . ومن نسبهم إلى الصفة والصف الأول فإنه عبر عن أسرارهم وبواطنهم ، وذلك أن من ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها ، صفى الله سره ونور قلبه »[٣]

إلا أن هذه النسبة باطلة من وجهين :

١ - أن هذا أمر غيبي ولامطلع على الغيب إلا الله ، قال تعالى ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾[٤]

فكيف لهم بهذه الشهادة التي عجز أن ينالها سيد البشر فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «قاربوا وسددوا ، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله » قالوا : يارسول الله ولا أنت ؟ قال : «ولاأنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »[٥]

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٠ ص(٣٦٨ - ٣٦٩)

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص٢٧٩

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٠

(٤) سورة مريم : الآية ٧٨

(٥) رواه مسلم : ك صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ٧٦

٢- إن اللغة تناقض هذه النسبة كما ذكر ذلك القشيري فيقول : « . . . ولكن اللغة لاتقتضي هذه النسبة إلى الصف »[١]

مع أنه يؤيدها من جهة المعنى .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فيقول : «ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له : كان حقه أن يقال : صفية»[٢]

رابعًا : النسبة إلى الصوف :

« الصوف للغنم كالشعر للمعز ، والوبر للإبل والجمع أصواف »[٣]

ويقال : «كبش أصواف وصوف وصائف كل هذا أن يكون كثيرالصوف »[٤]

وفي كتاب اللمع فصلاً بعنوان «باب الكشف عن اسم الصوفية»

وفي معرض الحديث عن أسماء الصوفية يقول : «لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة سالفًا ومستأنفًا ، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال ، مستجلبين للزيادة ، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسمًا دون اسم ، فلأجل ذلك ماأضفت إليهم حالاً دون حال ولاأضفت لهم علم دون علم . . . ثم ينتهي إلى تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى ظاهر اللبسة «لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء » ثم يقول مستدلاً على كلامه هذا من آيات الكتاب «ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عزوجل : ﴿إذ قال الحواريون ﴾[٥] وكانوا قومًا يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك فكذلك

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٧٩

(٢) مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٦٩

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة صوف

(٤) معجم مقاييس اللغة باب الصاد .

(٥)سورة المائدة : الآية ١١٢

خلاصة القول :

إذا كان التصوف مشتقًا من الصوف ، لأنهم كانوا يلتزمون بلبسه ، فعملهم باطل لأنه مبني على باطل ، وهو من الكبائر ، وعلى كل حال فالصوفية لها جذور هي أصل في تسميتها :

١ - كلمة(صوفيا) اليونانية بمعنى (الحكمة) ومنها (حكمة الأشراق)

٢ - كلمة (صوفي) اليهودية التي كانت تطلق على شيخ المسلك (المرشد) في حلقات المعارف السرية التي كان يتخرج فيها الأنبياء (على حد قولهم) ويتأكد المصدر الأول بالمعطيات التالية :

١ - كون الفرضيات الأخرى مردودة لغويًا ، ولاتتفق مع قواعد اللغة في الاشتقاق .

٢ - كون كل فرضية فيها مرفوضة من أكثرهم ، ويدل على هذا كثرة التعاريف التي وضعوها - كما سنبين لاحقًا -

٣- وجود من رفضها كلها من علمائهم - أمثال القشيري كما مر -

٤ - الناحية اللفظية :

إذ أن النسبة إلى (سوفيا) المعرفة هي (سوفي) للشخص و(سوفية)للفكرة ، لكن عندما انتشرت هذه الكلمة ، سرعان ما خضعت للذوق العربي في اللفظ فأصبحت (صوفي) و(صوفية) ثم قيل (تصوف) و(متصوف) .

٥ - أنه قال بهذا الاشتقاق أبوالريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ أي إنه كان قريبًا بعض الشيء من زمن ذيوع الكلمة ، وكان أيضًا يتقن أكثر من لغة أجنبية ، يقول : «منهم أي من (قدماء اليونان) من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط . . . والحق هو الواحد الأول فقط ، وهذا رأي السوفية ، وهم الحكماء فإن (سوف) باليونانية الحكمة وبها سمي الفيلسوف (بيلاسوبا) أي محب الحكمة ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب رأيهم سموا باسمهم »[1]

أما بالنسبة للنسبة إلى الأصل الهندي فإنه يتأكد بمثل المعطيات الأربعة الأولى»[2]

«وقد أكد النسبة إلى الأصلين السابقين المستشرقين فيقول :

---

(١)الفلسفة الهندية ص٣٢ نقلا عن الكشف عن حقيقة التصوف ص٧٤٠

(٢) انظر الكشف عن حقيقة التصوف ص٧٣٧ - ٧٤٦

صاحب كتاب (تاريخ البلاغة عند الفرس) إن الصوفية ينسبون إلى الهنود القدماء المعروفين باسم (الحكماءالعراة) .

وإن الكلمتين العربيتين : صوفي وصافي مشتقتان من نفس الأصل الذي اشتقت منه الكلمتان اليونانيتان »[١]

وأخيرًا فإن هناك نسبة أخيرة ذكرها أحد الباحثين وهو أن التصوف يرد إلى أصل شيعي وإلى علي بن أبي طالب بالذات ويذكرأن ابن خلدون قال : «إن الصوفية قد تأثروا بالشيعة وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرقة : أن عليا ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة »

ولكن هذا الرأي نجد أن فيه مغالطات كثيرة من أهمها :

أولاً : إن الحسن البصري عاش حوالي ثمانين سنة وتوفي سنة ١١٠ هـ بينما وفاة علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ بمعنى أن الحسن كان عمره حوالي عشرسنوات وهي سن مبكرة لاتسمح بتلقي الطريقة .

ثانيا : لماذا يختار علي ولدًا من سائر الناس ، فما كان أبناؤه وشيعته أولى بذلك .

ثالثًا : إن عليًا انتقل من المدينة إلى الكوفة في السنة التي بويع فيها بالخلافة .

رابعًا : إن عليًا كان من أشد الناس تعلقًا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقربهم إليه ، وأحفظهم لسيرته وهداه .

فالنسبة إذن بدعة ليس إلا »[٢]

وسواء كانت نسبة التصوف إلى الصف أم الصفا . . أوإلى الكلمة اليونانية سوفيا . . . فإن هذا لايغير من واقع القوم ولامن عقيدتهم .

- تعددت الأسباب والموت واحد -ولكن الذي أميل إليه أنها لها أصل خارج عن الإسلام لما تنبني عليه من عداء للإسلام يتمثل في محاولة إفساد عقائد المسلمين وشريعتهم بما يدخلونه من طقوس وعقائد باطلة والله أعلم بالصواب .

---

(١) الصوفية في نظر الإسلام ص ٢٢

(٢) انظر التصوف في نظر الإسلام ص١٩ - ٢٠

وكذلك انظر التصوف طريقًا وتجربة ومذهبا - محمد كمال إبراهيم ص(١ - ٤) ١٩٨٠م دار المعرفة الجامعية .

المطلب الثاني :تعريف التصوف

/ تذكر دوائر المعارف الإسلامية والعربية معنى التصوف .

فيقولون : «التصوف هو مذهب الغرض منه تصفية القلب عن غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه .

هذا المذهب قديم كقدم النزعة التي أوجدته فإن الإنسان من ألوف من السنين أدرك أن خلف هذه الغلف الجسداني سراً مكنوناً لايستثيره إلا إرهاق هذا البدن بالمجاهدات لإضعاف سطوته والحط من سلطانه فنشأ هذا المذهب في كل أمة راقية ولبس شكلاً مناسباً لعقولها وأفكارها »[١] !

أما عن معنى التصوف من حيث مايشتمل عليه فإن (التصوف كان في أول عهده يدور حول نقطتين : أولاهما أن العكوف على العبادة يولد في النفس «فوائد » هي الحقائق الروحية ، وثانيتهما أن علم القلوب يفيض على النفس «معرفة » تنطوي على استعداد الإرادة لتلقي هذه الفوائد .

ويقول المتصوفة إن في علم القلوب قوة محركة وهو يبين السفر إلى الله ومافيه من مقامات وأحوال عدتها اثنا عشر ، كما يقولون إن بعض الفضائل يكتسب وبعض الفوائد يتلقى كما هو الحال عند القديس يوحنا قليما قوس والمتصوفة أمثال السراج - القشيري - الغزالي يختلفون في ذكر المقامات والأحوال ، ولكنهم مع ذلك يكادون يجمعون على استعمال اصطلاحات مشهورة بعينها مثل التوبة والصبر والتوكل والرضا »[٢]

تعريف التصوف عند الصوفية :

إذا طالعنا كتب الصوفية نجد أن كل منهم يعرف التصوف بتعريف ، يذكر إحسان إلهي ظهير اختلاف الصوفية في تعريف التصوف بقوله «ولايقل

---

(١) دائرة المعارف القرن الرابع عشر - العشرين محمد فريد وجدي ج٥ ص٥٨٥ مادة تصوف ط الثالثة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م مطبعة دائرة معارف القرن العشرين .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج٥ ص٢٦٩ - ٢٧٠ انتشارات جهات .

اختلاف الصوفية في اختلاف تعريف التصوف عن اختلافهم في أصله واشتقاقه ، بل ازدادوا تعارضاً وتناقضا فيه »[١]

أما القشيري فقد عد في رسالته أكثر من خمسين تعريفاً عن الصوفية المتقدمين [٢] وقد أوصلها السراج الطوسي إلى مائة تعريف [٣]

يقول السهروردي : « وأقوال المشايخ في ماهية التصوف ، تزيد على ألف قول » [٤] وإذا نظرنا إلى ماكتبه ابن عجيبة * عن شيخه زروق * نجد أنه أوصلها إلى الألفي قول [٥]

وهذا التعدد في التعريف عندهم يبين أن تعريف التصوف بتعريف جامع مانع يكاد يكون عسير أومتعذر ، يقول صاحب كتاب (تاريخ التصوف في الإسلام) : «هذا وإن يكن تعريف التصوف غير ممكن فلا أقل من أن يكون تعريفه صعب عسير »[٦]

ويرد القشيري هذا الاضطراب والتعدد في تعريف التصوف حتى عن الشخص الواحد بأن كل واحد يتكلم بحكم الوقت والحال الذي هو فيه فإذا تغير الوقت والحال تكلم بحكم وقته وحاله الجديد »[٧]

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ص٣٦ ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م الناشر إدارة ترجمان السنة .

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص٢١٧

(٣) اللمع ص٢٧

(٤) عوارف المعارف ٥ / ٦٥

(٥) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ١ / ٤ - ٥ وبهامشه الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية - ابن عجيبة دار المعرفة نقلا عن المصادر العامة للتلقي ص٣٤

* ابن عجيبة : هو أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ، من أهل فاس بالمغرب ولد سنة ١١٦٠هـ توفي سنة ١٢٢٤ هـ له مؤلفات منها « قواعد التشوق في حقائق التصوف » انظر الأعلام ١ / ٢٤٥

* زروق هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس فقيه محدث صوفي من أهل فاس بالمغرب ولد سنة ٨٤٦هـ توفي سنة ٨٩٩هـ من مؤلفاته قواعد التصوف ، انظر الأعلام ١ / ٩١

(٦) تاريخ التصوف في الإسلام قاسم غنى ص٢٦٩ ، ١٩٧٠ م مطبعة مصر .

(٧)الرسالة القشيرية ص٢١٧

وإليك الأمثلة على ذلك :

قول الجنيد* : وقد سئل عن التصوف فقال : «أن تكون مع الله بلاعلاقة »[١]

وقال أيضًا : «هو أن يميتك الحق عنك أويحييك به »[٢]

وقال أبوحمزة البغدادي * : « علاقة الصوفي الصادق ، أن يفتقر بعد الغنى ، ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة »[٣]

قال الشبلي * : «التصوف هو العصمة عن رؤية الكون »[٤]

قال أبومحمد المرتعشي النيسابوري * وقد سئل عن التصوف :

«الإشكال ، والتلبيس ، والكتمان »[٥]

---

(١) الجنيد : هو الجنيد بن محمد الخزاز ، وكان أبوه يبيع الزجاج ، فلذلك كان يقال له : القواريري ، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق توفي سنة ٢٩٧هـ انظر طبقات الصوفية للسلمي ص١٥٥ - ١٥٦ تحقيق نور الدين شريبة ط الثانية ١٤٠٦هـ١٩٨٦م دار الكتاب النفيس ، مصر

(٢) عوارف المعارف ٥ / ٦٣ ملحق مع إحياء علوم الدين دار القلم ، الرسالة القشيرية ص١٢٧

(٣) عوارف المعارف ٥ / ٦٤ ، الرسالة القشيرية ص١٢٦

* أبوحمزة البغدادي ، الصوفي البزاز اسمه : محمد بن إبراهيم كان عالمًا بالقراءات وبقراءة أبي عمرو خصوصًا ، وهو من أقران الجنيد قيل مات سنة ٢٨٩هـ .

(٤) الرسالة القشيرية ص١٢٧

الشبلي : هو أبوبكر الشبلي اسمه دلف ، يقال : ابن جحدر ويقال ابن جعفر ويقال : اسمه جعفر ويقال اسمه جعفر بن يونس وهو خراساني الأصل ، بغدادي المنشأ والمولد ، كان فقيها على مذهب الإمام مالك عاش ٨٧سنة ومات سنة ٣٣٤هـ انظر طبقات الصوفية ص٣٣٧

(٥) الرسالة القشيرية ص١٢٧

* هو عبدالله بن محمد من محلة الحيرة ، صحب جماعة من الصوفية ولقي الجنيد وصحبه أقام بالعراق حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم مات ببغداد سنة ٣٢٨هـ انظر طبقات الصوفيةص ٣٤٩

وقال أبو الحسين النوري * : «التصوف ترك كل حظ النفس »[١]

أما الصوفي فقد عرف بأنه من كان صافيا من آفات النفس خاليا من مذموماتها سالكا لحميد مذاهبه ملازما للحقائق غير ساكن بقلبه إلى أحد من الخلائق »[٢]

يقول ابن سبعين *في تعريفه : «هو العالم بالله العارف به الواصل لغاية الإنسان السعيد على الإطلاق »[٣]

أما الهجوري فيقول : «الصوفي : اسم يطلقونه على كاملي الولاية ومحققي الأولياء .

ويقول أحد المشايخ - رحمهم الله - : «من صافاه الحب فهو صاف ، ومن صافاه الحبيب فهو صوفي »[٤]

ويقول المرتعش : «الصوفي لايسبق همته خطوته البتة »[٥]

وقيل لبعضهم من الصوفي ؟ قال : «الذي لايَمْلكُ ولايُمْلَكُ » يعني لايسترقه الطمع . وقال آخر : «هوالذي لايملك شيئًا ، وإنَ ملكه بذله »[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ص٣٥٢

* هو أحمد بن محمد ، وقيل محمد بن محمد وأحمد أصح بغدادي المنشأ والمولد خراساني الأصل يعرف بابن البغوي كان من أجل مشايخ القوم ، وعلما نهم لم يكن في وقته أحسن كلاما منه توفي سنة ٢٩٥ هـ انظر طبقات الصوفية ص١٦٤ - ١٦٥

(٢) طبقات الصوفية ص١٦٦ ، كشف المحجوب ص٢٣٢

(٣)الغنية لطالبي طريق الحق . عبدالقادر الجيلاني ج٢ص١٣٩مكتبة سليمان الصنيع ، مطبعة الميرية .

* ابن سبعين : عبدالحق بن إبراهيم بن محمد مولده ووفاته (٦١٣ - ٦٦٩ هـ) (١٢١٦ - ١٢٧٠ م) الإشبيلي المرسي أبومحمد من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود صنف كتاب (الحروف الوضعية في الصور الفلكية) انظر الأعلام ٤ / ٥١

(٤) بد العارف - ابن سبعين ص١٢٤ تحقيق د. جورج كتورة دا ر الأندلس .

(٥) كشف المحجوب ص٢٣٠

(٦) المرجع السابق ص٢٣٤

وبعد ذلك العرض فإننا نذكر تعريف ابن خلدون للتصوف لعله يكون جامعا مانعا : يقول العلامة ابن خلدون :

«وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ، ومال وجاه والانفراد في الخلوة للعبادة »[١]

ونجد أن تعريفه يكاد يكون شامل لأحوال وخطوات الصوفية مع وجود خلل بسيط في عدم تميز الزهاد عن الصوفية في هذا التعريف .

ويرجع الشيخ زروق الاختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر يدل على بعد إدراك جملتها ، ثم هو إن رجع لأصل واحد يتضمن جملة ماقيل فيها كانت العبارة عنه بحسب مافهم منه ، وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله ، واعتبار كل واحد على حسب مثاله علما وعملا وحالا وذوقا وغير ذلك ، والاختلاف في التصوف من ذلك[٢]

---

(٤) مقدمة ابن خلدون ص٣٣٣ ، دار المصحف بالقاهرة .

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم - ابن عجيبة ص١٧ تقديم محمد أحمد حسب الله ، دار المعارف .

المبحث الثاني :قولهم في الشفاعة

قبل الخوض في أقوال الصوفية في الشفاعة لابد أن نميز بين أقسام الصوفية لنعرف مقولة كل قسم فقد قسمهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثلاث أقسام فقال :

١ - «صوفية الحقائق وهم قوم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أصحاب اليمين ، وفي كل من الصنفين من يخطئ في اجتهاده ومنهم من يذنب ويتوب أولايتوب .

٢- صوفية الأرزاق : وهم الذين وقفت عليهم الوقوف فلايشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز »

٣- صوفية الرسم : هم المقتصدون على النسبة فاهتمامهم منحصر في اللباس والآداب الوصفية »

ثم ذكر رحمه الله أن القسم الأول هم المقصودون بالصوفية والباقي مجرد أذناب لهم وأنهم -أي القسم الأول - ينقسمون إلى ثلاث أقسام :

أ- صنف لهم عبادة وزهد فيما هم فيه ، وهم يحسبون أنهم على حق ويقرون ظاهرا وباطنا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق ولكنهم لايفهمون حقيقة قول مشائخهم .

ب - صنف قد تكلموا في خصائص الإيمان والدين ويوجد فيما يأثرونه عمن قبلهم وفيما يذكرونه معتقدين له شيء كبير وأمرعظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤخذ عنهم من جنس الروايات الباطلة والضعيفة ومن جنس الآراء والأذواق الفاسدة والمحتملة شيء كثير .

ج- وصنف يقولون مايقوله ابن عربي * ونحوه »[1]

---

(١) انظر موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية أحمد بن محمد بناني ص٩٧ - ١٠١ ط الأولى ١٤٠٦هـ١٩٨٦م .

* محمد بن علي بن محمد بن عربي أبوبكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم مولده ووفاته (٦٥٠ - ٦٣٨هـ) (١١٦٥ - ١٢٤٠م) له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها (الفتوحات المكية) (ومفاتيح الغيب)

وخلاصة القول أنه يوجد في الصوفية طريقتان هما :

- طريقة الإشراق - طريقة البرهان أوالتصوف السني

طريقة الإشراق :

«هي الطريقة القديمة المستمرة ، وجدت مع وجود الصوفية في أعماق التاريخ وهي الطريقة الوحيدة في الحقيقة لاطريقة غيرها .

فالصوفية جميعاً وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورس وأفلاطون .

- بل هي أقدم منهما بكثير - إلى يومنا هذا يعلنون منهجا محددا يقرونه جميعا ويثقون فيه ثقة تامة ، ذلك هو المنهج القلبي - الروحي - أومنهج البصيرة .

وأسلوبها القديم الحديث هو أن يميت السالك إحساساته وأعصابه بإرهاقها إرهاقا شديدا جدا حتى يصل إلى مايشبه العدم .

أما طريقة البرهان :

فهي طريقة الإشراق نفسها مزجوها بالإسلام ، وفلسفها حجتهم الغزالي ، فصار عالمهم يتعلم ، إلى جانب الإشراق ، العلوم الإسلامية وهم في علم التوحيد (علوم الذات والصفات)* ينقسمون ظاهرا إلى قسمين أشعرية وماتريدية غالبا # أما باطنا فالتوحيد عندهم هو وحدة الوجود »[1]

أما القسم الأول : فليس عندهم قول واضح في الشفاعة لأن المذهب قائم على قاعدة أساسية وهي أن الكون واحد :

العبد رب والرب عبد ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فالرب عبد وإن قلت رب فأنى يكلف

وعليه فالشافع والمشفوع له والمشفوع إليه واحد فلا فائدة من الشفاعة يقول محي الدين ابن عربي في رسالة له :

«وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق لما فيه من العلو

---

*انظر الرسالة القشيرية ص٤١ - ٤٩

* لأن منهم أبوعبدالله محمد الشيرازي كان سلفيا في هذا الجانب ، انظر مجموع الفتاوى ج٥ص٧١ - ٨٥ وطبقات الأولياء ص٢٩٠

(١) انظر الكشف عن حقيقة التصوف يص٣١١ - ٣١٥

فغوره بعيد والتلف فيه قريب فإن من لامعرفة له بالحقائق ولابامتلاء الرقائق ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به وهو لم يذقه ربما قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا »[١]

ويوضح عقيدة ابن عربي في اليوم الآخر شيخ الإسلام في الصفدية فيقول :

«وأما الإيمان باليوم الآخر ، فادعى ابن عربي أن أصحاب النار يتنعمون في النار ، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة ، وأنه يسمى عذابا من عذوبة طعمه وأنشد في الفصوص :[٢]

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ومالوجود الحق عين تعاين
فإن دخلوادار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشرصاين

« وإذا كانت الطاعة والمعصية ليس لها مدلول حقيقي ، أوبالأحرى مدلول ديني - فأحرى بالثواب والعقاب ألا يكون لهما مدلول أيجابي في مذهب كمذهب وحدة الوجود ، وأقصى مايستطيع ابن عربي أن يقوله هو أن الثواب اسم ناشئ عن الطاعة في نفس المطيع ، وإن العقاب اسم للأثر الناشئ عن المعصية في نفس العاصي . ولكن تمشيًا مع منطق مذهبه أميل إلى أن يعتبر العقاب والثواب - اللذة والألم - حالتين يشعر بهما الحق نفسه أي الحق المتعين في صورة العبد لاعذاب ولاثواب إذن بالمعنى الدين في الدار الآخرة . بل مال الخلق جميعًا إلى النعيم المقيم »[٣]

وبناء على ذلك فلا فائدة من الحديث عن الشفاعة عند هذه الطائفة من الصوفية

---

(١) كتاب الفناء في المشاهدة - محمد بن العربي ص٣ ط الأولى مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية .

(٢) ج١ ص٩٤ نقلاً عن الصفدية - ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ج١ ص٢٤٥ - ٢٤٦ مكتبة ابن تيمية .

ولرد عليهم انظر ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره ، محمد حربي ص١٩١ عالم الكتب / الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين ١٣ - ١٤ هـ وآثارها في حياة الأمة - علي بن بخيت الزهراني ص٥٥١ دار الرسالة .

(٣) الصفدية الحاشية ص٢٤٥ - ٢٤٦

القسم الثاني :

الشفاعة عندهم هي مثل ماعند المسلمين ثابتة سواء أكان إثباتها على طريقة أهل السنة والجماعة أم كما صورها الغزالي على مذهب الأشاعرة .

يقول الغزالي في الأحياء :

«اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين ، بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصًا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة ، وذلك بأن لاتحقر أدميًا أصلا فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ، ولاتستصغر معصية أصلا فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ، ولاتستحقر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه . ولوالكلمة طيبة أو النية الحسنة أومايجري مجراه »[١]

يقول الكلاباذي في التعرف موضحًا ماعليه الصوفية من اعتقاد في الشفاعة .

« أجمعوا على أن الإقرار بجملة ماذكر الله تعالى في كتابه وجاءت به الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة واجب» لقوله تعالى :

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾[٢][٣]

ومع هذا فإن معظم الصوفية يعتقدون أن طلبها منقصة عظيمة ، وأنه لايجوز للولي أن يسعى إليها ولاأن يطلبها ومن طلبها فهو ناقص وإنما الطلب عندهم في الفناء المزعوم في الله ، والاطلاع على الغيب والصريف في الكون هذه جنة الصوفي المزعومة .

وأما النار فإن الصوفية يعتقدون أيضًا أن الفرار منها لايليق بالصوفي الكامل لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الاحرار ، بل منهم من تبجح أنه لوبصق على النار لأطفأها ، كما قال البسطامي .

---

(١) إحياء علوم الدين ، أبي حامد الغزالي ج٤ص٤٨٠ دار القلم .

وكذا المرشد الأمين إلى موعظة المتقين ص٢٩١ ط الثالثة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م مكتبة مصطفى البابي الحلبي وكذلك اتحاف السادة المتقين - الزبيدي ج١٤ ص٤٩٧ ط الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م دار الكتب العلمية .

(٢) سورة الضحى : الآية ٥

(٣) التعرف ص٥٩ تعليق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ص٦٩ تعليق محمد النواوي ط الثالثة ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م المكتبة الأزهرية .

وقد يظن الجاهل في عصرنا الحاضر أن هذه العقيدة في الجنة عقيدة سامية ، وهي أن يعبد الإنسان الله ، لاطمعا في الجنة ولاخوفا من النار ، وهذا لاشك خلاف عقيدتنا الواردة في الكتاب والسنة ، فقد وصف الله حال الأنبياء ، في عبادتهم بأنهم كانوا ﴿يدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين ﴾[1] والرغب هو الطمع في جنة الله وفضله والرهب هو الخوف من عقابه ، والأنبياء هم أكمل الناس عقيدة وإيمانا وحالاً[2] ومما يدل أيضًا على أن عقيدتهم في الشفاعة صحيحة قول الجيلاني*في الغنية ، فصل : ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان فإنه لايخلد فيها بل يخرج منها لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته ثم يخرج برحمة الله تعالى ولايخلد فيها ولاتلفح وجهه النار ولاتحرق أعضاء السجود منه لأن ذلك محرم على النار ولاينقطع طمعه من الله عزوجل في كل حال مادام في النار حتى يخرج منها فيدخل الجنة ويعطى الدرجات على قدر طاعته التي كانت له في الدنيا خلاف ماقالته القدرية : إن الكبيرة تحبط الطاعات فلا يثاب عليها وكذلك قول الخوارج تبعًا لهم »[3] فإذا كان أصل المسألة عندهم صحيح وهو عدم التخليد بالكبيرة ، فإن قولهم بالشفاعة من لوازم هذا فضلاً عن أنهم قد صرحوا به في بعض كتبهم . وإن كان الصوفية لايعتدون بالكلام ولايعتمدون عليه في مناقشاتهم بل قد ذم أحدهم الحارث المحاسبي *بسبب تعلقه بالكلام ، فقال : عليك بأدبه ودع عنك

* عبدالقادر بن عبدالله أبي صالح ابن جنكس ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي أبو محمد الجيلي صاحب المقامات والكرامات ولد بجيلان سنة ٤٩١هـ وتوفي ٥٦١هـ من كتبه (الغنية لطالبي طريق الحق)

* (طريق الحق) (عقيدة الأكابر) الوافي بالوفيات ١٩ / ٣٨ الصفدي١٤١٣هـ - ١٩٩٧م دار النشر نراتز شتايز / مختصر طبقات الحنابلة ص٤٠

(١) سورة الأنبياء :الآية٩٠

(٢) الصوفية عقيدة وأهداف ليلى بنت عبدالله ص٢٦ ط الأولى ١٤١٠هـ رمضان دار الوطن

(٣) الغنية الطالبي ، طريق الحق - الجيلاني ج١ص٥٧ مطبعة الميرية بمكة المحمية مكتبة سليمان الصنيع

* الحارث بن أسد المحاسبي أبوعبدالله تصانيفه مدونة مسطورة كان في علم الأصول راسخًا وللمخالفين قامعا من كبار الصوفية لايعرف سنة ولادته توفي سنة ٢٤٣ هـ ٨٥٧م من كتبه (شرح المعرفة) آداب النفوس ، انظر الأعلام ٢ / ١٥٣ وانظر حلية الأولياء للأصفهاني ١٠ / ٧٣ دار الكتاب العرب ط الخامسة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

تشقيق الكلام »[1] إلا أنهم في هذا المجال قد أثبتوا الشفاعة بناءً على عدم تخليد مرتكب الكبيرة .

(١) العقل -فهم القرآن الحارث المحاسبي ص٣٤ حققه حسين القوتلي ، دار الكندي - دار الفكر .

المبحث الثالث : أدلتهم

في هذا المبحث نجد أن التصوف الاشراقي ليس له أدلة في الشفاعة لأنه لايعترف بها .

أما القسم الثاني : وهو التصوف السني أو الغزالي كما يسميه البعض فنجد أن الغزالي في الأحياء [١] وشرحه للزبيدي [٢] قد ساقا أدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة لاتخرج كثيراً عما أثبتناه سابقا عند الأشاعرة والماتريدية بل غالبها أدلة استدل بها أهل السنة .

نذكر منها : قوله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[٣]

وقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿فما لنا من شافعين ﴾ [٤]

قوله تعالى : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾[٥] وقوله : ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[٦]

قوله صلى الله عليه وسلم : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً . . . وأعطيت الشفاعة . . »[٧]

وحديث : «لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن اختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[٨]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاقول إبراهيم عليه السلام ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾[٩]

وقول عيسى عليه السلام ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾[١٠] ثم رفع يديه وقال : «أمتي ، أمتي ، ثم بكى فقال الله عزوجل ياجبريل إذهب إلى محمد فسله مايبكيك ؟فأتاه فسأله فأخبره والله أعلم به . فقال : ياجبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولانسوءك »[١١]

---

(١) إحياء علوم الدين ج٤ص٤٨١ / التعرف لمذهب أهل التصوف ص٥٩ دار الكتب العلمية .

(٢) إتحاف السادة المتقين ج١٤ ص٤٩٨ (٣) سورة الإسراء : الآية ٧٩ (٤) سورة الشعراء : الآية ١٠٠

(٥) سورة الضحى : الآية ٥ (٦) سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٧) أخرجه الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح (٨) متفق عليه

(٩) سورة إبراهيم : ٣٦ (١٠) سورة المائدة : الآية ١١٨ (١١) رواه مسلم ، واللالكائي في كتاب السنة .

الفصل السابع
الشفاعة عند أهل السنة والجماعة

المبحث الأول :أدلة ثبوت الشفاعة

المبحث الثاني:أقسام الشفاعة

المبحث الثالث:شروط الشفاعة

المبحث الرابع:أنواع الشفاعة

المبحث الخامس:أسباب الشفاعة

بين يدي الفصل السابع: الشفاعة عند أهل السنة

ويشتمل على :

أولاً: التعريف بأهل السنة والجماعة

ثانياً: منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة وتقريرها

التعريف بأهل السنة والجماعة

نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة - لاسيما بعد ظهور البدع والفرق - استناداً إلى الأحاديث والآثار الداعية إلى الارتباط بالجماعة ، والتمسك بالسنة ، والمحذرة من الفرقة والاختلاف في الدين والابتداع فيه .

كقوله ﷺ : « . . . . . فإن من فارق الجماعة شبرا ، فمات ، إلا مات ميتة جاهلية »[١] وقوله صلى الله عليه وسلم : « . . . عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[٢]

وقوله ﷺ : « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا مامسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه »[٣]

أ- معنى السنة في اللغة :

السنة في اللغة : الطريقة والسيرة : حسنة كانت أم سيئة [٤]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١٣ / ٥٥ (فتح الباري) الفتن (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «سترون بعدي أمورًا تنكرونها » حديث ٧٠٥٤

(٢) رواه أبوداود في سننه ٥ / ١٣ رقم ٤٦٠٧

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢ / ٨٩٩ رقم ٣ ، صحيح الجامع الصغير٣ / ١٩ رقم ٢٩٣٤

(٤) انظرلسان العرب مادة «سنن» يوسف خياط ج٢ص٢٢٢ دار لسان العرب / مكتبة الرشد

ب- معنى السنة في الاصطلاح :

قد ذكر العلماء تعريفات للسنة ، كل بحسب مايشتغل به من العلم فالأصوليون لهم تعريف ، والمحدثون لهم تعريف ، وكذا الفقهاء . . . وهذه التعريفات تلتقي في أشياء ، وتفترق في أشياء .

أما الذي يهمنا هنا في هذا المقام فهو معرفة معنى السنة عند المشتغلين بتقرير مذهب السلف في الاعتقاد :

فالسنة عندهم : هي ماكان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقادا وقولا وعملا .

ومصطلح أهل السنة له إطلاقان ، عام وخاص :

أما الإطلاق العام : فالمراد به مايكون في مقابل الشيعة ، فتدخل جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام -عدا الشيعة - في مفهوم أهل السنة ، وعليه يصح تقسيم المسلمين إلى سنة وشيعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فلفظ السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف ، إلا ا لرافضة »[1]

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢ / ٢٢١

وأما الإطلاق الخاص : فالمراد به مايكون في مقابل أهل البدع والمقالات المحدثة ، كالشيعة ، والخوارج ، والجهمية ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والأشاعرة وغيرهم من أهل البدع ، فهؤلاء لايدخلون في مفهوم السنة بالإطلاق الخاص .

قال ابن تيمية - تكملة لكلامه المتقدم - : « . . . . وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلايدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ويقول : إن القرآن غيرمخلوق ، وإن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر ، وغيرذلك من الأصول المعروفة عند أهل السنة »[1]

ولهذا يقال في ترجمة الرجل : صاحب سنة ، أوصاحب بدعة ، يريدون به الإطلاق الخاص . وقال محمد بن سيرين* -رحمه الله - : «لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم .

وقد ذكرشيخ الإسلام في الفتاوى التعريف بأهل السنة عند شرحه لحديث : «تفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة » فقال : «أهل الحديث والسنة هم الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله ، وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها ، وأئمتهم فقهاء فيها

---

* محمد بن سيرين الإمام شيخ الإسلام أبوبكر الأنصاري الأنسي البصري ، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لسنتين بقين من خلافه عمر ، وكان عالمًا فقيهًا ورعًا أديبا كثير الحديث ، انظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٦٠٦

(١) المرجع السابق

وأهل معرفة بمعانيها وأتباعًالها : تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها ، الذين يردون المقالات المجملة إلى ماجاء به من الكتاب والحكمة ، فلاينصبون مقالة ، ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ، بل يجعلون مابعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه »[1]

(١) مجموع الفتاوى ج٣ ص٤٧ ٣جمع عبد الرحمن بن قاسم ، دارإحياء الكتب العربية .

ألقاب أهل السنة . :

هناك ألقاب وأسماء لأهل السنة والجماعة يعرفون بها ، منها :

١ - أصحاب الحديث والأثر .

وذلك لاشتغالهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثارأصحابه رضي الله عنهم تمييزا وفهما ، وعملاً ، واحتجاجًا بها .

٢ - السلف الصالح :

والمراد بهم : الصحابة رضي الله عنهم وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول ، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين وعظم شأنهم فيه ، وتلقى المسلمون كلامهم - خلفا عن سلف - بالرضا والقبول ، كالائمة الأربعة وغيرهم دون من رضي ببدعة ، أواشتهر بلقب غيرمرضي كالخوارج والشيعة وسائرالفرق الضالة .

والسلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين :

الأول : حقبة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدمة كما في حديث «خيرالناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . . . »[1]

الثاني : الطريق التي كان عليها الصحابة والتابعون ، ومن تبعهم بإحسان ، من التمسك بالكتاب والسنة ، وتقديمهما على ماسواهما ، والعمل بهما على مقتضى فهم الصحابة والسلف .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١١ / ٢٤٤

فالسلفية بالإطلاق الأول تكون مرحلة تاريخية ، قد انتهت بموت رجالها وبالإطلاق الثاني تكون منهاجا باقيا إلى يوم القيامة ، يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده .

٣- الفرقة الناجية والمنصورة

لحديث « . . . وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار ، إلا ملة واحدة . قالوا : ومن هي يارسول الله ؟ قال : ماأنا عليه وأصحابي »[١] وفي رواية : «كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة »[٢]

معنى الجماعة الواردة في مصطلح «أهل السنة والجماعة » .

أولاً : معنى الجماعة في اللغة : من جمع ، يقال : جمع المتفرق ، والجماعة ضد الفرقة »[٣]

ثانيًا : معناها في مصطلح علماء الشريعة :

ورد لفظ الجماعة في بعض الأحاديث كحديث : « يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار »[٤] .

وقد اختلف أهل العلم في ا لمراد بالجماعة في هذه الأحاديث ونحوها على أقوال .

---

(١) رواه الترمذي في سننه : ٧/ ٢٩٧ الإيمان (باب ماجاء في افتراق هذه الأمة) حديث : ٢٦٤٣

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ١ / ١٢٨ كتاب العلم .

(٣) انظرلسان العرب مادة جمع .

(٤) رواه الترمذي في سننه ٦ / ٣٣٤ الفتن (باب ماجاء في لزوم الجماعة)

أهمها خمسة ، أذكرها بإيجاز :

الأول : أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام ، ويدخل فيهم أهل العلم والاجتهاد ، دخولا أوليا .

الثاني : أنها جماعة المجتهدين ، دون غيرهم من الناس ، وهو اختيار البخاري والترمذي (رحمهما الله) .

الثالث : أنها جماعة الصحابة على وجه الخصوص .

الرابع : أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، فلايجوز الخروج عليهم فيه . وهو اختيار أبي جعفر الطبري -رحمه الله- »[1]

وهذه الأقوال لاتعارض بينها - والحمد لله - إذ الكل متفقون على تقديم أهل العلم والاجتهاد ، فلايقال : الواجب متابعة جمهور العوام ، ولو خالفوا أهل العلم . بل الجماعة موافقة الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى : جماعة الصحابة - رضي الله عنهم - ، وهو ماعليه أهل العلم والفقه في الدين في كل زمان ، وكل من خالفهم فهو من أهل الشذوذ والفرقة »[2]

قال أبوشامة - رحمه الله - : «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً ، والمخالف كثيراً ، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي - صلى الله عليه وسلم -وأصحابه

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢ / ٢٦٠ ، مطبعة السعادة - مصر .

(٢) انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان بن علي بن حسن ص٢٧ - ٤٠ بتصرف ط الأولى - ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م مكتبة الرشد .

- رضي الله عنهم - ولاينظرإلى كثرة أهل الباطل بعدهم »[١]

ولهذا قال ابن القيم - رحمه الله - مبينا هذا الأمر : «وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل ، إلانفراً يسيراً ، فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة حينئذ والمفتون ، والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة »[٢]

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٢٢ ، تحقيق : عثمان عنبر ، ط الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م دار الهداية ، مطبعة السعادة .

(٢) إعلام المرقعين ٣ / ٣٩٧

منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة وتقريرها

قبل الشروع في ذكر منهج أهل السنة والجماعة أود أن ألقي الضوء على مسألة وهي أن مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الصحابة ، وأن هناك فرقا بين أهل السنة وأهل القبلة ، فأهل السنة والجماعة هم من سار على ما سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شأنهم كله ، أما أصحاب المذاهب الأخرى فليسوا من أهل السنة ، وإن كانوا من أهل القبلة ؛ لاشتمالهم على بعض مايخالف أهل السنة والجماعة أمثال المعتزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، وغيرهم على تفصيل في قرب كل من هذه المذاهب من أهل السنة ، أوبعدهم .

ولهذا يقول ابن تيمية - رحمه الله - : «مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أباحنيفة ومالكا والشافعي وأحمد ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة »[1]

---

(١) منهاج السنة : ١ / ٢٥٦ ط بولاق .

يقوم منهج أهل السنة والجماعة على الأسس التالية :

(١) مصدرهم في تلقي العقيدة هو الكتاب ، والسنة الصحيحة ، وما أجمع عليه السلف الصالح .

وذلك لأن القرآن قد تضمن الشريعة التي أمرنا باتباعها في أصول الدين وفي فروعه ، ثم بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك كله ، وأخذ الصحابة - رضي الله عنهم - بيانه وتفسيره ، وعنهم أخذ التابعون بإحسان ، فليس لنا بعد هذا إلا أن نسير على هذا النهج ، وأن نتبع ولانبتدع .

وهذا النهج قد وضح وبين في الكتاب والسنة ، وفيما ورد عن السلف من الآثار ، وفيما يلي جملة من هذه النصوص يتضح بها المقصود :

قال الله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[١]

وقال تعالى : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[٢]

وروى البخاري - رحمه الله - عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « خيرالناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم ثم الذين يلونهم » .

قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أوثلاثة ؟ ثم إن بعدهم قوما

---

(١) الأنعام : ١٥٣ (٢) النساء : ٦٥

يشهدون ولايستشهدون ، ويخونون ولايؤمنون ، وينذرون ولايوفون ويظهر فيهم السمن »[١]

وعنه - رحمه الله - : عن أبي السوار العدوي - رحمه الله - قال : سمعت عمران بن حصين يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الحياء لايأتي إلا بخير » فقال بشر بن كعب : إنه مكتوب في الحكمة : إن منه وقارا ومنه سكينة . فقال عمران : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن صحفك»[٢]

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « من أخذ رأيا ليس في كتاب الله ، ولم تمض به سنة من رسول الله لم يدرعلى ماهو منته إذا لقي الله »[٣]

وكان ابن سيرين - رحمه الله - يقول : « كانوا يقولون : مادام على الأثرفهو على الطريق »[٤]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - « أما الاعتقاد فلايؤخذ عني ولاعمن هو أكبرمني ، بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وماأجمع عليه سلف الأمة »[٥]

ثم قال موضحا منهج أهل السنة والجماعة : « . . . من طريق أهل السنة

---

(١) رواه البخاري : كتاب الشهادات (باب لايشهد على شهادة جور)

(٢) رواه البخاري : كتاب الأدب (باب الحياء)

(٣) صون المنطق للسيوطي ص٤٣ تحقيق سامي النشار ، دار الكتب العلمية .

(٤) صون المنطق ص٤٣

(٥) مجموع الفتاوى ٣ / ١٦١

والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار . . . ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخيرالهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد ، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة . . . وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ماعليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أوظاهرة مما له تعلق بالدين . . . »[١]

٢- اعتقادهم أن دين الإسلام كامل لانقص فيه :

والله تبارك وتعالى يقول : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[٢] ويقول أيضا : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[٣]

وهذا كثيرفي القرآن مما يبين أن القرآن واضح ، وأن دين الله كامل ، وأنه لايحتاج معه إلى غيره . كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية [٤]

يقول الإمام ابن القيم موضحا تمام الدين ، ووضوح السنة في الصواعق : «وبالجملة فقد جاءهم صلى الله عليه وسلم بخيرالدنيا والآخرة

---

(١) المرجع السابق ٣/ ١٥٧ (٢) المائدة : ٣ (٣) النحل : ٨٩

(٤) درء تعارض العقل والنقل ١٠ / ٣٠٤

برمته ، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه ، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ماطرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها ، أو إلى قياس أوحقيقة أومعقول خارج عنها ؟

ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده ، وسبب هذا كله خفاء ماجاء به على من ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده »[١]

٣- ومن أصول أهل السنة والجماعة : « أن كل مايدل عليه الكتاب والسنة ، فإنه موافق لصريح المعقول ، وأن العقل الصريح لايخالف النقل الصحيح »

القول بمعارضة العقل للنقل قول مبتدع محدث ، لم يكن معروفا في القرون المفضلة ، إنما حدث في أواخر عصر التابعين حيث ابتدعه علماء الكلام ، «والذي عليه أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح دائما موافق للنقل الصحيح لايخالفه قط ، لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ماجاء به الرسول فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول ، ولاتخبر بمحالات العقول »[٢] فعند توهم التعارض يجب تقديم الشرع ، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به ، والشرع لم يصدق العقل في كل ماأخبربه ولا العلم بصدقه موقوف على كل مايخبر به العقل ، ثم إن الشرع ثابت في نفسه ، سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه ، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ، ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا ، فإن العقل إذا علم ماهو عليه الشرع في نفسه صار عالما به . . . ولو لم يعلم لكان جاهلا ناقصا »

فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق الرسول ، وثبوت ما أخبربه في نفس الأمر ، ليس موقوفا على وجودنا ، فضلا عن أن يكون موقوفا على عقولنا

---

(١) الصواعق ٨٢٦ / ٨٢٩

(٢) انظر الدرء ٥ / ٢٩٧ ، ٧ / ٣٢٧ - مجموع الفتاوى ١٧ / ٤٤٣ ، ٤٤٤

أوعلى الأدلة التي نعلمها بعقولنا »[١]

٤- ومن أصول أهل السنة الإيمان بكل ماصح عن النبي صلى الله عليه وسلم من السنن الثابتة دون فرق بين المتواتر والآحاد ، ودون فرق في ذلك بين مسائل الدين الاعتقادية والعملية .

فأهل السنة يرون أن كل ماأخبربه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصل إلينا بطريق صحيح يجب الإيمان به ، وتصديقه .

وأما القول بعدم حجية خبرالواحد في العقائد ، فهو قول مبتدع ابتدعته القدرية والمعتزلة حتى ينصروا مذهبهم .

ثم إن الخبر إذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الثقات من الأئمة ، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،وتلقته الأمة بالقبول ، فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم . هذا عامة قول أهل الحديث المتقنين من القائمين على السنة ، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لايفيد العلم بحال ، ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به ، شيء اخترعته القدرية والمعتزلة ، وكان قصدهم منه رد الأخبار ، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ، ولم يقعوا على مقصودهم من هذا القول [٢]

---

(١) انظر الماتريدية دراسة وتقويم أحمد الحربي ص ٦٨ ط . الأولى ١٤١٣ هـ دار العاصمة ولمزيد من المعرفة انظر الصواعق المرسلة لابن القيم ج٢ ص٤٥٩ تحقيق : علي دخيل الله ط . الأولى ١٤٠٨ هـ دارالعاصمة .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٣٩٢ - ٣٩٣ بتحقيق الألباني ط : الثانية ، المكتب الإسلامي .

٥- ومن أصول أهل السنة والجماعة التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله :

قال الله تعالى : ﴿فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[١]

وقال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[٢]

ولايمكن أن يستقيم العبد على هذا الدين إلا بالإتيان بهذا الأصل العظيم ، لذا يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله - في عقيدته المشهورة : «ولاتثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام »

قال الشارح : «أي لايثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين ، وينقاد إليها ولايعترض عليها ، ولايعارضها برأيه ومعقوله وقياسه . روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري - رحمه الله - أنه قال : (من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم) وهذا كلام جامع مانع »[٣]

ولذا قال السلف : «إن الإسلام قنطرة لاتعبر إلا بالتسليم »[٤]

وقال ابن القيم - رحمه الله - مبينا أن التسليم هو الأصل الذي يقوم عليه الإيمان - : « إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم،وعدم

---

(١) النساء : ٦٥

(٢) الأحزاب : ٣٦

(٣) شرح الطحاوية ص١٨١ ، ١٨٢

(٤) صون المنطق ص١٨٣

الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع ، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة لنبي صدقت نبيها ، وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه ، وبلغها عن ربها . . . »[١]

٦ - من أصول أهل السنة والجماعة عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة ، والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على مافي الكتاب والسنة .

وهذا واضح من النقاط التالية :

أ- الحرص على العلم النافع مع العمل ، فالعلم علمان : علم نافع يولد عملا ، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، وعلم غير نافع ، لاينفع صاحبه في الدنيا أولاينفع صاحبه في الآخرة .

ب- النهي عن البدع ، ومن ذلك علم الكلام ، وقد كان موقف السلف واضحا ومشهورا من علم الكلام . يقول الشافعي - رحمه الله - محذرا من علم الكلام :

«لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك أحب إليّ من أن يلقاه بشيء من الأهواء »[٢]

ج- الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز

فالسلف - رحمهم الله - لما حذروا من المنطق ومن علم الكلام لم يكتفوا بهذا ، وإنما ردوا وناقشوا أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنية على الكتاب والسنة .

---

(١) الصواعق ٤ / ١٥٦٠ ، مدارج السالكين ٢ / ١٢١ - ١٤٦

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي رقم (٣٠٠)

٧- ومن أصول أهل السنة والجماعة أن نصوص الصفات ليست من المتشابه الذي لايفهم معناه ، بل هي عند أهل العلم والإيمان واضحة بينة ؛ أي أنها معلومة المعنى ، مجهولة الكيفية ، كما بين ذلك الإمام مالك - رحمه الله تعالى - بقوله :

«الاستواء غيرمجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة »[١] .

٨- ومن أصول أهل السنة والجماعة ، حمل النصوص على الحقيقة دون المجاز ، وذلك أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ، اصطلاح ليس له أصل في الشرع ولافي اللغة ، وعليه فيرى أهل السنة والجماعة أن القول بالمجاز قول مبتدع فيجب أن تحمل النصوص على حقيقتها ؛ أي على المعان التي دلت عليها ألفاظها أ . هـ[٢]

ومما تقدم يتضح لنا منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة ، ونختم هذا الكلام بما رواه ا بن الجوزي بسنده عن عبدالله بن أحمد بن حنيل قال : «كتب أبي إلى عبيدالله بن خاقان ، لست صاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ماكان في كتاب أوحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه أما غير ذلك فإن الكلام فيه غيرمحمود» [٣]

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ص١٥١٥ دار الكتب العربية .

(٢) انظرموقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبدالرحمن المحمود ج١ ص٥٥ - ٦٠ ط الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م مكتبة الرشد ، والماتريدية دراسة وتقويم ص٥٩ - ٧٥ ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة ج١ ص٢٢٣ ومابعدها .

(٣) أصول مذهب الإمام أحمد - عبدالله التركي -ص٧٣

الفصل السابع
الشفاعة عند أهل السنة والجماعة
المبحث الأول :أدلة ثبوت الشفاعة عندهم

لقد تضافرت الأدلة على إثبات الشفاعة يوم القيامة ، ودل الكتاب والسنة على ذلك،وأجمع على إثباتها السلف الصالح أهل السنة والجماعة .

ويمكن بيان تلك الأدلة كما يأتي :

المطلب الأول :

القرآن الكريم :

فقد ورد لفظ الشفاعة وماتصرف منها في القرآن في ستا وعشرين موضع ومعظم الآيات الواردة في ذلك تتعلق بأمور الشفاعة في الآخرة،وشروطها،وإن كان منها مايتحدث عن الشفاعة في الدنيا ونحن هنا نسوق الآيات الدالة على إثبات الشفاعة وشروطها ، ونفيها عن مستحقيها .

فمنها :

قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [١]

يقول ابن جرير الطبري : أما قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعني بذلك من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يخليه ويأذن له بالشفاعة لهم[٢]

وقوله تعالى في سورة يونس : ﴿مامن شفيع إلا من بعد إذنه ﴾[٣]

قال ابن عباس: لايشفع أحد إلا أن يأذن له [٤]

وقوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[٥]

وقوله تعالى في سورة طه : ﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾[٦]

وفي سورة النجم قوله تعالى : ﴿وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥

(٢)تفسير جامع البيان ج٣ص٦ ، دار الحديث

(٣)سورة يونس : الآية ٣

(٤)زاد المسير في علم التفسير أبي الفرج بن الجوزي ج٤ ص٧ ط الأولى المكتب الإسلامي .

(٥)سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٦) سورة طه : الآية ١٠٩

شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾[١]

وقال تعالى في سورة الزخرف : ﴿ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾[٢]

قال الحافظ ابن كثير * رحمه الله ثم قال : ﴿ولايملك الذين يدعون من دونه ﴾ أي الأصنام والأوثان (الشفاعة) أي لايقدرون على الشفاعة لهم .

﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ هذا استثناء منقطع أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له أ. هـ. فهذه الآيات تدل على الشفاعة المثبتة بشروطها .

أما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم الكفار فمنها :

قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع ﴾[٣]

وفي سورة غافر قول الله تعالى : ﴿ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾[٤]

وأما قوله تعالى في سورة المدثر : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[٥]

فإنه يدل بمفهومه على انتفاع المؤمنين بها ونفي شفاعة الشافعين لهم جميعا [٦]

وقوله تعالى : ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾[٧]

وقال تعالى : ﴿ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾[٨]

والمراد بالظالمين هنا ، الكافرون .

---

(١)سورة النجم : الآية ٢٦

(٢)سورة الزخرف : الآية ٨٦

* ابن كثير هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن حنو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه من كتبه البداية والنهاية – تفسير القرآن العظيم ولد سنة ٧٠١هـ ١٣٠٢م وكانت وفاته سنة ٧٧٤ هـ-١٣٧٣م انظر الأعلام ١ / ٣١٧

(٣)سورة الأنعام : الآية٥١

(٤)سورة غافر : الآية ١٨

(٥)سورة المدثر : الآية ٤٨

(٦) تفسير أبوالسعود ج٥ص٦٢ دار إحياء التراث العربي .

(٧) سورة الزمر : الآية ٤٤

(٨)سورة غافر : الآية ١٨

قال الحافظ البيهقي * رحمه الله في الشعب : فالظالمون هاهنا هم الكافرون ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين أ . هـ[1]

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية : أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ، ولاشفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير . أ . هـ

ويستثنى من المشركين أبوطالب ، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يشفع له حتى يصير في ضحضاح من نار ، الحديث .

هذا وإن ما أوردته من آيات الشفاعة هو مجرد نماذج فقط ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى القرآن الكريم وماكتبه المفسرون ، ليتعرف على مادونه المفسرون حول أيات الشفاعة .

---

*أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي الخرساني الشافعي محدث فقيه غلب عليه الحديث فصنف فيه كثيرا حتى قيل إنها بلغت ألف جزء منها شعب الإيمان ، ودلائل النبوة ولد وتوفي سنة (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) (٩٩٤ - ١٠٦٦م) انظر معجم المؤلفين رضا كحالة ١ / ٢٠٦ مكتبة المثنى .

(١) ج١ص٢٠٥

المطلب الثاني :

السنة :-

لقد ورد ذكر الشفاعة كثيرا في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح منها والسنن ، وإذا كان القرآن قد تناول الشروط والضوابط للشفاعة عندالله تعالى يوم القيامة،فإن السنة قد شرحت أنواع الشفاعة وصنفتها ، ومن هم الشفعاء،والمشفوع لهم،وأسباب الشفاعة،وموانعها .

إنأحاديث الشفاعة صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة،وهي كثيرة جدا بحيث بلغت حد التواتر .

قال الحافظ ابن أبي عاصم * رحمه الله : «والأخبار التي روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فيما فضله به من الشفاعة،وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ماحوت على ماقتصصنا»(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها في الصحيحين أحاديث متعددة ، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده »(٢)

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني * رحمه الله «شفاعة النبي ﷺ نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ المتواتر المعنوي »(٣)

---

*أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني محدث وفقيه ظاهري المذهب من كتبه :

مصنف على مذهب داود الظاهري وكتاب السنة ولد وتوفي سنة (٢٠٦ - ٢٨٧هـ)(٨٢٢ - ٩٠٠م)

انظر معجم المؤلفين ٢ / ٣٦

(١) السنة لابن أبي عاصم ٢ / ٣٩٩

(٢)مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٣١٤

*محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي محدث فقيه أصولي صوفي مؤرخ من تصانيفه :

البحور الزاخرة في علوم الآخرة ، لوامع الأنوار ولد وتوفي سنة ١١١٤ - ١١٨٨هـ(١٧٠٢ - ١٧٧٤م)

انظر معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٢

(٣) لوامع الأنواو البهية للسفاريني ٢ / ٢٠٨

وقال عن ثبوت الشفاعة لغير النبي صلى الله عليه وسلم : «يجب أن يعتقد أن غير النبي ﷺ من الشفعاء يشفعون لثبوت الأخبار بذلك وترادف الآثار »[١]

نماذج الأحاديث :

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[٢]

قال أهل العلم : «معناه دعوة أعلم أنها تُستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ، ولنبينا ﷺ منها مالايعد ، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف ، وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعوه بها على يقين من الإجابة »[٣]

وقال الإمام ابن خزيمة *رحمه الله : أخر نبينا محمد ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته ، لفضل شفقته ورحمته ورأفته بأمته فجزى الله نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل ماجزى رسولاً عمن أرسل إليهم ، وبعثه المقام المحمود الذي وعده ليشفع لأمته ، فإن ربنا عزوجل غير مخلف وعده ، ومنجز نبيه صلى الله عليه وسلم ماأخر من مسألته في الدنيا وقت شفاعته لأمته يوم القيامة [٤]

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٢٠٩بتصرف

(٢) البخاري ٧ / ١٤٥ ك الدعوات ، ب: الأول . مسلم ١ / ١٩٠ ك الإيمان ، ب : اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوته الشفاعة لأمته .

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١ / ٢٢٣نقلا عن الشفاعة والرد على المنكرين ص٢٦

*محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري الحافظ الحجة الفقيه الشافعي إمام الأئمة وصاحب التصانيف أبوبكر ولد عام ٢٢٣هـ من مؤلفاته : التوحيد - صحيح ابن خزيمة توفي سنة ٣١١هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦٥

(٤)كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة ٢ / ٦٢٢ تحقيق عبدالعزيز الشهوان ، دار الرشد .

وجاء في الصحيحين عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي »وذكر منها «وأعطيت الشفاعة »[١]

وجاء في بيان أنه ﷺ أول شافع وأول مشفَّع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة . . . وأول شافع وأول مشفَّع »[٢]

أما عن تعداد الشفعاء فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاوهو حديث طويل « . . . فيقول الله عزوجل شفعت الملائكة وشفع المؤمنون . . . »[٣]

ويروي لنا أبو سعيد الخدري حديثا عن إثبات الشفاعة للموحدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وإخراجهم من النار بسببها ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لايموتون فيها ولايحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أوقال بخطاياهم) فأماتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر* ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الجنة تكون في حميل السيل »[٤]

قال القاضي عياض *رحمه الله : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعًا بصريح الآيات وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وأجمع السلف

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٨٦ ، ك التيمم الباب الأول ، صحيح مسلم ١ / ٣٧١ ك المساجد ومواضع الصلاة ج٣ من شرح النووي .

(٢) صحيح مسلم ٤ / ١٧٨٢ ك الفضائل ، باب تفضيل النبي ﷺ، حديث رقم (٣)

(٣) صحيح البخاري : ٨ / ١٨٢ ك التوحيد باب قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ومسلم ١ / ١٧٠ ك الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية .

* أي جماعات في تفرقة واحدتها ضبارة ، وكل مجتمع : ضبارة ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣ / ٧١

(٤) صحيح مسلم ١ / ١٧٢ ك الأيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

*هوعياض بن موسى بن عياض السبتي أبو الفضل عالم بالمغرب إمام أهل الحديث في زمنه ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفي ٥٠٤هـ ، انظر وفيات الأعيان ١ / ٣٩٢ الأعلام ٥ / ٢٨٢

والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها »[١]

وعن جابر بن عبدالله ، أن رسول الله ﷺ تلاقول الله عزوجل : ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ فقال ﷺ : «إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »

«قال أبوعبدالله : هذا حديث صحيح .

قال الشيخ طاهر : هذا يوجب أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر يختص بها رسول الله ﷺ دون الملائكة ، إنمايشفعون في الصغائر أوفي استزادة الدرجات وقد يكون القصد منه بيان كون المشفوع له مرتضى بإيمانه وإن كانت له كبائر الذنوب دون الشرك . فيكون المراد بالآية نفي الشفاعة للكفار ولا أحدا من الملائكة المقربين ولامن الأنبياء المرسلين يجترئ على أن يشفع لأحد من الكفار ، فإن الله تعالى لم يأذن به ولم يرتض اعتقاده» [٣]

هذه نماذج من أحاديث الرسول ﷺ وسيأتي مزيد من الأدلة عند ذكر أنواع الشفاعة .

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ٣ / ٣٨ حديث (١٨٢ - ١٨٥)

(٢)سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٣)البعث والنشور للبيهقي ص٥٥ تحقيق عامر حيدر ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ، وانظر كذلك الاعتقاد للبيهقي ص٨٨

المطلب الثالث: الإجماع

أجمعت الأمة ممن يعتد بهم سلفًا وخلفًا على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ماورد في نصوص الكتاب والسنة .

وأثبتها الصحابة - رضي الله عنهم - الذين رووا أحاديث الشفاعة ، ثم من بعدهم التابعون - رحمهم الله - ثم أتباعهم إلى عصرنا الحاضر إلى ماشاء الله ، ولم ينكر الشفاعة أوبعض أنواعها إلا المبتدعة ، وقد حكى الإجماع على إثبات الشفاعة جملة من الأئمة والمصنفين وإليك نماذج مما في هذا الشأن .

قال أبوحاتم * وأبوزرعة * - رحمهما الله تعالى - : «أدركنا العلماء في جميع الأمصار . . . فكان من مذهبهم . . . الشفاعة حق »[1]

يقول ابن حزم - رحمه الله - في كتاب الدرة : «فصل »

«والشفاعة حق يخرج الله عزوجل بها من النار من فاضت سيئاته وكبائره على حسناته كما صح عن النبي ﷺ . . . »[2]

ومما ذكره أبوا لحسن الأشعري - رحمه الله - من الأصول التي أجمع عليها السلف قوله : «أجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه يخرج من النار قومًا من أمته بعدما صاروا حمما . . . »[3]

---

(١)عقيدة أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ، وأبي زرعة عبيد الله بن عبدالكريم الرازي ص١٩٩ جمع أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد .

* محمد بن إدريس بن المنذر بن داود ابن مهران الحنظلي أبوحاتم : حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم من كتبه طبقات التابعين - كتاب الزينة ولد سنة ١٩٥هـ ٨١٠م وتوفي في ٢٧٧هـ ٨٩٠م انظر الأعلام ٦ / ٢٥٠

*عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء الرازي أبوزرعة محدث حافظ من الري زار بغداد وحدث بها وجالس أحمد بن حنبل له مسند ولد وتوفي سنة ٢٠٠ - ٢٦٤هـ ٨١٥ - ٨٧٨م انظر معجم المؤلفين ٦ / ٢٣٩

(٢) الدرة فيما يجب اعتقاده ، ابن حزم ص٢٩٤ تحقيق أحمد بن ناصر الحمد ، سعيد بن عبدالرحمن القزقي .

(٣) رسالة الثغر ص٩ تحقيق محمد السيد الجليند .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- في الفتاوى : «وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين الأربعة، وغيرهم وأنكرها كثير من أهل البدع »(١)

ويقول في موضع آخر من كتبه : «قد ثبت بالسنة المستفيضة ، بل المتواترة ، واتفاق الأمة أن نبينا ﷺ الشافع المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به ، يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم ، وأنه يشفع لهم »(٢)

يقول الشيخ محمد السفاريني - رحمه الله - عند كلامه عن الشفاعة :

«شفاعة النبي ﷺ نوع من السمعيات ، وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي، وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة »(٣)

أما في معارج القبول يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله :

«فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة ، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه »(٤)

وماهذه النقول إلا غيض من فيض مما ذكره العلماء من أهل السنة والجماعة، في إثبات الشفاعة في كتبهم التي هي عمدة المسلمين في عقائدهم ، ونذكر هنا بعض أسماء الكتب التي لم ننقل منها :

- العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي #(٥)

---

(١) مجموع الفتاوى ١ / ١٤٨

(٢) الاستغاثة لابن تيمية ص٩، ١٠ دار المطبوعات

(٣) لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢٠٨

(٤)معارج القبول ٢ / ٢٥٦

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٩

* أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري الطحاوي المصري الحنفي فقيه مجتهد محدث حافظ مؤرخ من تصانيفه : أحكام القرآن ، التاريخ الكبير ، ولد سنة ٢٢٩هـ ٨٥٣م وتوفي سنة ٣٢١هـ ٩٣٣م أنظر معجم المؤلفين ٢ / ١٠٧

- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية [١]
- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة #[٢]
- كتاب التوحيد لابن خزيمة [٣]
- الشريعة للإمام أبوبكر الآجري #[٤]
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي #[٥]
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام أبوعثمان الصابوني #[٦]

---

(١)شرح العقيدة الواسطية - محمد خليل هراس ص١٤٨

(٢) شرح كتاب الفقه الأكبر ص١٣٨ لملا علي القاريء دار الكتب العلمية .

* النعمان بن ثابت الكوفي التميمي بالولاء أبوحنيفة فقيه مجتهد إمام الحنفية أصله من أبناء فارس نشأ في الكوفة ،من آثاره الفقه الأكبر المسند ،كانت ولادته ووفاته سنة (٨٠ - ١٥٠هـ) انظر معجم المؤلفين ١٣ / ١٠٤

(٣) ٢ / ٥٨٨

*محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري البغدادي أبوبكر فقيه محدث حافظ من تصانيفه : الشريعة ،تحريم النرد والشطرنج والملاهي ، آداب العلماء ، توفي سنة ٣٦٠هـ ٩٧٠م انظر معجم المؤلفين ٩ / ٢٤٣

(٤) ص٢٥٨

* أبوالقاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي فقيه محدث حافظ درس الفقه الشافعي من آثاره مذاهب أهل السنة ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة توفي ٤١٨هـ ١٠٢٧م انظر معجم المؤلفين ١٣ / ١٣٦

(٥) ٦ / ١٠٨٩

* العلامة القدوة المفسر المذكر أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد النيسابوري ثم الصابوني ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة ، جلس للوعظ وهو ابن تسع سنين له مصنفات في السنة واعتقاد السلف ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٠

(٦)ص٣٥٨ تحقيق ناصر الجديع ط الأولى ١٤١٥هـ دار العاصمة .

- الحجة في بيان المحجة ، وشرح عقيدة أهل السنة للإمام أبوالقاسم الأصبهاني #[١]

- كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدا لوهاب #[٢]

- مدارج السالكين لابن القيم [٣]

- شعب الإيمان للبيهقي [٤]

- البعث والنشور للبيهقي [٥]

هذه النقول من كتب الأئمة الأعلام فيها الكفاية للمؤمن طالب الحق على إثبات الشفاعة يوم القيامة وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة واعتقادهم ، فيجب إذن على كل مؤمن ، الإيمان بذلك واعتقاده ، ولايجوز التكذيب أوالتشكيك .

روى الإمام أبوالقاسم اللالكائي رحمه الله في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » قال : «قلت لأبي عبدالله - يعني الإمام أحمد رحمه الله - مايروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة ، فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر ، وكل مايروى عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن بها ونقر ، قلت له : وقوم يخرجون من النار ، فقال نعم ، إذا لم نقر

---

*أبوالقاسم محد بن إسماعيل بن محمد إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الطلحي الأصفهاني الشافعي . معجم المؤلفين ٩ / ٦١ ، لم تعرف سنة ولادته وتوفي سنة ٥٢٦هـ ١١٣٢م انظر طبقات الشافعية ص٦٢ شذرات الذهب ٤ / ١٠٦

(١) ١ / ٤٥٩ تحقيق محمد ربيع المدخلي ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م دار الراية .

* محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن أحمد بن مشرف التميمي النجدي فقيه أصولي مفسر محدث عالم بالتوحيد ولد بالعيينة من بلاد نجد ، من كتبه التوحيد ، كشف الشبهات ، الكبائر ولد سنة ١١١٥هـ ١٧٠٣م وتوفي ١٢٠٦هـ ١٧٩٢م انظر معجم المؤلفين ١٠ / ٢٩٩

(٢) ص٨١ ط الأولى ١٤١١هـ محمد التميمي ، دار السلام .

(٣) ١ / ٣٤٠ تحقيق حامد الفقي ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ م دارالكتاب العربي .

(٤) ١ / ٢٧٣ تحقيق محمد زغلول ط الأولى ١٤٤٠هـ ١٩٩٠م دارالكتب المصرية .

(٥) ص٥٥

بما جاء به الرسول ودفعناه ورددنا على الله أمره ، يقول الله عزوجل ﴿وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا﴾[١]

قلت : والشفاعة ؟ قال كم حديث يروى عن النبي ﷺ في الشفاعة والحوض ، فهؤلاء يكذبون بها ويتكلون ، وهو قول صنف من الخوارج وأن الله تعالى لايخرج من النار أحدا بعد إذ أدخله ، والحمد لله الذي عدل عنا ماابتلاهم به »[٢]

وقد عقد الإمام أبوبكر الآجري رحمه الله في كتابه «الشريعة» باب بعنوان : «باب وجوب الإيمان بالشفاعة »[٣]

وختاما ننقل كلاما للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في مناظرة له مع علماء مكة فيقول : «ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ حسب ماورد وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسب ماورد أيضًا ونسألها من المالك لها والإذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد ، بأن يقول أحدنا متضرعا إلى الله تعالى : اللهم شفع نبينا محمد ﷺ فينا يوم القيامة أو اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكته أونحو ذلك مما يطلب من الله لامنهم »[٤] يقول ابن القيم رحمه الله : «والشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده ، والشفاعة التي نفاها هي الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم ويفوز بها الموحدين »[٥] اللهم آمين فلاتحرمنا من شفاعة نبيك ﷺ .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٢٣

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦ / ١١١١

(٣) الشريعة للآجري ص٣٣٧

(٤) المنار ج٨مجلد ٢٤ ص٥٨٨

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ج٢ ص٢٧٠ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي .

المبحث الثاني
أقسام الشفاعة
المطلب الأول
الشفاعة الدنيوية

المراد بهذه الشفاعة هو : التوسط لدى أصحاب الجاه والسلطان ونحوهم من أصحاب الحقوق ، والسعي إليهم لقضاء حوائج الآخرين بإعطائهم حقوقهم وحاجاتهم أورد مظلمة عنهم ونحو ذلك .

أنواع الشفاعة :

أولاً : الشفاعة المحمودة الشرعية :

أ- قضاء حوائج الناس .

قال الإمام النووي * رحمه الله في بيان ذلك « تستحب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما ، أم إلى أحد من الناس ، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلم ، أوإسقاط تعزيز ، أو في تخليص عطاء لمحتاج أونحو ذلك »[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

«فإن المعين على البر والتقوى من أهل قول تعالى «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها »[٢] والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفيعا بعد أن كان وترا، ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد، كما ذكره القرطبي»[٣] فالشفاعة الحسنة إعانته على خير يحبه الله ورسوله ، مع نفع من يستحق النفع ودفع الضر عمن يستحق دفع الضر عنه »[٤]

وقد رغب الشارع جل وعلا في قضاء حوائج الناس ، وجعل الجنة ثمنا لمن احتسب ذلك عندالله تعالى لايبتغي من قضاء حاجة أخيه إلا وجه الله تعالى

---

*محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ولد سنة ٦٣١هـ وتوفي ٦٧٦م له مصنفات عدة منها شرحه لصحيح مسلم ، الأذكار ، الأربعين . انظر رسالة الإمام النووي

(١) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦ / ١٧٧ ، ١٧٨ بتصرف ،

(٢) سورة النساء : الآية ٨٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد ٣ ج٥ ص١٩٠ دار الكتب العلمية ببيروت .

(٤) كتاب الإيمان ص٧٨ تحقيق حسين يوسف الغزال ، ط الثالثة ١٩٨٦م دار إحياء العلوم .

والعفوعنه يوم القيامة فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «المسلم أخو المسلم ، لايظلمه ، ولايسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[١]

ويشترط في الشفاعة الدنيوية المشروعة :

- أن تكون في حق ، أولنيل حق ، أو لدفع مظلمة .
- ليس فيها مفسدة ، ولاتضييع حقوق آخرين .
- ليست معصية لله تعالى .
- أن تكون مصلحة للمشفوع له ، أولأهله وذويه ، أولمصلحة عامة .

وجاء في الحديث «إشفعوا تؤجروا ويقض الله على لسان نبيه ماأحب »[٢]

ب- دعاء الأخ لأخيه شفاعة :

وإذا ماطلب الأخ من أخيه أن يدعوا الله تعالى له ، فهذه أيضًا تعد من الشفاعات الدنيوية المحمودة والمشروعة .

وقيل : يعني بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين ، والسيئة الدعاء عليهم كما ذكره القرطبي في تفسير الآية السابقة .

ومن أنفع وأفضل الشفاعات أن يشفع بين اثنين في النكاح ، كما في قصة بريرة في البخاري عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : «ياعباس : ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثا ؟» فقال النبي ﷺ : «لوراجعته ، قالت : يارسول الله ، تأمرني ؟ قال : «إنما أنا أشفع » قالت : لاحاجة لي فيه »[٣]

---

(١) أخرجه مسلم : في البر والصلة والآداب «باب تحريم الظلم »حديث ٥٨ ,

(٢) أخرجه مسلم : في البر والصلة والآداب «باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام » حديث ١٤٥

(٣) رواه البخاري : ج٩ص٤٠٨

ثانياً: الشفاعة الدنيوية المذمومة وتنقسم إلى قسمين :

١- شفاعة اعتقادية

كأن تتخذ الأصنام والأوثان والشركاء شفعاء إلى الله تعالى أو أن يستشفع بالأموات إلى الله تعالى ، فلقد مقت الشارع جل وعلا هذا السبيل بقوله تعالى : ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئًا ولايعقلون ، قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾[١]

ولايجوز شرعًا أن يستشفع بمخلوق ميت على الخالق وإليه ؛ لأن الله تعالى لايخفى عليه شيء في الأرض ولافي السماء وقد قال تعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾[٢]

٢- شفاعة السلوك والعلم [٣]

يقول الإمام النووي في الأذكار : «اعلم أنه تستحب الشفاعة إلى ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها مالم تكن شفاعة في حد ، أوشفاعة في أمر لايجوز تركه ، كالشفاعة إلى ناظر على طفل أومجنون أوواقف ، أونحو ذلك في ترك بعض الحقوق في ولايته فهذه كلها شفاعة محرمة تحرم على الشافع ، ويحرم على المشفوع إليه قبولها ، ويحرم على غيرهما السعي فيها إذا علمها »[٤]

وقد دلت النصوص الشرعية على ماتقدم فقد قال تعالى : ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴾[٥] قال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية ؛ أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته . . . قال مجاهد بن جبير : «نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض . . . »[٦]

---

(١)سورة الزمر : الآية ٤٣، ٤٤

(٢) سورة الأحقاف : الآية ٥

(٣) انظر الشفاعة ، عبدالرحمن بن يوسف بن حسين ص٨٢ بتصرف ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م مكتبة مدبولي .

(٤) الأذكار للنووي ص٢٨٠ دار الفكر

(٥) سورة النساء : الآية ٨٥

(٦) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٥٣٢

ومن الأدلة من السنة ماجاء في الصحيحين : «عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله ﷺ ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتشفع في حد من حـــدود الله ؟ » ، ثم قام فخطب فقال : «ياأيها الناس إنما ضـــل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لوأن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[1]

تلك نبذة سريعة لتوضيح الشفاعة المتعلقة بأمور الدنيا تتميما للفائدة ، وإلا فالمقصود الكلام عن الشفاعة المتعلقة بأمور الآخرة والله الموفق .

(١) صحيح البخاري : ٧/ ١٦ ك الحدود «باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع للسلطان »

المطلب الثاني
الشفاعة في الآخرة

تنقسم الشفاعة في الآخرة إلى :

-شفاعة ثابتة مقبولة بإذن الله تعالى .

-شفاعة منفية مردودة بحكم الله تعالى .

أولاً : الشفاعة الصحيحة هي ماجمعت شروط الشفاعة الثلاثة :

الأول : رضى الله عن الشافع .

الثاني : رضاه عن المشفوع له ، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم .

الثالث : إذنه في الشفاعة .

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾[١]

ثانيا : الشفاعة الباطلة : هي مايتعلق به المشركون في أصنامهم حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عندالله كما قال تعالى :

﴿ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله ﴾[٢]

لكن هذه الشفاعة بالله لاتنفع ، كما قال تعالى : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[٣][٤]

ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى : ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئًا ولايعقلون ﴾[٥]

فهذه الآية تضمنت الإنكار لاتخاذ المشركين الشفعاء من دون الله - سبحانه-

---

(١) سورة النجم : الآية ٢٦

(٢) سورة يونس : الآية ١٨

(٣) سورة المدثر : الآية ٤٨

(٤) شرح العقيدة الواسطية - ابن عثيمين مجلد ٢ ص١٦٨

(٥) سورة الزمر : الآية ٤٣

حيث زعموا أنها تشفع لهم عند الله من دون أن يأذن،أويأمرهم بذلك،والحال أنه لايمكن أن يشفع أحد عنده - تعالى - إلا بإذنه،وأن يرضى عن المشفوع له فهذان الشرطان الثقيلان لابد منهما في الشفاعة المقبولة عنده جل وعلا،وهذان الشرطان مفقودان فيمن زعمهم المشركون أنهم شفعاؤهم عندالله - تعالى-

أما الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض وإليه ترجعون ﴾[١]

فهذه الآية أمر من الله - جل وعلا - لنبيه محمدﷺ- بأن يعلن لجميع العالمين بأن الشفاعة كلها لله فهو المالك لها وليس لمن زعمهم المشركون منها شيء »[٢]

قال ابن القيم - رحمه الله - حول الآية السابقة :

«فأخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده،وأن أحدًا لايشفع عنده إلا بإذنه،فإنه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض »[٣]

والشفاعة التي أثبتها المشركون لأصنامهم صرح القرآن ببطلانها ونفيها في مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[٤]

قال في تيسير العزيز الحميد : في هذه الآية رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام المصورة على صور الصالحين وغيرهم وظنوا أنهم يشفعون عنده بغير إذنه فأنكر عليهم ذلك [٥] . هذا ماتيسر نقله وغيره كثير مما دون في كتب التفسير حول هذا الموضوع .

---

(١)سورة الزمر : الآية ٤٤

(٢) مباحث في العقيدة في سورة الزمر ، ناصر بن علي الشيخ ص٢٩٤ مكتبة الرشد

(٣) إغاثة اللهفان ١ / ٢٢٢ ، ٢٣٨ بتصرف ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، النور الإسلامية للطباعة والنشر

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٥

(٥) ص٢٤٠

المبحث الثالث
شـــروط الشـــفـاعة

ذكر العلماء شروطا للشفاعة عدها بعضهم شرطين وجعلها البعض الآخر ثلاثة إلا أنها ترجع إلى الأصلين الأولين بل أوصلها البعض إلى أربعة شروط وماهي إلا تفريعات للشرطين الأولين وإليك التفصيل :

ذكر العلماء أن من شروط الشفاعة المقبولة يوم القيامة :

١ - «إذن الله للشافع أن يشفع لأن الشفاعة ملكه سبحانه ﴿قل لله الشفاعة جميعًا﴾[١] .

٢- رضاه عن المشفوع فيه ، بأن يكون من أهل التوحيد لأن المشرك لاتنفعه الشفاعة »[٢]

أما من عدها ثلاثة شروط فقال :

«الأول : رضى الله عن الشافع

الثاني : رضاه عن المشفوع له ، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم .

الثالث : إذنه في الشفاعة .

والاذن لايكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له »[٣]

أما من عدها أربعة فهو شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول :

الشفاعة لها شروط منها :

-«الإذن من الله

-أن يقول صوابا

- الشفاعة لمن ارتضى من الشافع والمشفوع له »[٤]

---

(١) سورة الزمر : الآية ٤٤

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، الشيخ صالح الفوزان ج١ص٢٦٨ طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠هـ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ ابن عثيمين ج٢ص١٦٨

(٤) انظر دقائق التفسير ج٢من ص٢٧٩ إلى ٢٩١ بتصرف .

المطلب الأول
الإذن للشافع

الله تعالى وتر لايشفعه أحد ، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فالأمر كله إليه وحده ، فلاشريك له بوجه ، ولهذا ذكر سبحانه نفي ذلك في آية الكرسي التي فيها تقرير التوحيد ، فقال : ﴿له مافي السموات ومافي الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[١]

وسيد الشفعاء ﷺ يوم القيامة ، إذا سجد وحمد ربه يقال له : ارفع رأسك قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع ، فيحد له حدًا فيدخلهم الجنة »[٢]

فيحد لرسول الله ﷺ حدًا يشفع فيهم أي أن يأذن له في الشفاعة ، فيشفع فيمن شاء أن يشفع فيه ، ولايشفع في غير من أذن له ورضيه .

وفي قوله : ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[٣] أي بأمره

هذااستفهام إنكار . والمعنى لايشفع عنده أحد إلا بأمره وإرادته[٤]

ومن الأدلة على الإذن للشافع :

قوله تعالى : ﴿ مامن شفيع إلا من بعد إذنه ﴾[٥]

وقوله تعالى في سورة السجدة ﴿مالكم من دونه من ولي ولاشفيع أفلا تتذكرون ﴾[٦]

فلا شفاعة إلا بإذنه سبحانه يوم القيامة فهي ملكه وحده كما قال تعالى :

﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾[٧]

ثم إن الإذن يتعلق بأطراف ثلاثة :

-الشافع -المشفوع فيه -وقت الشفاعة

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥

(٢) البخاري : ك التفسير سورة الإسراء ، ومسلم : ك الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(٣) سورة البقرة : الأية ٢٥٥

(٤) الدين الخالص ج٢ ص٢١ بتصرف دار التراث

(٥) سورة يونس : الآية ٣

(٦) سورة السجدة : الآية ٤

(٧) سورة الزمر : ٤٣

يقول تعالى نافيًا حصول النفع من معبودات المشركين ، ومن ذلك الشفاعة لأنها لاتحصل إلابإذن الله ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾[١]

قال ابن القيم رحمه الله مبينا مدلول هذه الآية :

«قد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعا قطعا يعلم من تأمله وعرفه : أن من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعًا فهو :

﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾[٢]

فقال تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ﴾ فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع ، والنفع لايكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما ملك لما يريده عابده منه ، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك ، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا ، فإن لم يكن معينًا ولاظهير كان شفيعا عنده .

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبًا ، متنقلاً من الأعلى إلى مادونه فنفى الملك والشركة والمظاهر والشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعة لانصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه » .

ويقول الله تعالى أيضًا منكرًا شفاعة الأصنام التي تعبد من دون الله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لايعلم في السموات ولافي الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾[٣]

وأما قوله تعالى : ﴿ ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾[٤]

قال شيخ الإسلام رحمه الله عند الآية : فلايملك أحد من المعبودين من دون

---

(١) سورة سبأ : الآية ٢٢ ، ٢٣

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤١

(٣) سورة يونس : الآية ١٨

(٤) سورة الزخرف : الآية ٨٦

الله الشفاعة ألبتة ، ثم استثنى ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ فهذا استثناء منقطع ، والمنقطع يكون في المعنى المشترك بين المذكورين ، فلما نفي ملكهم الشفاعة بقيت الشفاعة بلا مالك لها ، كأنه قد قيل :

فإذا لم يملكوها ، هل يشفعون في أحد ؟ فقال : نعم ﴿من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ .

وهذا يتناول الشافع والمشفوع له ، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ، فالملائكة والأنبياء والصالحون - وإن كانوا لايملكون الشفاعة - لكن إذا أذن الرب لهم شفعوا ، وهم لايؤذن لهم إلا في الشفاعة للمؤمنين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله ، فيشهدون بالحق وهم يعلمون »[1]

مسائله : الأذن بالشفاعة نوعان

فصل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه * هذه المسائلة ورد على القدرية المنكرين للإذن القدري فيقول رحمه الله :

الإذن نوعان :

إذن بمعنى المشيئة والخلق ، وإذن بمعنى الإباحة والإجازة .

فمن الأول : قوله في السحر : ﴿وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾[2] فهذا بمشيئته وقدرته وإلا فهو لم يبح السحر ، والقدرية تنكر هذا «الإذن» وحقيقة قولهم : إن السحر يضر بدون إذن الله .

ومن الثاني : قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعيا إلى الله بإذنه﴾[3] فإن هذا يتضمن إباحته لذلك ، وإجازته له ، ورفع الجناح والحرج عن فاعله ، مع كونه بمشيئته وقضائه .

فقوله : ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[4] هو هذا الإذن الكائن بقدره

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج١٤ ص٤٠٩

* دقائق التفسير ج٢ص٢٨٢ - الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام ابن تيميةص١٤٤ تحقيق محمد الخشت دار الكتاب العربي ، قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣٠ تحقيق سليمان الغصن دار العاصمة

(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٢

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤٥ ، ٤٦

(٤) سورةالبقرة : الآية ٢٥٥

وشرعه ولم يرد بمجرد المشيئة والقدرة .

فـــمن جعل العباد يفعلون أفعالهم بدون أن يكون الله خالقًا لها ، وقادرًا عليها ، ومشيئا لها فعـــنده : كل شافع وداع قد فعل مافعل بدون خلق الله وقدرته ، وإن كان قد أباح الشفاعة .

والمشركون المقرون بالقدر ، يقولون : إن الشفعاء يشفعون بالإذن القدري وإن لم يأذن لهم إباحته وجوازًا . ومن كان مكذبًا بالقدر مثل كثير من - النصارى - يقولون : إن شفاعة الشفعاء بغير إذن ، لاقدري ولاشرعي . والقدرية من المسلمين يقولون : يشفعون بغير إذن قدري .

ومن سأل الله بغير إذنه الشرعي : فقد شفع عنده بغير إذن قدري ولاشرعي .

فإن قيل : فمن الشفعاء من يشفع بدون إذن الله الشرعي ، وإن كان خالقا لفعله . كشفاعة نوح لابنه ، وشفاعة إبراهيم لأبيه ، وشفاعة النبي ﷺ لعبدالله بن أبي سلول ، حين صلى عليه بعد موته .

وقوله : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ قد قلتم : إنه يعم النوعين ، فإنه لو أراد الإذن القدري : لكان كل شفاعة داخلة في ذلك ، كما يدخل في ذلك كل كفر وسحر ، ولم يكن فرق بين مايكون بإذنه ، ومالا يكون بإذنه ، ولو أراد الإذن الشرعي فقط : لزم قول القدرية ، وهؤلاء قد شفعوا بغير إذن شرعي ؟ .

فالشفاعة مقصودها قبول المشفوع إليه وهي الشفاعة التامة ، فهذه هي التي لاتكون إلا بإذنه ، وأما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته : كانت كعدمها وكان على صاحبها التوبة والاستغفار منها كما قال نوح : ﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ [1] أ . هـ

---

(١) سورة هود : الآية ٤٧

المطلب الثاني
الرضا عن المشفوع له

فهذا الشرط مثل الأول في لزومه فإذا كان الشافع لايشفع حتى يأذن الله تعالى له فإنه أيضًا لايشفع حتى يرضى الله عنه ويرضى أيضًا عن المشفوع من باب أولى فهذا يدخل تحت الأول فإن الاذن في الشفاعة ليس مطلقًا للشفعاء بل يقول تعالى : ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى﴾[١]

ويقول أيضًا : ﴿وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا ، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾[٢]

وقد وضح ﷺ هذه القضية في حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين فقال : «فأستأذن على ربي ، فإذا رأيته وقعت له ساجدًا ، فيدعني ماشاء الله ، ثم يقول لي : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ، ثم أشفع فيحد لي حدًا ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود . . . »[٣]

ثم إنه لايجوز الاتكال على النسب والأقارب في نيل الشفاعة بل من أراد الشفاعة فعليه التأهل لها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله تعالى عنه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : حين أنزل عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٤] «يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ، لاأغني عنكم من الله شيئًا ، يابني عبدالمطلب لاأغني عنكم من الله شيئًا ، ياعباس بن عبدالمطلب لاأغني عنك من الله شيئًا ، ياصفية عمة رسول الله لاأغني عنك من الله شيئًا ، يافاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت ، لاأغني عنك من الله شيئًا»[٥]

فأي النسب ينفع بعد هذا التصريح منه ﷺ .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٨

(٢) سورة النجم : الآية ٢٦

(٣) البخاري : ٧/ ٢٠٣ ك الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم : ك الإيمان ١ / ١٨٠

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢١٤

(٥) البخاري : ٣/ ١٩٠ ك الوصايا ، باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب ، ومسلم : ١ / ١٩٢ ك الإيمان باب قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾

ثم إنه سبحانه لايرضى إلا عن أهل التوحيد وقد توعد الكافرين بالخلود في النار، ومما يدل على أن الشفاعة ليست من نصيب المشركين والكفار حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : «لقد ظننت ياأباهريرة أن لايسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لاإله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه »(١)

ومما يدل أيضاً حديث «لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لايشرك بالله شيئاً »(٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

«وعلى هذا : فيقصد أن الملائكة وغيرهم لايملكون الشفاعة . فليس توليهم إياهم واستشفاعهم بهم بالذي يوجب أن يشفعوا لكم ، فإن أحداً ممن يدعى من دون الله لايملك الشفاعة ، ولكن «من شهد بالحق وهم يعلمون فإن الله يشفع فيه

فالذي تنال به الشفاعة : هي الشهادة الحق ، وهي شهادة أن لاإله إلا الله ، لاتنال بتولي غيرالله ، لاالملائكة ولاالأنبياء ولاالصالحين .

فمن وال أحداً من هؤلاء ودعاه ، وحج إلى قبره ، ونذر له وحلف وقرب القرابين ليشفع له ، لم يغن ذلك عنه من الله شيئاً ، وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره ، فإن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد ، وإخلاص القلب والدين له ومن تولى أحد من دون الله فهو مشرك . فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين - ليشفعوا لهم - كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بربهم ، الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا شفاعتهم ، وعوقبوا بنقيض قصدهم ؛ لأنهم أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً »(٣)

---

(١) البخاري : ١ / ٣٣ ك العلم باب الحرص على الحديث

(٢) مسلم : ١ / ١٨٩

(٣) مجموع الفتاوى : ١٤ / ٤١٢

قال تعالى : ﴿قل ادعوالذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذا ب ربك كان محذوراً ﴾[١]

وقال تعالى أيضًا : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [٢]

وقال على لسان المشركين ﴿فما لنا من شافعين ولاصديق حميم ﴾[٣]

شبهة :

قد يعترض على ماسبق من تقرير عدم انتفاع الكفار بالشفاعة بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد شفع لعمه أبي طالب مع كونه كافرًا .

وقد أجاب العلماء بعدة أجوبة منها مايأتي :

١ - أن الشفاعة في أبي طالب شفاعة تخفيف فقط وليست شفاعة إخراج من النار ، كما يحصل لعصاة الموحدين ، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

وهذا الجواب قوي .

٢ - أن عدم انتفاع الكفار بالشفاعة عام في حق كل كافر ، ولكن قد خص منه أبوطالب ولهذا تعد هذه الشفاعة من خصائص النبي ﷺ .

٣- أن أباطالب المخفف عنه لما لم يجد أثر التخفيف فكأنه لم ينتفع بذلك . ويؤيد هذا ماثبت أنه مايرى أن أحدًا أشد عذابًا منه مع أنه أهونهم عذابًا (٤)

وهنا **شبهة** أخرى :

وهي أن النبي ﷺ في الشفاعة العظمى يشفع للكافر والمؤمن والجواب :

أن شفاعة الرسول ﷺ يومئذ لن تنجي من النار بل هي لفصل القضاء بين الناس ، وهذا شامل للمؤمنين والكفار أ . هـ[٥]

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٦ ، ٥٧

(٢) سورة المدثر : الآية ٤٨

(٣) سورة الشعراء : الآية ١٠٠ ، ١٠١

(٤) انظر صحيح مسلم : ك الإيمان باب أهون أهل النار عذابًا .

(٥) الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين ص٨٣ - ٨٤ بتصرف .

المبحث الرابع
أنـــواع الـــشفاعة

«اختلف العلماء في شفاعته ﷺ يوم القيامةعلى أقوال عدة فذكر النقاش* في تفسيره أن للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات : الشفاعة العامة ، وشفاعته في السبق إلى الجنة ، وشفاعته في أهل الكبائر .

وقال ابن عطية * في تفسيره : والمشهور أنهما شفاعتان فقط ، العامة وشفاعته في إخراج المذنبين ، وهذه الشفاعة الثانية لايتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء »[١]

قال القاضي عياض : شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات ، وكذا الإمام النووي في شرح مسلم جعلها خمس[٢]

الأولى : العامة

الثانية : إدخال قوم الجنة بغير حساب

الثالثة : في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم ، فيشفعه فيهم نبينا ﷺ .

الرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا ، وغيره من الأنبياء والملائكة ، وإخوانهم من المؤمنين .

الخامسة:في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها .

وزاد القرطبي*رحـــمه الله وشفاعة سادسة لعمه أبي طالب في التخـــفيف عنه[٣]

---

* هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبوبكرالنقاش عالم بالقرآن وتفسيره أصله من الموصل منشأه ببغداد وكان في بدء حياته يزاول نقش السقوف والحيطان ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي ٣٥١هـ انظر وفيات الأعيان ١ / ٤٨٩

*هو عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي من محارب قيس الغرناطي أبو محمد مفسر ، فقيه ، أندلسي من أهل غرناطة ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي في ٥٠٢هـ انظر كشف الظنون ٢ / ١٦١٣

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٣٠٤

(٢) ك الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين ٣ / ٣٨

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص٢٨٦ دار الريان للتراث

وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية [١] أما شارح الطحاوية فقد عدها ثمانية أنواع وجعل الشفاعة العظمى هي الخاصة بالنبي ﷺ [٢]

(١)شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس ص ١٤٨

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٨

المطلب الأول
الشفاعة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره

قال الناظم :

كذا له الشفاعة العظمى كما ... قد خصه الله بها تكرما
من بعد إذن الله لاكما يرى ... كل قبوري على الله افترى
وثانيا يشفع في استفتاح ... دار النعيم لأولي الفلاح
وهذا وهاتان الشفاعتان ... قد خصتا به بلا نكران
وثالثاً يشفع في أقوام ... ماتوا على دين الهدى الإسلام
وأوبقتهم كثرة الآثام ... فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان ... بفضل رب العرش ذي الإحسان [1]

أولاً : الشفاعة العظمى : وهذه الشفاعة من أعظم الشفاعات وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[2]

وقد ذكر الإمام الطبري رحمه الله أقوال العلماء في ذلك ، في تفسيره الكبير[3]

بل ذكر الله عزوجل له هذا المقام ، ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان ، وقال البخاري رحمه الله تعالى : (باب قوله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا كل أمة تتبع نبيها يقولون : يافلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود)[4]

---

(١)معارج القبول ج٢ ص٨٨٦ ومابعدها .

(٢)سورة الإسراء : الآية ٧٩

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن المجلد الثامن ج١٥ ص٩٦ وكذلك التوحيد لابن خزيمة ٢ / ٧٢٤ ، تفسير القرطبي ١٠ / ٣٠٩

(٤)البخاري : ك التفسير ، باب قوله تعالى﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ﴾ ٨ / ٣٩٩ وفي الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ١١ / ٤٢٧

ومما يستدل بالشفاعة الأولى وهي الخاصة بالنبي محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بين خلقه ويريحهم ربهم من مقامهم ذلك ، وماهم فيه من شدة وكرب ، فيتدافع الشفاعة بعد آدم أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع عند ربه لأهل الموقف .

وهذه الشفاعة تسمى الشفاعة العظمى ؛ لأنها عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتي رسول الله ﷺ يوما بلحم ، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس* منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مما ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ماأنتم فيه ؟ ألا ترون ماقد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : ياآدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحًا فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض ، وسماك الله عبدًا شكورًا اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألاترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ ، فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ،

---

*النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، النهاية لابن الأثير ٥ / ١٣٦

وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى ﷺ فيقولون : ياموسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى صلى الله عليه وسلم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه وسلم ، فيأتون عيسى فيقولون: ياعيسى أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى صلى الله عليه وسلم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبًا - نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتوني فيقولون : يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر، اشفع لنا إلى ربك ، ألاترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال يامحمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقال : يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفسي بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أوكما بين مكة وبصرى »[1]

وجه الاستدلال بهذا الحديث :

ماذكره الإمام ابن خزيمة رحمه الله بقوله : «هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق ، فعندها يأمر الله

---

(١) صحيح البخاري : ٥ / ٢٢٥ كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل ، باب «ذرية من حملنا مع نوح »، صحيح مسلم : ١ / ١٨٤ كتاب الإيمان ، واللفظ لمسلم .

عزوجل أن يدخل من لاحساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن »[١]

أما الإمام القرطبي في التذكرة فقد وجه الاستدلال بهذا الحديث توجيه جيد حيث قال : وقوله «فيقال : يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أمر بإدخال من لاحساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم »[٢]

وقد نبه شارح الطحاوية رحمه الله إلى أمر هام هنا وهو أن هذا الحديث لم يرد فيه أمر الشفاعة العظمى التي طلبت في أول الحديث يقول رحمه الله موضحًا هذه القضية : «والعجب كل العجب ، من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه ، لايذكرون أمر الشفاعة الأولى ، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء ، كما ورد هذا في حديث الصور ، فإنه المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث فإن الناس يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه .

فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار ثم يقول رحمه الله مبينًا السبب في هذا الاقتصار على هذا المقام :

«وكأن مقصود السلف هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها ، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم ، فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور .

ومضمون حديث الصور :

أنهم يأتون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ، ثم يأتون رسول الله محمدًا ﷺ ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له : الفحص ، فيقول: ماشأنك ؟ وهو أعلم ، قال رسول الله ﷺ ، فأقول : يارب ، وعدتني الشفاعة ، فشفعني في خلقك ، فاقض بينهم فيقول سبحانه وتعالى : شفعتك ،

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ٢ / ٥٩٦

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٤٥

أنا آتيكم فأقضي بينهم ، قال : فأرجع فأقف مع الناس ، ثم ذكر انشقاق السموات ، وتنزل الملائكة في الغمام ، ثم يجيء الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء ، والكروبيون من الملائكة المقربون يسبحون بأنواع التسبيح قال : فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه ، ثم يقول : إني أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع أقوالكم وأرى أعمالكم فأنصتوا إلي ، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، إلى أن قال : فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا : من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم إنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا ، فيأتون آدم ، فيطلبون ذلك إليه ، وذكر نوحا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ثم محمد ﷺ . . . إلى أن قال : قال رسول الله ﷺ : «فآتي الجنة فآخذ بحلقة الباب ، ثم استفتح فيفتح لي ، فأحيا ويرحب بي ، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي عزوجل خررت له ساجدا ، فيأذن لي من حمده وتمجيده بشيء ماأذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول الله لي : ارفع يامحمد ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ، فإذا رفعت رأسي قال الله وهو أعلم : ماشأنك ؟ فأقول : يارب ، وعدتني الشفاعة ، فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة ، فيقول الله عزوجل : قد شفعتك ، وأذنت لهم في دخول الجنة »[1]

وقد تكلم ابن حجر رحمه الله عند شرحه لحديث أنس بن مالك عن هذا الإشكال ووصفه بأنه إشكال قوي وعن بعض من أقوال العلماء في ذلك فقال :

« . . . كأن راو هذا الحديث ركب شيئًا على غير أصله ، وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف ، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار ، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣١ والحديث ضعيف كما ذكر ذلك الألباني في تخريجه للحديث في تحقيق الطحاوية فقال : ضعيف أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢ / ٣٣٠ - ٣٣١) ٢٤ / ٣٠ ، ١٨٦ ، ١٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعا . وإسناده ضعيف لأنه من طريق إسماعيل بن رافع المدني عن يزيد ابن أبي زياد وكلاهما ضعيف بسندهما عن رجل من الأنصار وهو مجهول لم يسم ، وقول الحافظ ابن كثير في تفسيره (١ / ٢٤٨ ، ٤ / ٦٣) : إنه حديث مشهور الخ لايستلزم صحته .

الإخراج ، وقد أجاب عنه عياض وتبعه النووي وغيره بأنه قد وقع في حديث حذيفة* المقرون بحديث أبي هريرة بعد قوله «فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له »أي في الشفاعة وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يمينا وشمالا فيمرا بكم كالبرق . . » الحديث

قال القاضي عياض : فبهذا يتصل الكلام ، لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها هي الإراحة من كرب الموقف ثم تجيء الشفاعة في الإخراج ، وقد وقع في حديث أبي هريرة *الأمر باتباع كل أمة ماكانت تعبد ، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين ، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الأمر باتباع كل أمة ماكانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف قال : وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها .

قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - بعد ذلك : فكأن بعض الرواة حفظ مالم يحفظ الآخر »[1]

وبهذا يزول الإشكال .

ثانيا : اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة :

وهذه الشفاعة الثانية قد جاء في الأحاديث أنها أيضاً من المقام المحمود .

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا قتيبة بن سعيد وإسحاق بن إبراهيم قال . . . عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً »[2]

---

* عند مسلم ١ / ١٨٧

* في البخاري ك الرقاق باب الصراط جسر جهنم ١١ / ٤٤٤

(١) فتح الباري ١١ / ٤٣٨ ك الرقاق باب صفة الجنة والنار .

انظر في أنواع الشفاعة «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين »للألوسي البغدادي ص٥٤٢ مطبعة المدني ، القصد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين حسين بن غنام ص٢٠١ تحقيق إبراهيم يوسف ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

(٢)رواه مسلم في صحيحه ١ / ١٨٨ حديث ١٩٦ في ك الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس يشفع في الجنة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستشفع ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد فيقول : بك أمرت لاأفتح لأحد قبلك »(١)

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة ، لم يصدق نبي من الأنبياء ماصدقت ، وإن من الأنبياء نبيًا مايصدقه من أمته إلا رجل واحد »(٢)

وأيضًا حديث : «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة »(٣)

فهذه الأحاديث الصحيحة ونحوها تدل على أن النبي ﷺأول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها .

وقد نص على خصوصيته ﷺ بهاتين الشفاعتين شيخ الإسلام فقال عند تعداد أنواع الشفاعة : «وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ »(٤)

والشيخ حافظ الحكمي في معارج القبول حيث يقول : وهاتان الشفاعتان المذكورتان اللتان هماالمقام المحمود قد خصتا به ﷺ وليستا لأحد غيره بلانكران بين أهل السنة والجماعة »(٥)

وكما أن نبينا ﷺ أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له ، فإن أول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ ، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة . . »(٦) وهذا من فضل الله علينا ومنه وكرمه أن شرف هذه الأمة أمة محمدﷺ سيد الأولين والآخرين .

---

(١) المرجع السابق

(٢)نفس المرجع السابق

(٣) نفس المرجع السابق

(٤) مجموع الفتاوى ٣ / ١٤٧

(٥) معارج القبول ج٢ص٨٩٦

(٦)رواه مسلم في صحيحه ٢ / ٥٨٥ ك الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

ثالثا : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه :

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمه أبي طالب ويستدل لهذا النوع بحديث في الصحيحين عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه قال : يارسول الله هل نفعت أباطالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : نعم ، هو في ضحضاح * من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار »[١]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبوطالب فقال : «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار ، يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه »[٢]

وينبغي أن نعلم هنا أن هذه الشفاعة التي نفعت أباطالب مع كونه كافرا شفاعة تخفيف فقط لاشفاعة إخراج من النار وإن كان أهون أهل النار عذابًا كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : أهونأهل النار عذابًا أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه »[٣]

نعوذ بالله من الكفر ومن الإصرار عليه .

٤- الشفاعةفي رفع درجات أقوام من أهل الجنة :

وهذه الشفاعة قد وافقت عليها المعتزلة ولم تنكرها .

قال القاضي عياض : «وهذه الشفاعة لاتنكرها المعتزلة ولاتنكرشفاعة المحشرالأول »[٤]

---

*قال ابن الأثير : الضحضاح في الأصل مازقً من الماء على وجه الأرض مايبلغ الكعبين فاستعاره للنار (النهاية ٣ / ٧٥) .

(١) رواه البخاري في صحيحه ك مناقب الأنصار ،باب قصة أبي طالب ، ومسلم : ك الإيمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب .

(٢) المرجعان السابقان

(٣) رواه مسلم في صحيحه ك الإيمان ، باب أهون أهل النار عذابا .

(٤) التذكرة ص٢٤٩

ودليل هذا النوع مارواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وفيه أن رسول الله ﷺ بعث عمه أبا عامر رضي الله عنه على جيش إلى أوطاس ، فرمي أبوعامر بسهم في ركبته فقال لأبي موسى : ياابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له : يقول لك أبو عامر : استغفر لي ، قال : واستعملني أبو عامر على الناس ، ومكث يسيرا ثم إنه مات فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه فأخبرت بخبرنا وخبر أبي عامر ، وقلت له : قال قل له : يستغفر لي ، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ، ثم رفع يديه ثم قال : «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر» حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال : «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أومن الناس » فقلت : ولي يارسول الله فاستغفر فقال النبي ﷺ : «اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما »[1]

ويمكن أيضا أن يستدل بحديث أم سلمة رضي الله عنها كما عند الإمام مسلم أن النبي ﷺ دعا لأبي سلمة لما توفي فقال : «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين # ، واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ، ونور له فيه »[2]

وهذه الشفاعة قد اختلف هل هي خاصة بالنبي ﷺ أم عامة ، يقول الشيخ السفاريني : « إن الإمام النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم في كتاب الانتقاد له باختصاصها به . قال في الأنموذج : جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها -يقصد شفاعته في قوم استوجبوا النار فلا يدخلونها - وبه وردت الأحاديث في التي قبلها وصرح به القاضي عياض وابن دحية »[3]

---

(١) صحيح البخاري ك المغازي باب غزوة أوطاس ٥ / ١٠١ ، مسلم ك فضائل الصحابة با ب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين ٤ / ١٩٤٣

* أي الباقين من ذريته ، النهاية لابن الأثير ٣ / ٣٣٧

(٢) صحيح مسلم ك الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر .

(٣) لوامع الأنوار : ٢ / ٢١١

وقيل : إنها ليست خاصة به ولكنه هو المقدم فيها ذكره الشيخ الحكمي[١]

خامسا : الشفاعة في دخول الجنة بلاحساب :

«وهذه الشفاعة خاصة به أيضا ﷺ كما قال القاضي عياض والإمام النووي وابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فإن الاختصاص إنما يثبت بالدليل عليه »[٢]

ويستدل لهذه النوع بحديث السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب :

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «عرضت علي الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير قلت : ياجبريل هؤلاء أمتي !قال : لاولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لاحساب عليهم ولاعذاب ، قلت : ولم ؟ قال : كانوا لايكتوون ولايسترقون ، ولايتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام إليه عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : «اللهم اجعله منهم » ثم قام إليه رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « سبقك بها عكاشة »[٣]

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يدخل الجنة زمرة #هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر فقام عكاشة . . »الحديث [٤]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال نبي الله ﷺ : «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، قالوا : ومن هم يارسول الله ؟ قال هم : الذين لايكتوون . . . » الحديث[٥]

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة . ص١١٦

(٢) لوامع الأنوار ٢ / ٢١١

(٣) صحيح البخاري ك الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ٧ / ١٩٩ ، ومسلم ك الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب ١ / ١٩٩

(٤) المرجع السابق

(٥)مسلم : ١ / ١٩٨

سادسًا : الشفاعة في أهل الكبائر :

المراد بأهل الكبائر : العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم ، فيشفع فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره لإخراجهم من النار بعد دخولها

فهذه الشفاعة يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج وفي عصر التابعين المعتزلة »[1]

ومن الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة ماجاء في الصحيحين من حديث معبد بن هلال العنزي قال : اجتمعنا ناس من البصرة ، فذهبنا إلى أنس بن مالك ، وذهبنا معنا بثابت إليه يسأله لناعن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره .

فوافقناه يصلي الضحى ، فاستأذنا ، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه - فقلنا لثابت : لاتسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال : ياأباحمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال : حدثنا محمد ﷺ قال : «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ، فيقول : لست لها ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله ، فيأتون موسى ، فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى ، فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ ، فيأتوني ، فأقول : أنا لها ، فأستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، ويلهمني محامد أحمده بها لاتحضرني الآن ، فأحمده بتلك المحامد ، وأخرله ساجدًا ، فيقال : يامحمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج منها من كان

---

(١) معارج القبول ح٢ ص٨٩٦

في قلبه مثقال شعيرة من إيمان [١] ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أوخردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول يارب أمتي أمتي ، فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل »فلما خرجنا من عند أنس ، قلت لبعض أصحابنا : لومررنا بالحسن - وهو متوار في منزل أبي خليفة [٢]-فحدثنا أنس بن مالك ، فأتيناه فسلمنا عليه ، فأذن لنا ، فقلنا له : ياأباسعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك ، فلم نر مثل ماحدثنا في الشفاعة ، فقال : هيه ، فحدثناه بالحديث ، فانتهى إلى هذا الموضع ، فقال : هيه ، فقلنا : لم يزد لنا على هذا ، فقال : لقد حدثني - وهو جميع * - منذ عشرين سنة ، فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا ، فقلنا : ياأباسعيد فحدثنا ، فضحك وقال : خلق الإنسان عجولا ، ماذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم ، حدثني كما حدثكم به ، قال : «ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال : يامحمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أئذن لي فيمن قال : لاإله إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لاإله إلا الله »[٣].

---

(١)ذكر الإمام ابن خزيمة أن المعنى بعض من كان في قلبه ذلك الوزن من الإيمان لأن غير النبي صلى الله عليه وسلم يشفع أيضا . انظر كتاب التوحيد ٢ / ٧٢٨ ، ٧٢٩

(٢) أي الحسن البصري مستخف في منزل أبي خليفة خوفا من الحجاج بن يوسف ، وأبوخليفة هو حجاج بن عتاب البصري . (فتح الباري ١٣ / ٤٧٦) ، شرح النووي لصحيح مسلم ٣ / ٦٤) .

* أي مجتمع العقل ، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر الذي هو مظنة تفرق الذهن وحدوث اختلاط الحفظ (فتح الباري ١٣ / ٤٧٦)

(٣) صحيح البخاري ٨ / ٢٠٢ كتاب التوحيد ، باب شفاعة الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، صحيح مسلم ١ / ١٨٢ كتاب الإيمان ، واللفظ للبخاري .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقولون : لواستشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم ، إلى أن قال ﷺ «فيأتوني ، فأستأذن على ربي ، فإذا رأيته وقعت له ساجدا ، فيدعني ماشاء الله ثم يقال لي : ارفع رأسك ، وسل تعطه وقل يسمع ، واشفع تشفع فأرفع رأسي ، فأحمد ثم أعود فأقع ساجدا مثله (في الثالثة أو الرابعة) حتى مايبقى في النار إلا من حبسه القرآن »[1] أي وجب عليه الخلود

وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ، يسمون الجهنميين »[2]

(١) صحيح البخاري ك التوحيد باب شفاعة الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٨ / ٢٠٢ وصحيح مسلم ك الإيمان ١ / ١٨٢

(٢) صحيح البخاري ٧ / ٢٠٣ كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ، وصحيح مسلم ك الإيمان ١ / ١٨٠

وجاء في بعض السنن عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، ومسلم قال : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[١]

وفي الباب أيضا عن جابر بن عبدالله عند الترمذي [٢]

سابعًا : شفاعته فيمن استحق النار ألا يدخلها :

ومن أثبت هذه الشفاعة استدل بآحاديث :

الأول :

حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ينصب للأنبياء » يوم القيامة منابر من ذهب ، فيجلسون عليها ، قال : ويبقى منبري لاأجلس عليه ، قائمًا بين يدي الله عزوجل ، منتصبا بأمتي ، مخافة أن يبعث بي إلى الجنة ويبقى أمتي بعدي فأقول : يارب أمتي ، فيقول الله : يامحمد وماتريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول : يارب عجل حسابهم فيدعون بهم فيحاسبون ، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله تعالى ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ، وماأزال أشفع حتى أعطي صكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار ، حتى إن مالكا خازن جهنم ليقول : يامحمد ماتركت لغضب ربك على أمتك من نقمة »[٣]

الثاني :

عن المنهال بن عمروأنه قال حدثني عبدالله بن الحارث أن نبي الله ﷺ قال :

---

(١)) أخرجه أبوداود في سننه ٥ / ١٠٦ ك السنة باب في الشفاعة والترمذي في سننه ٤ / ٦٢٥ ك صفة القيامة (باب ١١ منه) صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢ / ٢٩٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) ذكره ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم عن أبي بكر بن أبي الدنيا في كتابه الأهوال .

والحديث قال عنه الحاكم في المستدرك ١ / ٦٦ ك الإيمان ، : «هذا حديث صحيح الإسناد غير أن الشيخين لم يحتجا بمحمد بن ثابت البناني وهو قليل الحديث يجمع حديثه والحديث غريب في أخبار الشفاعة ولم يخرجاه » وعقب الذهبي بقوله : «ضعفه - أي البناني - غيرواحد والحديث منكر» قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٣٨٠ رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه محمد بن ثابت وهو ضعيف ، وعليه الحديث ضعيف ، ط الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م دار الكتاب العربي ، ولم يذكره الوادعي في الشفاعة انظر ص١١١ ط الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م مكتبة ابن عباس .

«أمر بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار فيقولون : يامحمد ننشدك الشفاعة ، قال : فآمر الملائكة أن يقفوا بهم ، قال : فأنطلق وأستأذن على الرب عزوجل ، فيؤذن لي ، فأسجد وأقول : رب قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار ، قال فيقول : انطلق فأخرج من شاء الله أن تخرج ، ثم ينادي الباقون : يامحمد ننشدك الشفاعة ، فأرجع إلى الرب فأستأذن ، فيؤذن لي فأسجد فيقول : ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فأقوم فأثني على الله بثناء لم يثن عليه أحد ، ثم أقول : قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار فيقول : فأنطلق فأخرج منهم من قال لاإله إلا الله فأقول :

ومن كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، قال فيقول : يامحمد ليست تلك لك ، تلك لي ، قال فأنطلق فأخرج من شاء الله أن أخرج ، قال : ويبقى قوم فيدخلون النار ، فيعيرهم أهل النار ، فيقولون : إنتم كنتم تعبدون الله ولاتشركون به ، قد أدخلكم النار ، قال فيحزنون لذلك ، قال فيبعث الله ملكاً بكف من ماء ، فينضح بها في النار ، فلايبقى أحد من أهل لاإله إلا الله إلا وقعت في وجهه قطرة ، قال : فيعرفون بها ، فيغبطهم أهل النار ، ثم يخرجون ، فيدخلون الجنة ، فيقال لهم : انطلقوا ، فيضيفون الناس ، فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المجردين »[1]

قال ابن كثير بعد أن ساق الحديث والله أعلم بالصواب [2]

الثالث :

عن الثوري ثنا الأعمش عن شقيق عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ قال : «أجورهم ، يدخلهم الجنة ، ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم

---

(١) الحديث ضعيف لإرساله : قال الوادعي في تخريجه للحديث ص١١٢ في الشفاعة ، الحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة وقد وثقه الدارقطني . وقال الخطابي : يحدث عن محمد بن سلمة بعجائب كما في التهذيب والميزان ويخش أيضا من إرساله فيحتمل أن يكون عبدالله بن الحارث سمعه من أبي هريرة ويحتمل أن يكون أرسله ، انظر التهذيب ١ / ١٦١

(٢) النهاية في الفتن ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٦

المعروف في الدنيا »[١]

ومما تقدم يتضح لنا ضعف الأحاديث في هذا النوع من الشفاعة وإن كان داخلا ضمنا في الأحاديث العامة في الشفاعة لأهل الكبائر دون تخصيص ، وهل من أثبت هذا النوع أخذ بعموم الأحاديث . ؟!

وممن نص على ثبوت هذه الشفاعة ، الإمام النووي [٢] في شرح مسلم وشيخ الإسلام ابن تيمية [٣] ، والحافظ ابن حجر [٤] ، والشيخ محمد السفاريني [٥] رحمهم الله تعالى ، وإن كان شارح الطحاوية [٦] قد عدها ضمن أنواع الشفاعة إلا أنه لم يستدل عليها ، أما الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فقد قال : «هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه »[٧]

ولعل التوقف في هذه المسألة أولى .

ثامنًا : شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن تساوت حسناته وسيئاته ؟

وقد أثبت هذا النوع الإمام ابن كثير في كتابه النهاية [٨] ولكنه لم يذكر دليل ، وأثبته الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري [٩] حيث قال بعدما ساق أنواع الشفاعة : «وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى ، وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته

---

(١) قال الوادعي رحمه الله في الشفاعة ص١١٢ غريب من حديث الأعمش ، عزيز عجيب من حديث الثوري ، تفرد به إسماعيل بن عبيد الكندي عن الأعمش وعن إسماعيل بقية بن الوليد وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١ / ٥٩١ وهذا إسناد لايثبت .

قال الهيثمي ٧ / ١٣ : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه إسماعيل بن عبدالله الكندي ضعفه الذهبي فقال : أتى بخبر منكر ، وبقية رجاله وثقوا ، انظر الشفاعة للوادعي ص٢٥٤

(٢)انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣ / ٣٥ ، ٥٨

(٣) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣ / ١٤٧

(٤) انظر فتح الباري ١١ / ٤٢٨

(٥) انظر لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢١١

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٢

(٧) انظر تهذيب السنن لابن القيم ٧ / ١٣٤ تحقيق أحمد شاكر ، أحمد حامد فقي .

(٨) انظر النهاية ٢ / ٢٠٤

(٩) انظر فتح الباري ١١ / ٤٢٨

وسيئاته أن يدخل الجنة » ثم قال : «ومستندها ماأخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ »[1]

وهذا الحديث متروك لايعتمد عليه .

أما أصحاب الأعراف فأرجح الأقوال فيهم أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فتجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة فيقومون مدة على الأعراف وهو سور بين الجنة والنار ، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد جاء شيء من أخبارهم في قوله تعالى ﴿وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾[2][3]

وقد استدل لهذين النوعين من الشفاعة - السابع والثامن - صاحب كتاب مباحث العقيدة في سورة الزمر[4] فقال : «ومما يستدل لهذين النوعين قوله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : ياأبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء ، اعمدوا موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليما . فيأتون موسى ﷺ فيقول : لست بصاحب ذلك إذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا ﷺ . فيقوم فيؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط ، يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق »قال قلت : بأبي أنت وأمي ! أي شيء كمر البرق ؟ قال : «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفه عين ؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول :

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١ / ١٨٩ ، قال الهيثمي : «رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار منه وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعاني وهو وضاع» مجمع الزوائد ١٠ / ٣٧٨

(٢) سورة الأعراف : الآية ٤٦

(٣) الشفاعة والرد على المنكرين ص٦٠

(٤) ص ٣٠٥

رب !سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا » قال : « وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس * في النار »[1]

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر أنواع الشفاعة :

«ودليل الثالثة - في إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لايعذبوا - حديث حذيفة عند مسلم : ونبيكم على الصراط يقول : «رب سلم سلم »[2]

قلت : ولعل هذا الاستدلال من قبيل الاستدلال بالأحاديث العامة على النوع السابع والله أعلم .

---

* مكدوس : أي مدفوع وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط انظر النهاية ٤ / ١٥٥

(١) رواه مسلم من حديث حذيفة ١ / ١٨٧

(٢) انظر فتح الباري ك الرقاق باب صفة الجنة والنار ١١ / ٤٢٨

المطلب الثاني
الشفعاء غير النبي ﷺ

فيما سبق تحدثنا عن أنواع الشفاعة وذكرنا أن منها ماهو خاص بالنبي ﷺ،ومنها ماهو عام لغيره من الشفعاء،وفي هذا المبحث سنتعرف على من هم الشفعاء في ضوء الأدلة الشرعية من كتاب أوسنة وهي كمايلي:

أولاً : الملائكة:

هذا النوع من الشفعاء قد ورد في القرآن مايبينه فقد قال تعالى : ﴿وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾[١]

وفيه دلالة أنه إذا أذن الله تعالى له فإنه يشفع .

أمامن السنة فحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين مرفوعا يقول فيه : «فيقول الله عزوجل : شفعت الملائكة . . . ولم يبق إلا أرحم الراحمين . . »[٢]

ثانيا: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

وهذا النوع قد ثبت بالحديث الطويل لأبي سعيد الخدري مرفوعا وفيه (فيقول)الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون . . . »[٣]

ثالثا : المؤمنون الصالحون:

فالمؤمنون يشفعون يوم القيامة ، كلما كان المؤمن أكثر تقى وإيمانا كان أحرى بالشفاعة لإخوانه المؤمنين والضد بالضد ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إن اللعانين لايكونون شهداء ولاشفعاء يوم القيامة »[٤]

---

(١) سورة النجم : الآية ٢٦

(٢) صحيح البخاري ك التوحيد باب قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ٨ / ١٨٢ ، وصحيح مسلم ك الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ١ / ١٧٠

(٣) المرجع السابق

(٤) صحيح مسلم ك البروالصلة والآداب باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤ / ٢٠٠٦

ومما يستدل على هذه الشفاعة ماجاء عن أبي سعيد الخدري في حديثه الطويل وفيه : «حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده مامنكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق ، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا مابقي فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا » وكان أبوسعيد الخدري يقول : «إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا إن شئتم ﴿إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما ﴾[١] فيقول الله عزوجل : «شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين . . . »[٢]

وأيضا حديث عبدالله بن أبي الجدعاء عند الترمذي أنه سمع النبي ﷺ يقول : «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم »قالوا : يارسول الله سواك ؟قال : «سواي» [٣]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة ، والرجل للرجل »[٤]

رابعا : الشهداء

ويستدل على هذا النوع من الشفاعة بأحاديث فضل الشهداء ومنها :

ماجاء في السنن من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال

---

(١) النساء / ٤٠

(٢) تقدم تخريجه في الفقرة السابقة . والحديث متفق عليه .

(٣) أخرجه الترمذي ك صفة القيامة باب (١١) وقال الألباني صحيح انظر صحيح الترمذي ٢ / ٢٩٥

(٤) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ٢ / ٧٤٥ قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد ١٠ / ٣٨٢»

رسول الله ﷺ : «للشهيد عند الله ست خصال »وفي آخر الحديث «ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه »[١]

وفي سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته »[٢]

خامسا : أولاد المؤمنين

وهذه الشفاعة من نعم الله على العباد ، وتطييبا لخاطرهم عند فقد أطفالهم صغارا .

ففي صحيح مسلم عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا ، عن موتانا ؟ قال : نعم «صغارهم دعاميص* الجنة ، يتلقى أحدهم أباه - أوقال أبويه - فيأخذ بثوبه - أوقال بيده - كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلايتناهى - أوقال فلاينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة »[٣]

وعند البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مامن الناس مسلم يموت له ثلاث من الولد ، لم يبلغوا الحنث ، إلا أدخله الجنة بفضل رحمته »[٤]

وأخرج الإمام مالك في الموطأ من حديث أبو النضر السلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه ٢ / ٩٣٦ ك الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢ / ١٢٩

(٢) أخرجه أبوداود ٣ / ٣٤ ك الجهاد باب في الشهيد يشفع وصححه الألباني في صحيح سنن أبوداود ٢ / ٤٧٩

* دعاميص : هي جمع دعموص وهي دويبة تكون في الماء والدعموص أيضا : الدخّال في الأمور : أي أنهم سياحون في الجنة دخّالون في منازلها لايمنعون من موضع ، انظر النهاية لابن الآثير ٢ / ١٢٠

(٣) صحيح مسلم ٣ / ٢٠٢٩ ك البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه .

(٤) رواه البخاري ٣ / ٩٥ ، ٩٦ ك الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسبه ، وباب ماقيل في أولاد المسلمين .

فيحتسبهم ، إلا كانوا له جنة من النار ، فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ : يارسول الله ، أواثنان ؟ قال : أواثنان »[١]

سادسا : القرآن

ومما يستدل لهذا النوع * ماجاء في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، اقرؤا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أوكأنهما غيايتان **، أوكأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرؤا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولايستطيعها البطلة »[٢] أي السحرة .

وجاء في اختصاص بعض سور القرآن في الشفاعة ماحدث به أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له : تبارك الذي بيده الملك »[٣]

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول : يارب حله ، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يارب ارض عنه فيقال : اقرأ وارقأ ويزاد بكل آية حسنة »[٤]

---

(١) الموطأ - في الجنائز باب الحسبة في المصيبة ١ / ٢٣٥ قال ابن الأثير في جامع الأصول ٩ / ٥٩٣ وهو حديث صحيح .

* انظر كتاب الشفاعة وبيان الذين يشفعون ، إبراهيم بن عبدالله الحازمي ص١٠٧ ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م دار الشريف .

** الغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة . النهاية لابن الأثير ٣ / ٤٠٣

(٢) رواه مسلم : ١ / ٥٥٣

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه ٢ / ١٢٤٤ ك الأدب باب ثواب القرآن وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢ / ٣١٦

(٤) أخرجه الترمذي أبواب فضائل القرآن ، باب ماجاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣ / ١٠

سابعا : الصيام

ومما يدل على شفاعة الصيام يوم القيامة مارواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال فيشفعان »[١]

وذكر الشيخ السفاريني نوعاً من أنواع الشفعاء نذكره إتماما للفائدة .

قال : وأخرج البزار عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته »[٢]

ثم قال بعد ذلك رحمه الله :

أن للناس شفاعات بقدر أعمالهم وعلومراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لأهله والإسلام يشفع لأهله والحجر الأسود يشفع لمستلمه ولكن لايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون .

ثم إنه يجب أن يعتقد أن غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون بقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الأخبار بذلك وترادف الآثار على ذلك وهو أمر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل أ . هـ[٣]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ١٧٤ ، والحاكم في المستدرك ١ / ٥٤٤ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني ، انظر صحيح الترغيب والترهيب ١ / ٤١١

(٢)مجمع الزوائد ٣ / ٢١١ وقال : رواه البزار وفيه من لم يسم ، وكذا رواه الهيثمي في كشف الأستار٢ / ٣٩ حديث ١١٥٤

(٣)انظر لوامع الأنوار ٢ / ٢٠٩ - ٢١١ بتصرف

المبحث الخامس
أسباب الشفاعة
وفيه مطلبان
المطلب الأول: الأسباب الجالبة للشفاعة .
المطلب الثاني: الأسباب المانعة للشفاعة .

المطلب الأول: الأسباب الجالبة للشفاعة

تعددت الأحاديث الواردة في ذكر الأسباب الجالبة للشفاعة غير أن هذه الأسباب لاتنفع وحدها بل لابد من شروط الشفاعة ومع ذلك فهي أسباب رغب الشارع فيها إذا أداها صاحبها بإخلاص ومتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم أوصلته إلى مايريد من نيل الشفاعة يوم القيامة من النبي ﷺ أومن غيره وذلك إما بمغفرة ذنوبه أورفع درجاته . . الخ .

أولاً : التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا السبب :

«بل الشفاعة ، سببها توحيد الله ، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له . فكل ما كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة ، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة .

ثم يعقب رحمه الله بعد ذلك مبينا أن الشفاعة من أسباب رحمة الله فيقول : «فإن الشفاعة من الله مبدؤها وعلى الله تمامها ، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله من يرحم من عباده ، وأحق الناس برحمته : هم أهل التوحيد والإخلاص لله ، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص (لاإله إلا الله) علما وعقيدة وعملا وبراءة ، وموالاة ومعاداة : كان أحق بالرحمة . أ . هـ[1]

جاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال :

---

(١)انظر دقائق التفسير ٢ / ٣١٠ بتصرف / ومجموع الفتاوى ١٤ / ٤١٤ ، وانظر في أسباب الشفاعة لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢١٥

الشفاعة عند أهل السنة ص٩١ ، الشفاعة وبيان الذين يشفعون ص١٠٧

لاإله إلا الله خالصة من قلبه أونفسه »[١]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لايشرك بالله شيئًا »[٢]

ثانيا : قراءة القرآن

تقدم لنا في الشفعاء* أن منهم القرآن وذكرنا حديث أبي أمامة عند مسلم وفيه « اقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه . . . »[٣]

فأصحاب القرآن هم الذين يتلونه حق تلاوته ويتدبرون آياته ويعملون به وفي الحديث : «اعملوا بالقرآن ، أحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واقتدوا به ، ولاتكفروا بشيء منه ، وماتشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولى الأمر من بعدي كيما يخبروكم ، وأمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور ، ومأأوتي النبيون من ربهم ، وليسعكم القرآن ، ومافيه من البيان ، فإنه شافع مشفع . . . . »[٤]

ثالثا : الصيام

فإنه من الأسباب الجالبة للشفاعة لاسيما إذا خلص وصام إيمانًا واحتسابًا فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «الصيام و القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان »[٥]

رابعًا : الدعاء بما ورد عند الأذان :

جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة

---

(١)صحيح البخاري ١ / ٣٣ ك العلم باب الحرص على الحديث .

(٢) صحيح مسلم ١ / ١٨٩ *ص٣٠٤

(٣) صحيح مسلم ١ / ٥٥٣ ك صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

(٤)أخرجه الحاكم في مستدركه ١ / ٥٦٨ كتاب فضائل القرآن وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، يراجع في أسباب الشفاعة كتاب الشفاعة للوادعي ص٢٠٦

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه ١ / ٥٤٤ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافق الذهبي .

القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة »[١]

وعند الإمام مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله بها عشر ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجوا أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة »[٢]

ومن هذه الأحاديث نعلم أن من رد د مثل مايقول المؤذن وصلى على النبي ﷺ الصلاة الواردة وسأل له الوسيلة كما هي في حديث البخاري كان ممن فاز بشفاعته ﷺ وقد نبه العلماء على زيادة ضعيفة يذكر ها بعض من يروي الحديث وهي «إنك لاتخلف الميعاد » «اللهم أعط سيدنا محمدًا » فهذه الزيادتان ضعيفتان كما ذكر العلماء [٣]

خامسًا : سكنى المدينة المنورة ، والصبر على لأوائها * ، والموت بها :

ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة ** فاستشاره في الجلاء من المدينة ، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله ، وأخبره أن لاصبر له على جهد المدينة ولأوائها ، فقال له : ويحك ! لاآمرك بذلك ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لايصبر أحد على لأوائها فيموت بها إلا كنت له شفيعًا أوشهيدًا يوم القيامة ، إذا كان مسلمًا »[٤]

وعند مسلم أيضًا من حديث ابن عمر [٥]

وعن يحنس مولى الزبير أخبره أنه كان جالسًا عند عبدالله بن عمر في الفتنة ***فأتته مولاة له تسلم عليه فقالت : إني أردت الخروج ياأباعبدالرحمن اشتد علينا الزمان ، فقال لها عبدالله : اقعدي لكاع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لايصبر على لأوائها

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٥٢ ك الأذان ، باب الدعاء عند الغداء

(٢) صحيح مسلم ١ / ٢٨٨

(٣) انظر كتاب الشفاعة للوادعي ص٢٣٥ - ٢٣٦

*أي الصبرعلى شدائدها وضيق العيش فيها ، شرح النووي لمسلم ٩ / ١٦٠ **يقصد بها وقعة الحرة التي وقعت زمن يزيد .

***هي الفتنة نهبت فيها المدينة سنة ٦٣هـ شرح النووي لصحيح مسلم ٩ / ١٥٨

(٤)صحيح مسلم ٢ / ١٠٠٢ ك الحج باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها .

(٥) صحيح مسلم ٢ / ١٠٠٢

وشدتها أحد إلا كنت شهيداً أوشفيعاً يوم القيامة»[١]

سادساً: الصلاة على النبي محمد ﷺ .

ويمكن أن يستدل لهذا السبب بالحديث السابق حديث عبدالله بن عمروبن العاص عند مسلم وفيه : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي ، فإن من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا . . . »[٢]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى علي حين يصبح عشرا ، وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة »[٣]

سابعاً : صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم :

جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها- عن النبي ﷺ أنه قال : «مامن ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له ، إلا شفعوا فيه »[٤]

وعن كريب مولى ابن عباس عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه مات ابن له بقديد أوبعسفان #

فقال : ياكريب مااجتمع له من الناس قال: فخرجت ، فإذا ناس قد اجتمعوا له ، فأخبرته فقال : تقول هم أربعون ؟ قال نعم قال : اخرجوه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لايشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه »[٥]

---

(١) صحيح مسلم ٢ / ١٠٠٤

(٢) صحيح مسلم : ١ / ٢٨٨

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٢٣٣

(٤) صحيح مسلم ٢ / ٦٥٤ ك الجنائز باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه .

قديد- وعسفان موضعان قرب مكة المكرمة ، انظر معجم البلدان للحموي ٤ / ١٢١ ، ٣١٣

(٥) صحيح مسلم : ٢ / ٦٥٥ ك الجنائز باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه .

ثامنًا : كثرة السجود :

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ ، فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي (سل) فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة قال : «أوغير ذلك »؟ قلت : هو ذاك قال : «فأعني على نفسك بكثرة السجود »[١]

والمراد بالسجود هنا سجود الصلاة وسبب الحث عليه لأن فيه غاية التواضع والعبودية لله تعالى ، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها من التراب فكان جزاء ذلك مثوبة له أن يرفع في أعلى الجنات بشفاعته ﷺ [٢]

وعند الإمام أحمد في مسنده عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم للنبي ﷺ رجل أم امرأة قال : كان النبي ﷺ مما يقول للخادم : «ألك حاجة ؟»قال حتى كان ذات يوم فقال : يارسول الله حاجتي قال : «وماحاجتك ؟»قال : حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة ، قال : «ومن دلك على هذا ؟ قال ربي قال : «فأعني بكثرة السجود »(٣)

وبهذا تعلم الأسباب التي ترجى أن تنال الشفاعة عن طريقها يوم القيامة نسأل الله الإعانة عليها .

---

(١) صحيح مسلم : ١ / ٣٥٣ ك الصلاة باب فضل السجود والحث عليه .

(٢) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٤ / ٢٠٦

(٣) مسند الإمام أحمد ٣ / ٥٠٠ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢ / ٢٤٩ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

المطلب الثاني : الأسباب المانعة للشفاعة

عن أم الدرداء عن أبي الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن اللعانين لايكونون شهداء ولاشفعاء يوم القيامة »[١]

وقد ذكر الشيخ السفاريني* عدد من ا لأحاديث فيمن لاتدركهم الشفاعة فقال :

الثالث : في من لاتدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعة النبي ﷺ لاتصافهم بالبدع وسوء البضاعة فأخرج أبونعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أمتي لاتنالهما شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية »[٢]

وأخرج البيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي »[٣]

وأخرج البيهقي والطبراني بسند جيد عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رجلان لاتنالهما شفاعتي يوم القيامة إمام غشوم عسوف وآخر غالي الدين مارق منه »[٤]

ومما يستدل به على هذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب »[٥]

---

(١) رواه مسلم ٤ / ٢٠٠٦

* لوامع الأنوار ٢ / ٢١٦

(٢) أخرجه الترمذي في السنة باب القدر وإسناده منقطع كما ذكر ذلك ابن الأثير في جامع الأصول ١٠ / ١٣٠

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب باب فضل العرب ، قال الترمذي : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث حصين بن عمر الأحمسي عن . . . وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي ، انظر جامع الأصول ٩ / ٢٢٤

(٤) قال ابن حجر في المطالب العالية ٢ / ٢٣٤ ، قال البوصيري رواه ابن أبي شيبة وأبويعلى : وسكت

(٥) أخرجه الإمام الآجري في الشريعة ص٣٣٧ قال الحافظ في الفتح ١١ / ٤٢٦ أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس فذكره ، انظر الشفاعة للوادعي ص٢٥٧

وقبل أن نختم هذا الفصل أود أن أوضح قضية قد انتشرت في هذا العصر ، ألا وهي مسألة : أن زيارة قبر الرسول ﷺ من أسباب الشفاعة .

وهذه المسألة قد تعرض لها العلماء وبينوا فسادها وأن الواجب عند زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم دعاء الله والصلاة على النبي ﷺ وترك مايفعل من التبرك والاستغاثة بغير الله والاقتصار على الوارد من الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له ﷺ (١)

وقد استدل أصحاب هذا القول بأحاديث كثيرة (٢) ليس لها نصيب من الصحة فمنها على سبيل المثال :

«من زار قبري وجبت له شفاعتي »

«من جاءني زائراً لاتعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا »

«من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا أوشهيدا »

ونقول : إن زيارة قبر النبي ﷺ من الأمور المشروعة بدون شد رحال ، وإن فاعل ذلك لاشك مثاب ، لكن القول إنه من أسباب الشفاعة فهذا مالم يثبت به الدليل ، ولاعبرة إلا بوجود الدليل الصحيح والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر لمزيد من المعرفة قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة شيخ الإسلام ص١٩٩ علق عليه السيد الجميلي ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الكتاب العرب - لوامع الأنوار ٢ / ٢١٦

(٢) انظر لمعرفة تخريج الأحاديث والرد عليها :

الرد على الأخنائي لابن تيمية ص٢٩ ، الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبدالهادي ص٢٩ ، أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة لأحمد النجمي ص١٣٣ - ١٣٩

الفصل الثامن

موقف أهل السنة من منكري الشفاعة

الفصل الثامن
موقف أهل السنة من منكري الشفاعة

إذا تأملنا كتب أهل السنة فنجد أن موقفهم من منكري الشفاعة - المعتزلة والخوارج - لايخرج عن الردود التالية :

١ - أن الشفاعة ثابتة بالقرآن والأخبار المتواترة .

٢ - الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول ، ولم يبد من أحد منهم في عصر من العصور نكير ، فظهور الأخبار الواردة فيها وإطباقهم على صحتها ، وقبولها دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد مذهب المعتزلة والخوارج .

٣ - إن أهل العلم قد جمعوا بين الآيات الواردة في نفي الشفاعة وبين الآيات الدالة على إثبات الشفاعة ، بأن الآيات الواردة في نفي الشفاعة والشفيع المراد بها الشفاعة للكفار والشفاعة المنفية هي التي تطلب من ا لأصنام والأموات الذين لايملكون الشفاعة لأنفسهم ولالغيرهم ولايملكون نفعا ولا ضرا .

٤ - إثبات أن أحاديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام *

أما الأول والثاني فقد تقدم الكلام عليهما في ثبوت الشفاعة في المبحث الأول من الفصل السابق .

أما الثالث فقد جاء الحديث عنه في الرد على المعتزلة والخوارج في الفصول السابقة .

ونحن الآن بصدد الحديث عن حجية خبر الآحاد ، فنقول وبالله التوفيق :

---

*انظر : الشفاعة للوادعي ص١٢ ، تفسير القرطبي ١ / ٣٧٨ ، شرح النووي على صحيح مسلم ٣ / ٣٥ ، فتح الباري ١١ / ٤٢٦ ، تفسير ابن جرير الطبري ١ / ٢٧٦

حجية خبر الواحد :

يقسم علماء الحديث الأخبار الواردة عن النبي ﷺ إلى قسمين :

١ - متواتر ٢ - آحاد

فالمتواتر : هو مارواه جماعة يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم ، وأسندوه إلى شيء محسوس .

وحكمه : يفيد العلم الضروري اليقيني ، فالمتواتر كله مقبول ولاحاجة إلى البحث عن أحوال رواته .

أما حديث الآحاد : فهو مالم يجمع شروط المتواتر .

- وينقسم إلى مشهور - عزيز - غريب

فالمشهور : مارواه ثلاثة فأكثر -في كل طبقة -مالم يبلغ حد التواتر

العزيز : مالم يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند .

الغريب : ماانفرد بروايته راو واحد .

وينقسم حديث الآحاد من حيث القوة والضعف إلى قسمين : مقبول ومردود ، فالمقبول هو الصحيح والحسن والمردود وهو الضعيف .

ويقصد بخبر الآحاد هنا المقبول منه ، دون المردود ، فخبر الآحاد المقبول هو مارواه عدل تام الضبط عن مثله بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة .[1]

الخلاف في حجية خبر الآحاد :

هناك من يعارض الآثار الصحيحة وهو يعرفها نتيجة سوء فهم إما لتوهمه أنها تعارض معقولا صريحا وهي ليست كذلك ، وإما لقصوره ، أنها تعارض علما صحيحا وهي ليست كذلك أيضًا ، وذلك الصنف يحتاج إلى تنبيه وتوضيح وبيان يرفع التعارض حتى لايدفعه توهم التعارض إلى القول بأن آحاديث الآحاد ليست حجة بإطلاق أوليست حجة

---

(١)انظر مقدمة ابن الصلاح ص(٧ - ٨)لابن الصلاح ، تحقيق عائشة عبدالرحمن ١٩٧٤م دار الكتب تدريب الراوي ١ / ٦٣ السيوطي تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ١٣٩٩هـ ١٩٥٩م دار الكتب العلمية نخبة الفكر لابن حجر ص(٤ - ٨) عقيدة الإمام ابن عبدالبر ص١١١ سليمان الغصن دار العاصمة . الأحكام للآمدي (٢ / ١٣ - ٣١)تحقيق عبدالرزاق عفيفي ١٤٠٢هـ بيروت -دمشق تيسير مصطلح الحديث محمود الطحان ص٣٢ ط الثامنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م مكتبة المعارف .

في أمور الاعتقاد كما زعم فريق من المتكلمين الذين ردوا بعض آحاديث الصفات بالتأويل الذي يخرجها عن معناها ، وحين لايسعفهم التأويل يقولون إنها ليست حجة لأنها أحاديث آحاد .

ولقد شغلت مسألة خبر الآحاد العلماء قديمًا وحديثًا من حيث إفادته العلم ، وإيجابه العمل ، وحجيته في مسائل العقيدة ، وغير ذلك ، حتى أفرده بعض العلماء بمصنفات مستقلة في القديم والحديث [١]

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - :

«وصنف جماعات من أهل الحديث وغيرهم مصنفات مستكثرات مستقلات في خبر الواحد ووجوب العمل به »[٢]

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في إفادة خبر الواحد للعلم ولكن قبل ذكر الخلاف يحسن بنا التنبيه على أن المقصود بخبر الواحد هنا هو المقبول منه ، أما المردود فلاخلاف في أنه لايوجب علما ولاعملا .

هل خبر الواحد يفيد العلم أم لا؟

المذاهب في هذه المسألة ثلاثة :

الأول : أن خبر الواحد يفيد العلم مطلقا

الثاني : أن خبر الواحد يفيد الظن مطلقا

الثالث : أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن وإليك التفصيل

الأول :

أنه يفيد العلم مطلقا ، سواء احتفت به قرائن أم لا . وهذا القول هو إحدى الروايتين

---

(١) ممن أفرده بالحديث قديما الخطيب البغدادي ، والحافظ ابن عبدا لبر في الكفاية في علم الرواية ص٤٠٥٦٦هـ ١٩٨٥م تحقيق أحمد عمر هاشم ، التمهيد لابن عبدالبر ١ / ٢ تحقيق محمد بوخبزة ١٣٨٧هـ ١٤١٠هـ -١٩٦٧م - ١٩٩٠م الدارالبيضاء ومن المعاصرين المحدث الألباني في رسالة : «حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، الشيخ ابن جبرين في كتابه «أخبار الآحاد في الحديث النبوي» ص٨٣ ، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م دار طيبة ، والشيخ عمر الأشقر في رسالة في أصل الاعتقاد ص٤٥ الدار السلفية .

(٢) شرح صحيح مسلم ١ / ٦٢

عن الإمام أحمد * وبعضهم ينسبه إليه دون ذكر الرواية الأخرى عنه ، وقد حكى هذا القول ابن خواز منداد * عن مالك بن أنس * واختاره ، وهو قول ابن حزم والحسين بن علي الكرابيسي * والحارث المحاسبي [١] وحكاه الآمدي ونسبه إلى بعض أهل الظاهر [٢]

وقد عاب الإمام أحمد - رحمه الله - على من يقول أن خبر الواحد يفيد العمل دون العلم . فقد قال أبوبكر المروذي * قلت لأبي عبدالله : هاهنا إنسان يقول : إن الخبر يوجب عملاً ، ولايوجب علمًا . فعابه وقال ماأدري ماهذا ؟ [٣]

التعقيب على هذا المذهب :

لايتصور أن عاقلاً يصدق كل ماسمعه من خبر ، مع ماعهد في الناس من الكذب ، واختلاف الأخبار ، قال ابن تيمية رحمه الله : «فإن أحدًا من العقلاء لم يقل : إن خبر كل واحد يفيد العلم ، وبحث كثير من الناس إنما هو في رد هذا القول »[٤]

---

*أحمد بن حنبل شيخ الإسلام صدقًا أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي ولد سنة ١٦٤هـوهو صاحب المسند مناقبه لاتعد ومن أكبرها ثباته يوم المحنة انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ١٧٧

* هو محمد بن أحمد بن عبدالله بن خوازمنداد أبوبكر مالكي المذهب سمع الحديث ، وتفقه وله اختيارات تخالف مذهبه ، وكان يجانب الكلام جملة ،انظر ترتيب المدارك (٧ / ٧٧)

*مالك بن أنس إمام دار الهجرة أبوعبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني ولد سنة ٩٣هـ صاحب أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر توفي سنة ١٧٩هـ انظر سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٨

* الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي العلامة ، فقيه بغداد ، صاحب التصانيف كان من بحور العلم من أصحاب الشافعي توفي سنة ٢٤٥هـ انظر طبقات الشافعية (٢ / ١١٧ - ١٢٦)

(١) انظر الأحكام للآمدي (٢ / ١٣٤ - ١٣٦) مختصر الصواعق ٢ / ٤٧٤

* أبوبكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي ، صاحب الإمام أحمد ، وكان أجل أصحابه وملازميه ، كان ذا ورع وإمام في السنة شديد الاتباع توفي سنة ٢٧٥هـ انظر طبقات الحنابلة (١ / ٥٦ - ٦٣)

(٢) الأحكام ١ / ٢٣٤

(٣) المسوَّدة في أصول الفقه لآل تيمية مجد الدين أبو البركات - شهاب الدين أبوالمحاسن تقي الدين أبوالعباس ص٢٤٢ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني القاهرة .

(٤) المسودة ص٢٤٤

أما أهل الظاهر فقد صرح إمامهم أبومحمد بن حزم -رحمه الله - بأن خبر العدل عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به ، موجب للعمل والعلم معًا [١]

أما الرواية التي ذكرت عن الإمام أحمد بن حنبل فشهرة كلامه في الجرح والتعديل ورد أخبار الضعفاء ، تفوق الحصر .

يقول ابن القيم-رحمه الله - :

«فهذا الذي ذكره الآمدي وغيره من المتكلمين والأصوليين تشغيب وتهويل في المسألة ، بل خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه فتارة يجزم بكذبه ، وتارة يظن كذبه وتارة يتوقف ، فلايترجح صدقه ولاكذبه إذا لم يقم دليل أحدهما ، وتارة يترجح صدقه من غير جزم ، وتار يجزم بصدقه جزما لايبقى معه شك ، وكل ذلك متابعة للدليل ، فليس خبر كل واحد يفيد العلم ، كما لايجوز أن ينفي عنه العلم مطلقًا »[٢]

المذهب الثاني : أن خبر الواحد يفيد الظن مطلقا سواء احتفت به القرائن أم لا .

وبهذا قال ابن عقيل * ، وابن الجوزي ، والقاضي أبوبكر الباقلاني ، وأبوحامد * وابن برهان * ، والفخر الرازي [٣]

وهو مذهب بعض المتكلمين والأصوليين كالجويني ، والغزالي ، والبغدادي[٤] .

الثالث : أنه يفيد العلم إذا احتفت به قرينة أو أكثر ترفعه إلى مرتبة العلم .

---

(١) الأحكام ١ / ١٢١ ، ١٢٦

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٤٧٣ ، دار الندوة الجديدة .

* علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي - أبوالوفاء الحنبلي ، مقرئ فقيه أصولي واعظ متكلم كان فطنًا لبقا ، انظر السير ١٩ / ٤٤٣ - ٤٥١

* أحمد بن محمد بن أحمد أبوحامد الإسفرائيني ، الفقيه الشافعي ، كان عظيم الجاه مع الدين الوافر والورع والزهد توفي سنة ٤٠٦ هـ انظر طبقات الشافعية ٤ / ٦١ - ٦٥

* أحمد بن علي بن محمد بن برهان - بفتح الباء الموحدة - كان متبحرًا في الأصول والفروع حاذق الذهن لايكاد يسمع شيئًا إلا حفظه توفي سنة ٥٢٠ هـ انظر طبقات الشافعية ٦ / ٣٠

(٣) الأحكام للآمدي ٢ / ٣٢

(٤) انظر لمزيد من البسط عن هذا المذهب منهج أهل السنة في الاستدلال في العقيدة ص١٢١

وبهذا قال موفق الدين بن قدامة * ، وابن حمدان * وابن الزاغوني*من الحنابلة وهو اختيار الآمدي والغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر وغيرهم[١]

والقرينة قد تتعلق بالخبر ، وقد تتعلق بالمخبر ،وقد تتعلق بهما معا : ويدخل في ذلك الخبر المستفيض الذي رواه في أصله واحد ، ثم استفاض واشتهر ، والخبر المتلقى بالقبول من الأمة ، أومن علماء الشأن ، ومنه ما رواه الشيخان ، أوأحدهما ، ومنه ماكان مسلسلاً بالأئمة الحفاظ كمالك عن نافع عن ابن عمر [٢]

فهذا الخبر ونحوه يفيد العلم عند جمهور المحدثين والأصوليين وأكثر المتكلمين وعامة السلف ، وفقهاء الأمة [٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله - : «وأما القسم الثاني من الأخبار فهو مالايرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولامعناه ، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملا به ، أوتصديقا له . . . فهذا يفيد العلم اليقيني ، عند جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الأولين والآخرين ، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية ، والشافعية والحنبلية . . .»[٤]

---

* ابن قدامة المقدسي : الشيخ الإمام العلامة القدوة موفق الدين أبومحمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام المقدسي ولد سنة ٥٤١هـ صاحب المغني والكافي والمقنع وغيره كثير . انظر سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١٦٥

* أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان الحراني - أبوعبدالله ، فقيه حنبلي أصولي قرأ على الشيوخ وبرع في الفقه ،وانتهت إليه معرفة المذهب توفي سنة ٦٩٥ هـ انظر طبقات الحنابلة ٢ / ٣٣١ ، الأعلام ١ / ١١٦

*أبوالحسن بن الزاغوني الإمام العلامة علي بن عبيدالله ابن نصر بن الزاغوني البغدادي ولد سنة ٤٥٥هـ كثير التصانيف والتقوى والعبادة ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩ / ٦٠٥

(١) انظر الأحكام للآمدي ٢ / ٣٢ ، مجموع الفتاوى ١٨ / ٤١ نخبة الفكر لابن حجر ص٩

(٢)انظر تدريب الراوي ١ / ٧٥

(٣) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٣ (٤) مجموع الفتاوى ١٨ / ٤١

وحكى ابن القيم عن الإمام الشافعي قوله : « . . . ومارواه عن النبي ﷺ واحد عن واحد . . . فإنما علمنا أن النبي ﷺ قاله بصدق المحدث عندنا . . . »[١]

والذي يظهر في هذه المسألة والله أعلم أن أوسط الأقوال قول من قال : إن خبر الواحد يفيد العلم إذا كان ثم قرينة أو أكثر ترفعه إلى مرتبة العلم .

قا ل شيخ الإسلام - رحمه الله - :

«وخبر الواحد المتلقي بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء ، ومن أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالأسفرائيني وابن فورك# »[٢]

وقال - رحمه الله - :

«والصحيح ماعليه الأكثرون : أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة ، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم ، وقد يحصل بقرائن تختص بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة .

وأيضًا فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقًا له وعملاً بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف »[٣]

الأدلة على صحة هذا المذهب :

وهي كثيرة بحمد الله ولكن هذا المقام يضيق عن حصرها وأذكر منها نماذج :

١ - إن التفريق بين التواتر والآحاد في إفادة العلم ، اصطلاح حادث لم يدل عليه كتاب ناطق ولاسنة ماضية ، ولم يعرفه الصحابة ولاالتابعون ، فالرسول ﷺ صدقه المؤمنون فيما أخبر به دون حاجة إلى تواتر المخبرين [٤]

---

(١) مختصر الصواعق ٢ / ٤٧٦

#ابن فورك : الاستاذ أبوبكر محمد بن الحسن بن فورك - بضم الفاء وفتح الراء - فقيه شافعي برع في الأصول والكلام والنحو ، وكان واعظًا زاهدًا أشعري المعتقد من كتبه الكثيرة كذب المفتري توفي سنة ٤٠٦هـ انظر طبقات الشافعية ٤ / ١٢٧

(٢) مجموع الفتاوى ١٨ / ٤١

(٣) المرجع السابق ١٨ / ٤٨

(٤) الرسالة للشافعي ص٤٣٦

وكذلك كان الرسول ﷺ يصدق أصحابه فيما يخبرونه به ، وكذا الصحابة يصدق بعضهم بعضاً فيما يخبربه عن رسول الله ﷺ ، ولم يقل واحد منهم لمن حدثه ، خبرك خبر واحد ، لايفيد العلم حتى يتواتر ، وتوقف من توقف منهم حتى عاضده آخر * لايدل على رد خبر الواحد ، وإنما كانوا يتثبتون أحيانا نادرة جدا . وكذا التابعون يلتقون بالصحابة ، زرافات ووحدانا - كيفما اتفق - ويأخذون عنهم العلم ، ويصدقونهم فيه دون طلب حصول التواتر ، وهكذا جلس كل عالم أو إمام يعلم طلبته العلم ، وهم يصدقونه في ذلك ، وهو فرد واحد بل القول بعدم إفادة خبر الواحد العلم ، يعطل الدين والدنيا معا ، وهو خرق صريح لإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الدين[١]

٢- إن الرسول ﷺ كان يبعث الآحاد من * أصحابه إلى الملوك والولاة ، ليبلغوا عنه رسالة ربه ، فلوكان خبرهم لايفيد العلم ، لما أرسلهم فإن ذلك عبث يتنزه عنه صاحب الرسالة .

٣- إن المسلمين لما أخبرهم الواحد منهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت إلى الكعبة ، قبلوا خبره وتركوا الجهة التي كانوا عليها ، وهي مقطوع بها ، واستداروا إلى القبلة استجابة لأمر الله ورسوله ، المبلغ إليهم عن طريق الواحد ، ولم ينكر عليهم الرسول ﷺ ، بل شكروا عليه[٢]

---

*مثاله : قصة ذي اليدين في البخاري ك الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد ، قصة أبي بكر في توقفه في خبر المغيرة في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة ورد عمر خبر أبي موسى في الاستئذان حتى انضم إليه أبوسعيد ، انظر مختصر الصواعق ٢ / ٤٧٤

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٤٧٣ ، ٤٧٤

*انظر حديث بعث معاذ في البخاري في الزكاة رقم ١٣٩٥

(٢) الرسالة للشافعي ص٤٠٦ ، المسودة ٢٤٧

الحديث في صحيح البخاري ٨ / ١٧٤ ك التفسير (باب ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب)

٤- إن الله تعالى قال : ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾[١] وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا) وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد أنه لايحتاج إلى التثبت ، ولوكان خبر الواحد أنه لايحتاج إلى التثبت ، لكان خبره لايفيد العلم لأمره بالتثبت حتى يحصل العلم ومما يدل عليه أيضًا أن السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله ﷺ كذا وفعل كذا ، وأمر بكذا ونهى عن كذا وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة .

وفي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ في عدة مواضع وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم قال رسول الله ﷺ وإنما سمعه من صحابي غيره وهذه شهادة من القائل وجزم على رسول الله ﷺ بما نسبه إليه من قول أوفعل ، فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم لكان شاهدا على رسول الله ﷺ بغير علم .

٥-قوله ﴿ولاتقف ماليس لك به علم ﴾[٢] أي لاتتبعه ولاتعمل به ، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ويثبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لاتفيد علما لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلهم قد قفوا ماليس به علم .

٦- قوله تعالى : ﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾[٣] فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر ، وهم أولوا الكتاب والعلم ، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم لم يأمر بسؤال من لايفيد خبره علما ، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقا فلوا كان واحد لكان سؤاله وجوابه كافيًا .

٧- مااحتج به الشافعي نفسه فقال : أخبرنا سفيان عن عبدالله الملك بن عمير عن أبيه عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «نضر الله عبدًا سمع مقالتي وحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه إلى غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هوأفقه منه ، ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم »[٤]

قال الشافعي-رحمه الله - : فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأداها أمر أن يؤديها ولو واحد دل على أنه لايأمر من يؤدي عنه إلا ماتقوم به الحجة على من أدى إليه ، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يتجنب وحد يقام ، ومال

---

(١)الحجرات : الآية ٦ (٢) سورة النحل : الآية ٤٣

(٣) سورة الإسراء : الآية ٣٦ (٤) البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥٩) - شرح السنة للبغوي (١ /٢٢٦)

يؤخذ ويعطى ، . . . أ. هـ[١]

والمقصود أن خبر الواحد العدل لو لم يفد علما لأمر رسول الله ﷺ أن لايقبل من أدى إليه إلا من عدد التواتر الذي لايحصل العلم إلا بخبرهم ، ولم يدع للخبر المؤدى وإن كان واحدًا ، لأن ماحمله لايفيد العلم ، فلم يفعل مايستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه إلى أهل التواتر وهذا خلاف مااقتضاه الحديث ، ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب إلى ذلك وحث عليه وأمر به لتقوم الحجة على من أدى إليه ، فلولم يفد العلم لم يكن فيه حجة .[٢]

٨-أن الرسل صلوات الله عليهم كانوا يقبلون خبر الواحد يقطعون بمضمونه فقبله موسى من الذي جاء من أقصى المدينة - وقبل خبر بنت صاحب مدين لما قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا وقبل خبر أبيها في قوله : هذه ابنتي وتزوجها بخبره .

وقبل يوسف الصديق خبر الذي جاء من عند الملك وقال : ارجع إلى ربك فاسأله مابال النسوة .

وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له وغزاهم بخبرهم .

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار وأحكامها وهم يجوزون أن تكون كذبًا وغلطًا ، وكذلك الأمة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد ، وهم يجوزون أن يكون كذبا على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لاعلم لهم به بل يجوز أن يكون كذبًا وخطأً في نفس الأمر ، هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر . أ. هـ[٣]

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ صـ ٤٩٧-٥٠١

(٢) أصل الاعتقاد ص٥٧ عمر الأشقر .

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة ج٢

حكم العمل بخبر الواحد :

أجمع الصحابة - رضي الله عنهم- على العمل بخبر الواحد ، وهو مذهب كافة التابعين ، وجماهير السلف والخلف .

ولم يخالف في هذه إلابعض المعتزلة والرافضة ومن تبعهم من الظاهرية وغيرهم[١]

قال الخطيب البغداي *- رحمه الله -

« وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا ، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار ذلك ، ولا اعتراض عليه»[٢]

وقرر ذلك أيضاً ابن عبدالبر * - رحمه الله - وذكر إجماع العلماء على ذلك فقال :

«وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل ، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع وشرذمة لاتعد خلافاً .[٣]

فعند المعتزلة لايقبل خبر الواحد في الاعتقادات إلا إذا جاء موافقاً للعقل فيستدل به تعضيداً لا احتجاجاً ، وإلا ردوحكم ببطلانه ، إلا إذا احتمل التأويل من غير تعسف .[٤]

يقول القاضي عبدالجبار المعتزلي :

« وأما مالايعلم كونه صدقاً ولاكذباً ، فهو كأخبار الآحاد ، وماهذه سبيله يجوز العمل

---

(١) انظر الأحكام للآمدي ٢ / ٦٤

* العلامة المفتي ، الحافظ الناقد محدث الوقت أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد مهدي البغدادي صاحب التصانيف وخاتمه الحفاظ ولد سنة ٣٩٢هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ بعد أن تصدق بماله ووقف جميع كتبه ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٧٠

(٢) الكفاية ص٧٢

*حافظ المغرب أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النميري المالكي صاحب التصانيف الفائقة ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٥٣

(٣) التمهيد ١ / ٢

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٧٦٨

به إذا ورد بشرائطه ، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا »[١] بناء على هذه القاعدة التي سار عليها القاضي عبدالجبار رد كثيراً من الأحاديث الصحيحة ، بل المتواترة أحياناً ، بعد أن زعم أنها آحاد ويقرر أن خبر الواحد مما لايقتضي العلم وأن مسائل الاعتقاد طريقها القطع والإثبات فرد كثيراً من مسائل العقيدة كالرؤية والشفاعة وغيرها [٢]

وقد أنكر المعتزلة حجية خبر الواحد واشترطوا التعدد فأبو الحسين الخياط * أنكر حجية أخبار الآحاد .

وأبوعلي الجبائي لايقبل الخبر إذا رواه العدل الواحد إلا :

١ - إذا عضده ظاهر خبر آخر أوموافقة ظاهر الكتاب .

٢ - إذا نسب إليه خبر عدل آخر .

٣ - أوعمل به بعض الصحابة .

بل نسب بعضهم إلى الجبائي أنه لايقبل الخبر إلا إذا رواه أربعة[٣] وقد وافق المعتزلة - على هذا الأصل - كثير من متكلمي الأشاعرة فهذا أبي المعالي الجويني في الإرشاد [٤] يذكر أن تصديق الدليل السمعي متوقف على موافقة قضية العقل . . . ويقول في شأن أخبار الآحاد : «وقد قدمنا أن أخبار الآحاد لايجب انقضاؤها في القطعيات »[٥]

ويقول الفخر الرازي : «أما المتمسك بخبر الواحد في معرفة الله (تعالى) فغير جائز)[٦]

أما ابن الجوزي فيقول :

«ينبغي أن يعرف القاصي والداني أن خبر الآحاد مقبول عندنا ، معمول به في جميع الأبواب إلا باب أصول العقائد لأن المطلوب في هذا الباب عقد القلب على الثابت الذي

---

(١) شرح الأصول الخمسة ٢٦٩

(٢) انظر المرجع السابق ص٦٧٢ - ٦٩٠

*شيخ المعتزلة البغداديين له التصانيف المهذبة ، وهو أبوالحسين ، عبدالرحيم بن محمد بن عثمان له جلاله عجيبة عند المعتزلة صنف كتاب (الاستدلال) ونقض كتاب ابن الراوندي في فضائح المعتزلة . . وغير ذلك ، انظر سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٢٠

(٣) موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن الانحراف عنها أبولبابة حسين ص٩٢ - ٩٣ منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض .

(٤) الإرشاد ص٣٥٩

(٥) الشامل في أصول الدين ص٥٥٧

(٦) أساس التقديس محمد بن عمر الرازي ص٢٠٤ - ١٣٢٨هـ مطبعة كردستان العلمية - مصر .

لايطرأ عليه خطأ ولاوهم »[١]

حجج من رد أحاديث الآحاد: أولاً: الشبه العقلية

الشبهة الأولى :

أن حديث الآحاد لايفيد إلا الظن ، والظن الراجح يعمل به في الأحكام اتفاقًا ولايجوز الأخذ به في الأخبار الغيبية والمسائل العلمية وهي المراد بالعقيدة .

الرد على هذه الشبهة :

أنه لوسلم لهم قولهم أن حديث الآحاد لايفيد إلا الظن ، فإنهم يسألون : من أين لكم هذا التفريق ؟ ومادليل على أنه لايجوز الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة ؟

فمن هؤلاء من يستدل بقوله تعالى في المشركين : ﴿إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس ﴾[٢]وقوله : ﴿إن الظن لايغني من الحق شيئًا ﴾[٣]

لكن المراد بالظن في هذه الآية هو الشك والخرص ، فهذا هو الظن الذي اتبعه المشركون كما قال تعالى : ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾[٤]

ولوكان الظن هو الظن الغالب الذي زعم أولئك المستدلون لم يجز الأخذ به في الأحكام أيضًا ، وذلك لسببين :

الأول : أن الله أنكره عليهم إنكارًا مطلقًا ولم يخصه بالعقيدة دون الأحكام .

الثاني : أنه تعالى ذكر في بعض الآيات أن الظن الذي أنكره على المشركين يشمل القول به في الأحكام أيضًا كما قال تعالى :

﴿سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولا أباؤنا ﴾ - فهذه عقيدة - ﴿ولاحرمنا من شيء﴾ - وهذا حكم - ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾[٥]

---

(١) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص٢٨ تحقيق حسن السقاف ط الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢ م دار الإمام النووي .

(٢)سورة النجم : الآية ٢٣

(٣) سورة النجم : الآية ٢٨

(٤) سورة الأنعام : الآية ١١٦ ، يونس : الآية ٦٦ ، الزخرف : الآية ٢٠

(٥)سورة الأنعام : الآية ١٤٨

ويفسرها قوله تعالى : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالاتعلمون ﴾[1]

فثبت مماتقدم أن الذي لايجوز الأخذ به هو الخرص والتخمين والقول بغير علم إنه يحرم الحكم به في الأحكام كما يحرم الأخذ به في العقائد ولافرق *

وإذا كان الأمر كذلك فإن كل الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام تدل أيضًا على وجوب الأخذ به في العقائد أيضًا والحق أن التفريق بين

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣٣

*ولنا هنا وقفة :

فالعلم : هو الاعتقاد والجازم المطابق للواقع انظر التعريفات ص١٩٩

والشك : ضد اليقين وهو التردد والارتياب في الأمور وعدم الثبات على رأي ، انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ج١ ص٣٠٤

الظن : أحد طرفي الشك بمعنيين شك ويقين ، انظر المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن ص٢٦٤

ويوضح كلام ابن قتيبة ماكتبه مجمع اللغة العربي ص١٧٠ حيث يقول :

الظن : مايحصل عن أمارة فهو بهذا شك إلا أنه قد يلحقه تدبير فيصير ضربًا من اليقين ولكنه دون يقين المعاينة فهو إذا ارتقى بالتدبير كان يقينًا لكنه ليس علم بل هو غلبة ظن .

ويلاحظ في استعمال القرآن للظن على أنه ضرب من يقين إن تستعمل بعده (أن) هذا إذا قويت الأمارة أما إذا ضعفت الأمارة جدًا ، فيكون الظن توهما وفي هذا يذم الظن .

الوهم : هو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمحسوس ، التعريفات ص٣٢٩

العقيدة والأحكام في وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد فلسفة دخيلةعلى الإسلام .[١]

الشبهة الثانية :

أن خبر الواحد يجوز عليه الكذب ويمكن فيه السهو وإن لم يتعمد الكذب ، ومادام الأمر كذلك فالواجب عدم القطع بصدق المخبر ولاكذبه ، بل يبقى خبره مظنونًا .

الرد :

أنه لم يقل أحد باستحالة الخطأ على جميع النقلة ،ولابتهمتهم من تعمد الكذب وفي المقابل لم يمنع من الجزم بصدق البعض إذا وجدت أمارات تدل على ذلك[٢] ويلزم من قولهم هذا أنه لاسبيل إلى تمييز الحق فيها من الباطل لأحد أبدًا .

وهذا تكذيب لله تعالى في إخباره بحفظ الذكر المنزل ، وبإكماله الدين لنا .

وفيه فساد الدين ، واختلاطه بما لم يأمر الله تعالى به قط ، وأنه لاسبيل لأحد في العالم إلى أن يعرف ماأمر الله تعالى به في دينه مما لم يأمر الله تعالى به قط ،وأنه لاسبيل لأحد في العالم إلى أن يعرف ماأمر الله تعالى به في دينه مما لم يأمره به أبدًا[٣]

الشبهة الثالثة :

قالوا : لوعلم الله صدق خبرالواحد لم يخلنا من دليل على ذلك[٤] وأننا لانجد في

---

(١)انظر حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، الألباني ص٤٧ - ٤٨ المكتب الإسلامي .

(٢) الأحكام لابن حزم ١ / ١١٩

(٣) المرجع السابق ١ / ١٣٥

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ١ / ٣٧٦

أنفسنا من خبر الواحد - وإن بلغ الغاية في العدالة - سوى ترجيح صدقه على كذبه من غير قطع وذلك غير موجب للعلم .

الرد عن ذلك بقلب ا لدليل وذلك بأن يقال :

لوعلم الله أنها كذب مع عمل الأمة بها لأقام برهانًا واضحًا على عدم صحتها .

فدل على أنها صحيحة ثابتة ، ومن أوضح الأدلة على صدقها إجماع الأمة في الجملة على العمل بها .

وأما قولهم : إننا لانجد في أنفسنا من خبر الواحد سوى ترجيح صدقه على كذبه ، فيجاب عليه أيضًا بقلب الدليل عليهم بأن يقال لهم . ونحن نجد في أنفسنا العلم بذلك [١]

ثانيًا : أدلتهم النقلية :

١ - قصة ذي اليدين ، فقد أخرج البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي قال ابن سيرين سماها أبوهريرة ، ولكن نسيت أنا ، قال : فصلى بنا ركعتين ثم سلم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ، ووضع يده اليمنى على اليسرى . . وفي القوم رجل وفي يديه طول ، يقال له ذواليدين قال : يارسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة ؟

قال : لم أنس ولم تقصر ، فقال : أكما يقول ذو اليدين ؟

فقالوا : نعم فتقدم فصلى . . . الحديث [٢]

قالوا : بأن الرسول ﷺ توقف في خبره حتى تابعه عليه غيره .

الرد على ذلك :

أن انفراد ذي اليدين بمراجعة الرسول ﷺ دون المصلين جميعًا على كثرتهم وأهميتهم وأهمية ماحدث مما يدعو الرسول إلى استبعاد حفظ ذو اليدين وتجويز الخطأ عليه [٣]

---

(١) الأحكام للآمدي ٢ / ٣٣

ولمزيد من معرفة شبههم انظر أخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ ابن جبرين ص١٢ ، وحجية الآحاد في العقيدة ورد شبهات المخالفين محمد بن عبدالله الوهيبي ص٢٧ ومابعدها ط الأولى ١٤١٥هـ دار المسلم .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد .

(٣) تدريب الراوي ١ / ٧٣

وإلا فالرسول ﷺ قد بعث رسله واحداً واحداً إلى الملوك ، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم ، وكانت الحجة قائمة بأخبارهم عنه مع عدم اشتراط التعدد .

٢- قصة أبي بكر حين توقف في خبر المغيرة في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة ، ورد عمر خبر أبي موسى في الاستئذان حتى انضم إليه أبوسعيد ، ورد أبوبكر وعمر خبر عثمان في إذن رسول الله ﷺ في رد الحكم بن أبي العاص ورد علي خبر أبي سنان الأشجعي في المفوضة ، وكان علي لايقبل خبر أحد حتى يحلفه سوى أبي بكر ، وردت عائشة خبر ابن عمر في تعذيب الميت ببكاء أهله .[1]

الرد على ماتقدم :

أن الثابت الذي لاشك فيه أن الصحابة عملوا بخبر الآحاد ، وتواتر عنهم ذلك ، فإذا روي عنهم التوقف في بعض خبر الآحاد ، لم يكن ذلك دليلاً على عدم عملهم به ، بل لريبة أووهم أورغبة في التثبت .

فمثلاً ماستدل به المخالفون من رد أبي بكر خبر المغيرة في ميراث الجدة ، فأبوبكر - رضي الله عنه - لم يرد خبر المغيرة لأنه لايقبل خبر الآحاد ، بل توقف إلى أن يأتي مايؤيده ويزيده اعتقاداً بوجود هذا التشريع في الإسلام وهو إعطاء الجدة السدس ولما كان هذا تشريعاً لم ينص عليه القرآن كان لابد للعمل به وإقراره من زيادة في التثبت والاحتياط ، فلما شهد محمد بن مسلمة أنه سمع هذا من النبي ﷺ ، لم يتردد أبوبكر في العمل بخبر المغيرة ومثل ذلك في رد عمر رضي الله عنه خبر أبي موسى ، فهو في الحقيقة درس بليغ للصحابة ومن بعدهم ممن نشأ حديثا في الإسلام ، أودخل فيه بوجوب الاحتياط في حديث رسول الله ﷺ ، ولذلك قال عمر لأبي موسى :

«أما إني لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله ﷺ »

ومثل ذلك يقال في كل ماورد من هذا القبيل ، ليس وارداً مورد عدم الاحتجاج بخبر الآحاد ، وإلا لما كان انضمام صحابي آخر إلى الصحابي الأول موجباً للعمل به إذ هو لم

---

(١)انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٤٧٤

خبر أبي موسى رواه البخاري ٢٠٦٢ في البيوع ، وخبر المغيرة في ميراث الجدة رواه مالك في الموطأ ٢ / ٥١٣ وأبوداود ٢٨٩٤ والترمذي في الفرائض رقم ٢١٠١

يخرج عن حيز الآحاد ، ولو انضم إليه اثنان أوثلاثة .[١]

ومما يزيد ذلك بيانًا أن الصحابة كان يسأل بعضهم بعضًا ، ويرد بعضهم على بعض ويخطئ بعضهم بعض ، اجتهادًا في دين الله وتحريًا لنقل آحاديث النبي ﷺ خالية من كل غلط أووهم : «وما ردوه من الأخبار أوتوقفوا فيه إنما كان لأمور اقتضت ذلك من وجود معارض أوفوات شرط لالعدم الاحتجاج بها في جنسها مع كونهم متفقين على العمل بها ، ولهذا أجمعنا على أن ظواهر الكتاب والسنة حجة وإن جاز تركها والتوقف فيها لأمور خارجة عنها .[٢]

وأختم الحديث عن خبر الواحد بطريقة أهل السنة والجماعة في الأخذ بحديث الآحاد .

أخذ أهل السنة بأحاديث الآحاد في العقائد :

يرى أهل السنة الأخذ بكل حديث صح عن النبي ﷺ في العقائد واعتقاد موجبه ، سواء كان متواترًا أم آحادًا ، إذ أن كل ماصح عن النبي ﷺ وجب القطع به واعتقاده والعمل به ، سواء أوصل إلى درجة التواتر أم لم يصل ، وسواء أكان ذ لك في الاعتقاد ات أم الأعمال والأحكام الفقهية .

يقول الإمام ابن عبدالبر - رحمه الله - :

ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ماجاء منصوصًا في كتاب الله ، أوصح عن رسول الله ﷺ ، أوأجمعت عليه الأمة ، وماجاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أونحوه يسلم له ولايناظر فيه »[٣]

يقول السفاريني :

«ويعمل بآحاد الأحاديث في أصول الديانات ، وحكى ابن عبدالبر ذلك إجماعًا »[٤]

وهذه الأخبار لولم تفد اليقين فإن الظن الغالب يستفاد بها كما يقول ابن القيم :

«إن هذه الأخبار لو لم تفد اليقين ، فإن الظن الغالب حاصل منها ، ولايمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لايمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها .

ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / السباعي ص١٧٠ - ١٧١ المكتب الإسلامي .

(٢) الأحكام للآمدي ٢ / ٧٥

(٣) جامع بيان العلم وفضله ابن عبدالبر ٢ / ٩٦ بيروت دار الكتب العلمية .

(٤) لوامع الأنوار البهية ١ / ١٩

مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته »[١]

يقول ابن تيمية رحمه الله :

وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية ، لكن منهم من يقول : لانثبت إلا مافي القرآن والسنة المتواترة ، ومالم يقم دليل قاطع على إثباته نفيناه كما يقول ابن عقيل *وغيره أحيانًا .

ومنهم من يقول : بل نثبتها بأخبار الآحاد المتلقاة بالقبول ، ومنهم من يقول : نثبتها بالأخبار الصحيحة مطلقًا .

ومنهم من يقول : يعطى كل دليل حقه ، فما كان قاطعًا في الإثبات قطعنا بموجبه وماكان راجحًا - لاقاطعا - قلنا بموجبه ، فلانقطع في النفي والإثبات إلا بدليل يوجب القطع .

وماقام دليل يرجح أحد الجانبين بينا رجحان أحد الجانبين ، وهذا أصح الفرق »[٢]

ويقول في موضع آخر :

«وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالاسفرائيني وابن فورك ، وإن كان في نفسه لايفيد إلاالظن ، لكن مما اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق ، كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أوقياس أوخبر واحد فإن ذلك الحكم يصير قطعيًا عند الجمهور وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي ، لأن الإجماع معصوم ، فأهل العلم بالأحكام الشرعية لايجمعون على تحليل حرام ولاتحريم حلال ، كذلك أهل العلم بالحديث لايجمعون على التصديق بكذب ولاالتكذيب بصدق ، وتارة يكون علم أحدهم لقرائن تحتف بالأخبار توجب لهم العلم ، ومن علم ماعلموه حصل له من العلم ماحصل لهم »[٣]

والصحيح ماعليه الأكثرون : أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة ، وقد يحصل

(١) مختصر الصواعق ٢ / ٤١٢

(٢) درء التعارض لابن تيمية ٣ / ٣٨٣

(٣) الفتاوى ١٨ / ٤٠

*هو الإمام العلامة شيخ الحنابلة أبوالوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي المتكلم صاحب التصانيف ولد ٤٣١هـ ثم انحرف عن السنة بعد أن أخذ علم العقليات من شيوخ المعتزلة . انظر سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٤٣

بصفاتهم لدينهم وضبطهم وقد يحصل بقرائن تحتف بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك »[١]

«فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء ، ومن الناس من يسمي هذا المستفيض ، والعلم هنا حصل بإجماع العلماء على صحته فإن الإجماع لايكون على خطأ ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام »[٢]

يقول الشيخ الألباني حفظه الله :

وإن من أعجب مايسمعه المسلم العاقل اليوم مايردده الكثيرون بقولهم حديث الآحاد لاتثبت به عقيدة .

وموضع العجب أن قولهم هذا هو في نفسه عقيدة ، وبناء على ذلك فإن عليهم أن يأتوا بالدليل القاطع المتواتر على هذه الشبهة التي أصبحت عندهم عقيدة ، ولادليل لهم إلا مجرد الدعوى ، ومثل ذلك مردود في الأحكام فكيف في العقيدة .

وبعبارة أخرى : لقد فروا من القول بالظن الراجح في العقيدة فوقعوا فيما هو أسوأ منه وهو قولهم بالظن الموجوح فيها ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[٣]

ولعلنا بهذا النقل نختم الحديث عن حجية خبر الواحد في العقائد بعد أن ظهر أن الحديث الصحيح لايشترط فيه التواتر بل قد يصح الحديث ويعمل به ويفيد العلم وإن كان آحاد .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨ / ٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٨ / ٧٠

(٣) الحديث حجة بنفسه الألباني ص٤٨

الخاتمة وتشتمل على :

- أهم النتائج
- أهم التوصيات

أهم النتائج

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد :

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي أوجزها في النقاط التالية :

أولاً : أن لفظ الشيعة يطلق على الجماعة

- أن الشيعة مصطلح تغير بتغير الزمن فحين كان يطلق على أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فترة من التاريخ ، ويطلق في زماننا على من يكفر عثمان والزبير وطلحة ومعاوية ويتبرأ من الشيخين .

- أن الشفاعة عند الشيعة ثابتة ولكنهم أفرطوا فيها وجعلوها ليست خاصة بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والشهداء بل فتحوا الباب على مصراعيه لكل من يوافق هواهم .

ثانيًا :

- إن مادة خرج في اللغة تعني الظهور لإبرام الأمور وأحكامها .

- إن لفظ خارجي يطلق على من يخرج بنفسه ويشرف بها من غير أن يكون له قديم .

- إن الخوارج : هم الذين خرجوا على إمام زمانهم - علي بن أبي طالب - لما حكم الحكمين .

- إن الخوازج تنكر نوعًا من أنواع الشفاعة وهو شفاعته ﷺ لأهل الكبائر بناءً على أصولهم الفاسدة .

ثالثًا :

- إن لفظة عزل تطلق ويراد بها تنحية الشيء وإمالته .

- والمعتزلة هم فرقة من القدرية وهم أصحاب العدل والتوحيد فيما يزعمون .

- إن الشفاعة عندهم ثابتة ولكن الخلاف فيمن تثبت له الشفاعة عندهم لأنهم يقولون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار .

رابعًا :

- الأشاعرة هم أصحاب أبي الحسن الأشعري الذي كان معتزليًا ورجع عن ذلك .

الماتريدية هم اتباع أبي منصور الماتريدي وهم يشبهون في غالب آرائهم الأشاعرة .

الأشاعرة والماتريدية يقرون بالشفاعة على طريقة أهل السنة والجماعة إلا أنهم يتمسكون في الإثبات بالدليل العقلي .

خامسًا :

- إن الفلسفة ترجع إلى أصل أعجمي هو فيلاسوفيا ومعناه محب الحكمة .

- أنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع عود المعدوم بعينه .

- إن الشفاعة جزء من أحداث اليوم الآخر الذي يقولون إنه عبارة عن تخيلات لتقريبها للعوام فجعلوا الشفاعة من هذا الجانب .

سادسًا :

- يرجع أصل تسمية الصوفية إلى عدة أصول منها : الصفة - الصفاء - الصف الأول - الصفَّة - الصوف ، ولعل الأخير هو الأقرب .

- التصوف هو مذهب الغرض منه تصفية القلب عن غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه .

- إن الصوفية قسمان : أصحاب طريقة الإشراق وهذه ليس لها قول في الشفاعة وأصحاب طريقة البرهان وهؤلاء يثبتون الشفاعة على مذهب الأشاعرة .

سابعًا :

- إن الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة المتواترة والصحيحة .

إن الشفاعة تنقسم إلى قسمين شفاعة دنيوية وشفاعة أخروية .

القسم الأول منه ماهو محمود ومنه ماهو مذموم . والقسم الثاني منه ا لشفاعة الثابتة المقبولة بإذن الله ومنه الشفاعة المنفية المردودة بحكم الله .

-للشفاعة شروط هي : الأذن من الله للشافع . والرضا عن المشفوع له .

- إن الشفاعة أنواع منها ماهو خاص بالنبي ﷺ وهي الشفاعة العامة - شفاعته في ا لسبق إلى الجنة - شفاعته لأهل الكبائر - ومنها ماهي عامة لغير النبي ﷺ

- والشفاعة لها أسباب ولها موانع .

فمن أسبابها الجالبة :

- توحيد الله والإخلاص له بالعبادة .
- قراءة القرآن .
- الدعاء بماورد عند الأذان
- سكنى المدينة النبوية .
- الصلاة على النبي ﷺ .
- صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم .
- كثرة السجود .

وأما الموانع فهي :

-الإتصاف بالبدع كالمرجئة والقدرية .
- الاتصاف بالكذب بالشفاعة .
- الاتصاف بكثرة اللعن .

ثامنًا : موقف أهل السنة من منكري الشفاعة يتجلى في الردود التالية :

- أن الشفاعة ثابتة بالقرآن والأخبار المتواترة .
- الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد مذهب المنكرين .
- أن أهل الحق قد جمعوا بين الآيات الواردة في نفي الشفاعة والآيات الدالة على إثبات الشفاعة .
- حجية خبر الواحد في العقائد والأحكام .

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها عبر هذه الدراسة ويمكن أن يستخلص القارئ نتائج أخرى وأسأل الله العلي القدير أن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ماينفعنا ويزيدنا علمًا وعملاً ، آمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أهم التوصيات :

١ - وجوب الاهتمام بالإيمان بالله واليوم الآخر والغيب كله لما له من أثر ولما يقوم عليه من دليل .

٢ - وجوب عناية الخطباء والدعاة من معلمين وغيرهم بهذا الجانب وحرصهم على تذكير المسلمين بأمور العقيدة لأنها هي الأساس فإذا سلمت سلم مايقوم عليها من بناء وإذا عدمت انهار البناء أوكاد .

٣- إن فصول هذه الرسالة لازالت مفتوحة قابلة للمزيد من الإضافات لأنني قد اهتممت بالخطوط العريضة وتركت لغيري ممن يوفقه الله أن يبني على مادرست وأن يضيف إليه مايفتح الله به عليه فالعلم لايعرف الكلمة الأخيرة ويتسع لغيري من الباحثين والباحثات .

٤ - أوصي من يكتب في هذا الموضوع بعدي أن يعنى بالرد على منكري الشفاعة من المعاصرين لمزيد فائدة وإسهامة في تجلية جوانب من الدين ، ولعل الله أن يهديهم فيرجعوا عن أفكارهم ويقتنعوا بالثابت بالدليل .

٥ - كذلك أوصى بإلقاء الضوء على الشفاعة في الديانات الأخرى خاصة عند النصارى وذلك لتتم الفائدة ويكتمل الموضوع .

والله من وراء القصد

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة:		
﴿الذين إن يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾	٣	٤
﴿واتقوا يومًا لاتجزي نفس عن نفس شيئًا﴾	٤٨	٢٦- ٥٩ - ٩٣ - ١١٢ - ١٢٣ - ١٧٥
﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾	٥٥	٢٢٤
﴿وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك﴾	٥٥	٢٢٤
﴿وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مخرج﴾	٧٣	٢٢٤
﴿وقالوالن تمسناالنار إلا أيامًا معدودة﴾	٨٠	١٥٧
﴿قل أتخذتم عندالله عهدًا﴾	٨٠	١٥٧
﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾	٨١	١٥٧-١٦٨
﴿وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾	١٠٢	٢٩٦
﴿ولاتنفعها شفاعة﴾	١٢٣	٢٦-١١٢
﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾	١٥٩	١١٢
﴿فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾	١٧٨	١٠١-١٦٩
﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾	٢٠٧	٩٦
﴿يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾	٢٢٢	١٨٤

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ألم ترى إلى الذين خـــرجـــوا من ديارهم وهم ألوف﴾	٢٤٣	٢٢٥
﴿من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة﴾	٢٥٤	٢٦-١٧٥-١٧٧
﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾	٢٥٥	١٦-٢٤-٢٥-٢٧٥-٢٩٢-٢٩٤-٢٩٦
﴿أوكالذي مر على قرية وهي خاوية﴾	٢٥٩	٢٢٥
﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾	٢٦٠	٢٢٥
﴿ماللظالمين من أنصار﴾	٢٧٠	١٧١
سورة آل عمران:		
﴿ذلك بأنهم قـــالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا﴾	٢٤	١٢٣
﴿ولله على الناس حج البيت﴾	٩٧	١١٧
﴿ياأيهـــا الذين آمنوا اتقـــوا الله حق تقاته﴾	١٠٢	٣
﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾	١٠٦	١١٧
﴿ليس لك من الأمر شيء﴾	١٢٨	٥٤
﴿إنك لاتخلف الميعاد﴾	١٩٤	١١٥
سورة النساء:		
﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس﴾	١	٣

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿والذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا﴾	١٠	١٥٨
﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد﴾	١٤	١١٧-١٥٦-١٦٧
﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾	٣١	٦٤
﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ﴾	٤٨	١٦٢-١٦٧
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم ﴾	٥٧	١٩٧
﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾	٥٩	١٠١
﴿فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما﴾	٦٥	٢٦٧-٢٧٢
﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾	٨٠	٨٥
﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ﴾	٨٥	١٦-٢٤-٢٥-٢٦-١٩٩-٢٨٧
﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن ﴾	٨٥	١٦-٢٤-٢٥-٢٦-٢٨٩
﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدًا﴾	٩٣	١٢٤-١٥٦-١٦٨-١٧٣
﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله﴾	١٠٠	٩٦
﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ﴾	١١٦	١٢١-١٦٢-١٦٥-٢٠٠
﴿ومن يعمل سوءًا يجز به ﴾	١٢٣	١٥٦
﴿ونؤمن ببعض ونكفر﴾	١٥٠	١٧٤
﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم﴾	١٦٠	٥٣

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة:		
﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾	٣	٢٦٩
﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	١٧	٥٤-١٦١
﴿فمن يملك من الله شيئًا إن أراد﴾	١٧	١٦١
﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	١٨	٥٤
﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾	٣٥	٨٥
﴿إذ قال الحواريون﴾	١١٢	٢٣٩
﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾	١١٨	٢٥٥
﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	١٢٠	٥٤
سورة الأنعام:		
﴿قل أءنكم لتشهدون أن مع الله﴾	١٩	٥٢
﴿ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه﴾	٢٨	٥١
﴿ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع﴾	٥١	٢٦-٢٧٦
﴿ليس لها من دون الله ولي ولاشفيع﴾	٧٠	٢٦
﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم﴾	١١٦	٣٤٥
﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾	١٢١	١١٨
﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى﴾	١٤٨	٣٤٥
﴿وأن هذا صراطي﴾	١٥٣	٢٦٧
﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا﴾	١٥٩	١١٢
سورة الأعراف:		
﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها﴾	٣٣	٣٤٦

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال﴾	٤٦	٣١٩
﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾	٥٣	٢٥-٢٦
﴿فتولى عنهم وقال ياقوم﴾	٧٩	٩٠
﴿قل لاأملك لنفسي ضرًا ولانفعًا﴾	١٨٨	٥٤
سورة التوبة:		
﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا﴾	٣١	٥٥
﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾	١٢٨	١٦٦
﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾	١٠٥	٦٣
سورة يونس:		
﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق﴾	٢	٦٧
﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾	٣	٢٦-٢٧٥-٢٩٤
﴿ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم﴾	١٨	٢٥-٢٦-٢٧-٢٩١-٢٩٥
﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾	٢٦	١٢٥
﴿والذين كسبوا السيئات جزاء﴾	٢٧	١٢٥-١٥٨
﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم﴾	٦٦	٣٤٥
سورة هود:		
﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي﴾	٤٧	٢٩٧

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يقدم قومه يوم القيامة ﴾	٦٨	٧٠
﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾	١١٤	١٢١ - ١٦٧
﴿وأما الذين شقوا ﴾	١٠٦	١٦٨
﴿أما الذين سعدوا﴾	١٠٨	١٦٨
سورة يوسف:		
﴿إن الحكم إلا لله﴾	٤٠-٦٧	٥٤
سورة إبراهيم:		
﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾	١٠	٢٥٥
سورة النحل:		
﴿فاسئلوا أهل الذكر ﴾	٤٣	٣٤١
﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾	٥٩-٦٠	٥٢
﴿ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾	٦١	٥١-١٥٨
﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً ﴾	٨٩	٢٦٩
سورة الإسراء:		
﴿ولاتقف ماليس لك به علم ﴾	٣٦	٣٤١
﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾	٥٦-٥٧	٣٠٠
﴿يوم تدعوا كل أناس بإمامهم ﴾	٧١	٧٠
﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾	٧٩	٢٠٥-٢٥٥-٣٠٣

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الكهف:		
﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت﴾	١٠٧	٢٠٦
سورة مريم:		
﴿وأعتزلهم ومايدعون من دون الله﴾	٤٨	١٤٦
﴿ونذر الظالمين فيها جثيًا﴾	٧٢	١٥٨
﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن﴾	٧٨	٢٣٨
﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم﴾	٨٦	١٥٨
﴿لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ﴾	٨٧	٢٦-٦٧
سورة طه:		
﴿فلاتسمع إلا همسًا﴾	١٠٨	٦٠
﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له﴾	١٠٩	٢٠٢-٢٧٥
﴿وقد خاب من حمل ظلمًا﴾	١١١	١٥٦
سورة الأنبياء:		
﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٣-٨	١٢١-١٦٥
﴿وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه﴾	٢٥	٥٢
﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى﴾	٢٨	٢٤-٢٦-٦٤-٧٤-١٧٦-١٢٣-١٧٧-٢٠٢-٢٠٥-٢٥٥-٢٧٥-٢٨١-٢٩٨

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يدعوننا رغبا ورهبا﴾	٩٠	٢٥٣
﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب﴾	٩٨	١٥٧
﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾	١٠٤	٢٢٥
سورة الحج:		
﴿ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾	٥-٧	٢٢٤
﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه﴾	٦	٢٢٦
سورة المؤمنون:		
﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾	١٠٥	١١٨
﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا﴾	١١٥-١١٦	٢٢٤-٢٢٦
سورة النور:		
﴿ولاتأخذكم بهما رأفة﴾	٢	١٦٦
﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	٤٢	٥٤
﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾	٥٥	١٢٠
سورة الفرقان :		
﴿والذين لايدعون مع الله إله آخر﴾	٦٨	١١٧

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء :		
﴿فمالنا من شافعين ولاصديق حميم﴾	١٠٠-١٠١	٢٦-٦٧-٩٤-٢٥٥-٣٠٠
﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾	١١٢	١٤٠
﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾	٢١٤	٢٩٨
سورة النمل :		
﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾	٤٠	٥٥
﴿قل الحمد لله وسلام على عباده﴾	٥٩-٦٠	٦٢
﴿أءله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾	٦١	٥١
﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾	٨٩-٩٠	١٥٦
سورة القصص:		
﴿فخرج منها خائف يترقب﴾	٢١	١٠٤
سورة العنكبوت:		
﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾	٤١	٢٩٥
سورة الروم:		
﴿ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع﴾	١٣	٢٥-٢٦
﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾	١٠٤	٢٢٥
سورة السجدة :		
﴿مالكم من دونه من ولي ولاشفيع﴾	٤	٢٦-٢٩٤

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وأماالذين فسقوا فمأواهم النار﴾	٢٠	١٧١
سورة الأحزاب:		
﴿وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى ﴾	٣٦	٢٧٢
﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾	٤٣	١٦٦
﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ﴾	٤٥-٤٦	٢٩٦
﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا ﴾	٧١	٣
سورة سبأ:		
﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾	٢٢	٢٩٥
﴿ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾	٢٣	٢٩٥-٦٦
سورة فاطر:		
﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم ﴾	٣٦	١٧١
سورة يس:		
﴿إن يردن الرحمن بضر لاتغن شفاعتهم ﴾	٢٣	٢٧
﴿من يحي العظام وهي رميم ﴾	٧٨	٢٢٦
﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾	٧٩	٢٢٦-٢٢٥
سورة ص:		
﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم﴾	٨٥	١٧٢

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر:		
﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾	١٩	١٧٠-١٧٦
﴿والذي جاء بالصدق﴾	٣٣	٦٧
﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾	٤٣	٢٦-٢٧٩-٢٩١-٢٩٤
﴿قل لله الشفاعة جميعًا﴾	٤٤	٢٤-٢٧٦-٢٧٩-٢٩٢-٢٩٣
﴿وإذا ذكر الله وحده - وإذا ذكر الذين من دونه﴾	٤٥	٥٦
﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا﴾	٥٣	١٢١-١٦٥
سورة غافر:		
﴿غافر الذنب﴾	٣	٢٠٠
﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾	٧-٩	٧٧
﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم﴾	١٢	٥٦
﴿ماللظالمين من حميم ولاشفيع﴾	١٨	٢٥-٢٦-٦٤-٦٥-١٢٣-١٧٠-١٧٥-١٧٧-٢٧٦
﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده﴾	٦٢	٥٠
سورة فصلت:		
﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾	٣٩	٢٢٦

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشورى :		
﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾	٧	١٦٨
﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾	٢٥	٢٠٠
﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	٤٩	٥٤
سورة الزخرف:		
﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم ﴾	٢٠	٣٤٥
﴿لايفترعنهم وهم فيه مبلسون ﴾	٧٥	١٧١
﴿ولايملك الذين يدعـــون من دونه الشفاعة ﴾	٨٦	٢٧٦-٢٩٥
سورة الأحقاف:		
﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله ﴾	٥	٢٨٩
سورة الجاثية :		
﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	٢٧	٥٤
سورة محمد:		
﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾	١٩	٢٠٦
سورة الفتح :		
﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	١٤	٥٤

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجرات:		
﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق ﴾	٦	٣٤١
﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾	٩	١٠١-١٣٠
سورة ق:		
﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنابه﴾	٩-١٠-١١	٢٢٦
﴿مايبدل القول لدي ﴾	٢٩	١١٥
سورة الذاريات:		
﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾	٤٩	١٥
سورة الطور:		
﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾	٢٥	١٨١
سورة النجم:		
﴿إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس﴾	٢٣	٣٤٥
﴿وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم ﴾	٢٦	٢-٢٧٦-٢٩١-٢٩٨-٣٢١
﴿إن الظن لايغني من الحق شيئًا﴾	٢٨	٣٤٥

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحديد:		
﴿أولئك هم الصديقون﴾	١٩	٦٧
سورة الحشر:		
﴿وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه﴾	٧	٥٣
سورة الجن:		
﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهنم﴾	٢٣	١٢٦-٢٨٦
سورة المدثر:		
﴿فماتنفعهم شفاعة الشافعين﴾	٤٨	٢٦-١٧٤-١٧٧-٢٠٦-٢٧٦-٢٩١-٣٠٠
سورة المرسلات:		
﴿هذا يوم لاينطقون﴾	٣٥	١٨٠
سورة الانفطار:		
﴿وإن الفجار لفي جحيم يصلونها﴾	١٤-١٦	١٧١
سورة المطففين:		
﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا﴾	١	١٥٨

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفجر:		
﴿والشفع والوتر﴾	٣	١١-٢٥
سورة الليل:		
﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب﴾	١٥-١٦	١٦٧
سورة الضحى:		
﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾	٥	٢٥٢-٢٥٥
سورة الزلزلة:		
﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾	٧	١٦٠

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	رقم الصفحة
(أ)	
أتشفع في حد من حدود الله	٢٩٠
أتاني آت من عند رب فخيرني	٢٩
آتي باب الجنة	٣٠٩
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول	٣٠-٣٢٨-٣٢٩
إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض	٣١٣
أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة	٢٩٩
اشفعوا تؤجروا ويقض الله	٢٨٨
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي	٢٩-٢٥٥
اعملوا بالقرآن ، أحلوا حلاله وحرموا حرامه	٣٢٧
اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة	٣٢٤
ألاتأمنوني وأنا أمين من في السماء	٩٩
اللهم اغفرلأبي سلمة وارفع درجته	٣١١
اللهم اغفرلعبدالله بن قيس ذنبه	٣١١
أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم	٢٨٠
أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عزوجل	٢٥٥
امربقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار	٣١٧
أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة	٣٠٩
أنا أول شفيع في الجنة	٣٠٩
أنا أول الناس يشفع في الجنة	٣٠٨
أنا سيد الناس يوم القيامة	٢٩-٣٠٤

الحديث	رقم الصفحة
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	٢٨٠
إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة	٣٢٢
أن سورة من القرآن ثلاثون آية	٣٢٤
إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	٢٨١
إن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت	٢٩٠
إن اللعانين لايكونون شهداء	٣٢١
أهون أهل النار عذابًا أبوطالب	٣١٠
أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة	١٠١
(تـ)	
تركت فيكم أمرين لن تضلوا	٢٥٨
تعس عبد الدينار تعس عبدالدرهم	٢٨
(ح)	
الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته	٣٢٥
حتى إذا خلص المؤمنون من النار	٣٢٢
الحياء لايأتي إلا بخير	٢٦٨
(خ)	
خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي	٢٠٤
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم	٢٦٢
خير هذه الأمة بعد نبيها	٣٩

الحديث	رقم الصفحة
(ر)	
رب سلم سلم	٣٢٠
رجلان لاتنالهما شفاعتي يوم القيامة	٣٣١
(س)	
السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب	٣١٩
سألت رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال : أنا فاعل	٨٦
ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون	١٠٢
السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله	١٧٩
سيخرج قوم في آخر الزمان	١٠٨
(ش)	
شفاعتي لأهل الكبائر	٢٨-٩٣-١٨٦-٢٠٣-٢٠٤-٢١٦
شفعت الملائكة وشفع النبيون	٢٨-٣٢١
(ص)	
صغارهم دعاميص الجنة	٣٢٣
صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي	٣٤٨
صنفان من أمتي لاتنالهما شفاعتي	٣٣١
صنفان من أهل النار لم أرهما	١٢٧
الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة	٣٢٥-٣٢٧

الحديث	رقم الصفحة
(ط)	
طوبى لمن قتلهم أوقتلوه	١٠٠
(ع)	
عرضت علي الأمم فأخذ النبي معه	٣١٢
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء	٢٥٨
(ف)	
فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت له ساجداً	٢٩٨
فأعني على نفسك بكثرة السجود	٣٣٠
فإن من فارق الجماعة شبراً فمات	٢٥٨
فيقول الله عزوجل شفعت الملائكة	٢٨٠
(ق)	
قاربوا وسددوا واعلموا أنه	٢٣٨
القرآن شافع مشفع	١٥
(ك)	
كنت في غنم لي فجاء رجلان على بعير فقالا	١٤
(ل)	
للشهيد عند الله ست خصال	٣٢٣
لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة	٣١٠
لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب	٢٧٩

الحديث	رقم الصفحة
لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته	٢٩
لكل نبي دعوة مستجابة فأريد	٢٥٥
لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي	٢٩٩-٣٢٧
لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب	٨٢
ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي	٣٢٢
ليس منا من يأتينا بطينا ويأتي جاره	١٨٣
(م)	
مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون	٣٢٩
مامن صاحب كنز لايؤدي زكاتها	١٦٦
مامن الناس مسلم يموت له ثلاث من الولد	٣٢٣
مامن ميت تصلي عليه أمة من المسلمين	٣٢٩
المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه	٢٨٨
من أخذ رأيًا ليس في كتاب الله	٢٦٨
من أخذ شبرًا من أرض	١٥٩
من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم	١٢٧
من بدل دينه فاقتلوه	١٢٩
من تحس سمًا وقتل نفسه	١٧٣
من تردى من جبل فقتل نفسه	١١٨
من حافظ على شفعة الضحى	١٣
من شرب الخمر في الدنيا ، ولم يتب لم يشربها	١٥٩
من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة	١٢٦
من صلى علي حين يصبح عشرة وحين يمسي	٣٢٩
من غش العرب لم يدخل في شفاعتي	٣٣١

الحديث	رقم الصفحة
من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة	٣٢٧
من قال لاإله إلا الله دخل الجنة ، قال أبوذر	١٧٤
من قال لاإله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنا	١٨٣
من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده	١٧٣
من كذب بالشفاعة فليس له فيها	٣٣١
(ن)	
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة	٣٠٩
نضر الله عبداً سمع مقالتي وحفظها	٣٤١
(هـ)	
هل نفعت أباطالب بشيء فإنه كان يحوطك	٣١٠
(و)	
والله لايؤمن والله لايؤمن	١٥٩
. . وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين	٢٦٣
ومن غشنا فليس منا	١٨٣
ومن قتل نفسه بحديدة فهو	١١٨
(ي)	
يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك	٣٠٦
ياعباس ألاتعجب من حب مغيث بريرة	٢٨٨
ياكعب بن عجرة أعندك بالله من أمارة السفهاء	١٧٩
يامعشرقريش اشتروا أنفسكم	٢٩٨

الحديث	رقم الصفحة
يجيء صاحب القرآن يوم القيامة	٣٢٤
يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون	٣١٩
يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقولون	٣١٥
يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم	١٠٠
يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ	٣١٥
يد الله مع الجماعة ومن شذ	٢٦٣
يدخل الجنة زمرة هم سبعون ألفا تضيء	٣١٢
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب	٣١٢
يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته	٣٢٣
يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان	٩٩
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية	١٠٢
ينصب للأنبياء يوم القيامة منابر من ذهب	٣١٦

(لا)

لاألفين أحدكم يوم القيامة على	١٧٩
لاتحسبوها للمتقين وإنما هي للخاطئين	٢٠٤
لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله	١٢٩
لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث	١٢٩
لايدخل الجنة إلا مؤمن	١٦٧
لايدخل الجنة قاطع	١٢٦
لايدخل الجنة نمام	١٧٣
لايزني الزاني وهو مؤمن	١٨٢
لايصبر أحد على لأوائها فيموت بها	٣٢٨
لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد	٣٢٣

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

- الإبانة عن أصول الديانة الأشعري ، تحقيق فوقية محمود .
الإبانة عن أصول الديانة الأشعري ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ط١ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م دار البيان .
- ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره ، محمد الحربي ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م عالم الكتب .
- اتحاف السادة المتقين ، الزبيدي ط الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م دار الكتب العلمية .
- الاتقان للسيوطي ، القاهرة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م
-الأحكام للآمدي ، تحقيق عبدالرزاق عفيفي ، ١٤٠٢هـ دمشق ، بيروت
- الأحكام في أصول الدين لابن حزم ، مكتبة عاطف .
- إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار القلم
- أخبار الآحاد في الحديث النبوي ، عبدالله بن جبرين ط الأولى ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م دار طيبة .
- الأذكار ، للنووي دار الفكر
- آراء المعتزلة الأصولية ، علي بن سعد الضويحي ط الأولى ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م مكتبة الرشد .
- الأربعين في أصول الدين الرازي ، تحقيق أحمد حجازي السقا ط الأولي ١٤٠٦هـ مكتبة الكليات الأزهرية ، دار التضامن
- الإرشاد ، للجويني ، تحقيق أسعد تميم ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م مؤسسة الكتب العربية .
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، صالح الفوزان طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠هـ

- أساس البلاغة ، الزمخشري ط الثانية ١٩٧٢م دار الكتب .
- أساس التقديس ، محمد بن عمر الرازي مطبعة كردستان العلمية مصر
- الاستغاثة ، ابن تيمية ، تحقيق عبدالحميد شانوحة ، ط الأولى ، دار المطبوعات الحديثة
- الاستغاثة : المعروف بالرد على البكري لابن تيمية ١٣٤٦هـ المطبعة السلفية .
- الأسماء والصفات ، للبيهقي ، دار الكتب العربية .
-الإشارات والتنبيهات لابن سينا ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف القاهرة
- أشراط الساعة ، يوسف بن عبدالله الوابل ، دار ابن الجوزي .
- الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية عبدالفتاح أحمد فؤاد ١٩٩٠م دار المعرفة الجامعية .
- أصول الدين البغدادي ط الأولى ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م مطبعة الدولة استانبول
- أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية ، عائشة يوسف المناعي .
- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة محمد بن عبدالرحمن الخميس ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م دار الصميعي .
- أصول مذهب الإمام أحمد ، الدكتور عبدالله التركي
- أصول مذهب الشيعة ، القفاري ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٩٤م دار النشر مكتبة العبيكان .
-الأصول من الكافي ، للكليني ، صححه وعلق عليه علي أكبر القفاري، دار الأضواء .
- أضواء البيان ، للشنقيطي ، عالم الكتب .
- أضواء على الشيعة ، الهادي حمو ، دار التركي للنشر
- الاعتصام ، للشاطبي ، مطبعة السعادة ، مصر .
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الرازي ، علق عليه محمد البغدادي ، دار الكتاب العربي .
-الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، أبي بكر البيهقي ، تحقيق السيد الجميلي ، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م دار الكتاب العربي .
- الأعلام للزركلي بيروت ١٩٨٤م دار العلم للملايين .
- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة .

- أعلام العرب في العلوم والفنون عبدالصاحب عمران الوجيلي ط الثانية .
- إغاثة اللهفان لابن القيم تحقيق محمد سيد كيلاني ، النور الإسلامية .
- أمالي الطوسي قدم له محمد صادق ، بحر العلوم ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م مطبعة النعمان ، النجف الأشرف .
- الإمام محمد بن نصر المروزي جهوده في بيان عقيدة السلف موسم بن منير بن مبارك النفيعي ط الأولى ١٤١٦هـ دار الوطن .
- الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد أبي الحسين عبدالرحيم الخياط المعتزلي ، تحقيق تيبرج ١٩٨٧م دار الندوة الإسلامية .
- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين (١٣ - ١٤) وآثارهما في حياة الأمة علي بن بخيت الزهراني ، دارالرسالة .
- الإنصاف للباقلاني ، تحقيق عماد الدين حيدر ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م عالم الكتب
- أهم الفرق الإسلامية ، محمد الطاهر النيفر ، تحقيق كمال الحوت ، الشركة التونسية .
- أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة ، أحمد النجمي .
- إيثار الحق على الخلق ، أبي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني مكتبة العلم ، جدة ، مكتبة ابن تيمية .
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم ابن عجيبة ، تقديم ، محمد أحمد حب الله ، دار المعارف .
- الإيمان ، لابن تيمية ، تحقيق حسين يوسف الغزال ط الثالثة ١٩٨٦م دار إحياء العلوم .

(ب)

- الباعث على إنكار البدع والحوادث أبي شامة ، تحقيق عثمان عنبر ط الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م دار الهداية مطبعة السعادة .
- البستان (معجم لغوي) عبدالله البستاني اللبناني ، المطبعة الأمريكانية .
- بحار الأنوار ، محمد بن باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء .
- بد العارف ، ابن سبعين ، تحقيق د. جورج كتورة دار الأندلس .

- البداية والنهاية ، لابن كثير ط الثالثة ١٩٨٠م مكتبة المعارف .
البداية والنهاية ، لابن كثير ط الثانية ١٩٧٤م ، ١٣٩٤هـ مكتبة المعارف .
- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان عباس منصور السكسكي الحنبلي ، تحقيق خليل الحاج ط الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م دار التراث العربي .
- البعث والنشور ، البيهقي ، تحقيق عامر حيدر ط الأولى ١٤٠٦هـ١٩٨٦م ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية .
-البينات في الرد على أباطيل المراجعات محمد الزعبي ط١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

(ت)

- تاج التراجم أبي الفداء قاسم بن قطلوبغا السوددانى
- تاج العروس ، للزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي .
- تاريخ التصوف في الإسلام قاسم غنى ١٩٧٠م مطبعة مصر
- تاريخ الفرق الإسلامية علي مصطفى الغرابي ط الأولى ١٩٤٨م مطبعة السعادة .
- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام محمد أبوريان ١٩٧٤م دار الجامعات المصرية .
- تاريخ الفلسفة العربية حنا الفاخوري - خليل الجراح ط الثانية ١٩٨٢ دارالجيل .
- تاريخ الفلسفة في الإسلام ث . . ج دي بور تعريب محمد أبوريدة ط الرابعة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- تأسيس الشيعة ، حسن الصدر مؤسسة النعمان .
- تأويلات أهل السنة للماتريدي ، تحقيق إبراهيم عوضين - السيد عوضين ١٩٧٦م القاهرة .
-التأويل الإسماعيلي الباطني عبدالعزيز سيف النصر ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
- تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الكتب العلمية
- تبصرة الأدلة النسفي .
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م دار الكتاب العربي

- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، دار الكتب العلمية
- تدريب الراوي السيوطي ، تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف ١٣٩٩ بيروت ، دار الكتب العلمية .
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للقرطبي ، دار الرياض للتراث
-ترتيب المدارك ، عياض بن موسى بن عياض ، محمد الطيخي ١٩٨٣م وزارة الأوقاف المغرب .
- تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة ، محمد أمان الجامي ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م مكتبة ابن الجوزي .
- التصوف طريقًا وتجربة ومذهبا ، محمد كمال إبراهيم جعفر ١٩٨٠م دار المعرفة .
- التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م إدارة ترجمان السنة .
- التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبي بكر محمد الكلاباذي ، ط الأولى ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية .
التعرف لمذهب أهل التصوف تعليق أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية .
التعرف لمذهب أهل التصوف تعليق محمد النواوي ط الثالثة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م المكتبة الأزهرية .
- التعريفات للجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ط الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م دار الكتاب العربي .
- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الشعب
- تفسير القرطبي ط الثالثة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م دار الكتاب العربي
- التفسير الكبير للفخر الرازي ط الأولى دار الفكر
- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ط الرابعة دار المنار
- تفسير النسفي ، عبدالله بن أحمد النسفي دارالكتاب العربي
- التفسير والمفسرون ، الذهبي ط الثانية ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م دار الباز
- تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، مطبعة المدني
- تلخيص الشافي الطوسي قدم له حسين بحر العلوم ط الثالثة ، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م دار الكتب الإسلامية .

- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، الباقلاني ، تحقيق عماد الدين حيدر مؤسسة الكتب الثقافية .
- التمهيد لابن عبدالبر تحقيق محمد بوخبزة ، الدار البيضاء ١٣٩٧هـ - ١٤١٠هـ ، ١٩٦٧م - ١٩٩٠م
- التمهيد لقواعد التوحيد ، ابن المعين النسفي ، تحقيق جيب الله حسن أحمد ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م دار الطباعة
- التنبيه والرد ، الملطي ، علق عليه الكوثري ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م دار الثقافة
- تهافت الفلاسفة ، الغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ، ط السادسة دار المعارف
- التهذيب ، للذهبي
- تهذيب التهذيب ، لابن حجر
- تهذيب السنن لابن القيم ، تحقيق أحمد شاكر ، محمد فقي
- تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق عبدالحليم النجار ، الدار المصرية
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي .
- تيسير العزيز الحميد ، سليمان بن عبدالوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة
- تيسير مصطلح الحديث ، محمود الطحان ط الثامنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م مكتبة المعارف .

(ج)

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- جامع الأصول ، ابن الأثير ط الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م دار الفكر
- جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبدالبر ، بيروت دار الكتب العلمية
- جامع البيان في تفسير القرآن ابن جرير ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار الحديث
- الجامع الصغير للسيوطي المكتب الإسلامي
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، الملقب بـ ستور العلماء ، عبدالنبي عبدالرسول الأحمد نكري ط الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م مؤسسة منشورات الأعلمي .

-جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى اغتيال السادات ، اللواء حسن صادق ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م مكتبة مدبولي .
- جمهرة اللغة لابن دريد ط الأولى ١٣٤٥هـ دار صادر
-جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، الألوسي البغدادي مطبعة المدني
- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جمع عبدالرحمن بن قاسم ط الثانية ١٤٠٥هـ مؤسسة فؤاد بعينو
- حاشية السيالكوتي على شرح المواقف
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للإمام أبو القاسم الأصبهاني تحقيق محمد ربيع المدخلي ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م دار الراية
- حجية الآحاد في العقيدة ورد شبهات المخالفين ، محمد الوهيبي ط الأولى ١٤١٥هـ دار المسلم
- حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، الألباني المكتب الإسلامي
- الحسنة والسيئة ، ابن تيمية دار المعرفة
الحسنة والسيئة ، ابن تيمية تحقيق محمد الخشت ، دارالكتاب العربي
- الحق الدامغ ، أحمد بن أحمد الخليلي (مصور)
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للأصفهاني ط الثالثة ، دار الكتاب العربي بيروت
- الحور العين ، نشوان الحميري ، حققه كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي مصر

(خ)

- الخطط المقريزية ، للمقريزي ، مكتبة المثنى
- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ، ناصر العقل ط الأولى ١٤١٦هـ دار الوطن
- الخوارج الحروريون أحمد حجازي السقا مكتبة الكليات الأزهرية
- الخوارج في العصر الأموي نايف محمود معروف ، دارالطليعة للطباعة والنشر
- الخوارج في المغرب الإسلامي ، محمود إسماعيل ١٩٧٦م دار العودة

الخوارج، مصطفى حلمي ط الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م دار الأنصار

(د)

- دائرة المعارف الإسلامية ، انتشار جهات
- دائرة المعارف القرن (الرابع عشر - العشرين) محمد فريد وجدي ط الثالثة ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٧م مطبعة دائرة
- درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، الرياض جامعة الإمام ١٤٠٣هـ
- دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، أحمد جلي ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
- دراسات في الصوفية نشأتها وتطورها
- دراسات في عقائد الشيعة الإمامية ، السيد محمد علي الحسيني ، مؤسسة النعمان
- دراسات في الفرق ، صابر طعيمة ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م مكتبة المعارف ، الرياض
- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، عرفان عبدالحميد ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة .
- دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة عبدالله الأمين ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م دار الحقيقة -بيروت
- الدرة فيما يجب اعتقاده ، ابن حزم ، تحقيق أحمد بن ناصر الحمد ، سعيد بن عبدالرحمن القزقي .
- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ، تحقيق حسن السقا ، ط الثالثة ، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م دار الإمام النووي .
- دقائق التفسير ، ابن تيمية ط الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مطبعة التقدم
- الدين الخالص ، السيد محمد صديق حسن ، دار التراث

(ذ)

- رجال الشيعة في الميزان ، عبدالرحمن الزرعي ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م دار الأرقم ، الكويت
- رجال النجاشي طبع بومباي سنة ١٣١٧هـ

- الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري ط الأولى ١٤٠٦هـ دار القلم ، بيروت .
- الروح ، ابن قيم الجوزية ، مكتبة المدني
- الرد على الأخنائي ، ابن تيمية ، تحقيق عبدالرحمن المعلمي ١٤٠٤هـ، دار البحوث العلمية .
- رسالة أضحوية في أمر المعاد ابن سينا ، تحقيق سليمان دنيا ط الأولى ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م دار الفكرالعربي .
- رسالة إلى أهل الثغر، الأشعري ، تحقيق محمد السيد الجليند ، مكتبة العلوم والحكم .
- رسالة العدل والتوحيد ، يحيى بن الحسن ، تحقيق محمد عمارة ، دار الهلال
- رسالة في أصل الاعتقاد ، عمر الأشقر ، الدار السلفية
- الرسالة القشيرية ، القشيري ، تحقيق رزين وعلي بلطه جي ، ط الثانية ١٤١٠هـ دار الجيل .
- الرسالة ، الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر ١٣٥٨هـ ١٩٨٩م
- رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، ابن تيمية ، تحقيق مرشد محمد ١٩٨٤م - ١٤٠٥هـ مكتبة القدس .
- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية الحسن بن عبدالمحسن المشهور بأبي عذبة ، تحقيق عبدالرحمن عميرة ، عالم الكتب .

(ز)

-زاد المسير في علم التفسير ، أبي الفرج ابن الجوزي ط الأولى المكتب الإسلامي .

(س)

-سبل السلام ، الصنعاني ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- سلسلة الأحاديث الضعيفة ، الألباني ، المكتب الإسلامي
- سنن أبي داود
-السنة لابن أبي عاصم

- سنن الترمذي
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، السباعي ، المكتب الإسلامي
- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ط السابعة ١٤١٠هـ ١٩٩٠ م مؤسسة الرسالة .

(ش)

- شبهات حول الشيعة ، عباس علي الموسوي ، دار ومكتبة الرسول
- شذرات الذهب ، ابن العماد ، بيروت ط الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٦٩م
-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي
- شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبدالجبار ، تحقيق عبدالكريم عثمان ١٩٨٨م مكتبة وهبة
- شرح السنة ، البغوي ، المكتب الإسلامي
- شرح صحيح مسلم ، النووي راجعه خليل الميس ، ط الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م دار القلم .
- شرح العقائد النسفية ، التفتازاني ، حققه : كلود سلامة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي .
- شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز ، تحقيق الألباني وجماعة من العلماء ط الثانية المكتب الإسلامي .
شرح العقيدة الطحاوية تحقيق التركي
- شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
شرح العقيدة الواسطية ابن عثيمين ، خرج أحاديثها سعد الصميل ط الثانية ، ذوالقعدة ١٤١٥هـ دار ابن الجوزي مكتبة شمس
- شرح كتاب الفقه الأكبر ملا علي القارئ دار الكتب العلمية
شرح كتاب الفقه الأكبر مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر
- شرح المقاصد مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق عبدالرحمن عميرة ط الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م عالم الكتب .
- شرح المواقف ، الشريف الجرجاني ط الأولى ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م مطبعة السعادة منشورات الشريف الرضى

- الشريعة ، الآجري ، أنصار السنة المحمدية .
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق محـــمد أبو الفضل إبراهيم ط الثانية ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م عيسى البابي الحلبي
-الشفاعة ، عبدالرحمن بن يوسف بن حسين ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م مكتبة مدبولي .
- الشفاعة عند أهل السنة ، ناصر الجديع ، دار أطلس للنشر والتوزيع
- الشفاعة ، الوادعي ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م مكتبة ابن عباس
- الشيعة في الميزان ، محمد جواد مغنية دار التعارف ، بيروت
- الشيعة في الميزان ، محمد يوسف النجرامي ، دار المدني
- الشيعة وأهل البيت ، إحسان إلهي ظهير ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م إدارة ترجمان السنة
- الشيعة وتحريف القرآن ، محمد مال الله ط الثالثة رمضان ١٤٠٩هـ مكتبة ابن تيمية .
- الشيعة والتشيع إحسان إلهي ظهير ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م إدارة ترجمان السنة .
- الشيعة والتصحيح ، موسى الموسوي ١٩٨٨م

(ص)

- الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبدالهادي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م إدارة البحوث العلمية
- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ط الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م دارالملايين .
- صحيح البخاري ، دار الفكر
- صحيح سنن أبي داود ، الألباني مكتب التربية لدول الخليج العربي
- صحيح سنن ابن ماجة الألباني مكتب التربية لدول الخليج العربي
-صحيح سنن الترمذي الألباني مكتب التربية لدول الخليج العربي
- صحيح مسلم
- الصراع بين الإسلام والوثنية عبدالله القصيمي ط الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

- الصفدية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ١٩٣٦م مطابع حنيفة - الرياض / مكتبة ابن تيمية .
- الصوفية عقيدة وأهداف ليلى بنت عبدالله ط الأولى ١٤١٠هـ دار الوطن
- الصوفية في نظر الإسلام سميح عاطف الزبن ، دار الكتاب ا للبناني
- صون المنطق للسيوطي تحقيق سامي النشار دار الكتب العلمية
- الصواعق المرسلة ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق علي دخيل الله ط الأولى ١٤٠٨هـ دار العاصمة .

(ط)

- طبقات الأولياء ابن الملقن ، تحقيق نور الدين شريبة دار المعرفة
-طبقات الأولياء لابن الملقن دار التأليف
- طبقات الصوفية ، السلمي ، دار الكتاب العربي القاهرة
- طبقات الصوفية السلمي ، تحقيق نور الدين شريبة ط الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م دار الكتاب النفيس مصر .

(ع)

- العدل الإلهي مرتضى المطهر .
- العقل وفهم القرآن ، الحارث المحاسبي ، حققه حسين القوتلي ، دارالكندي ، دار الفكر .
- عقيدة الإمام ابن عبدالبر ، سليمان الغصن ، دار العاصمة .
- عقيدة أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ، وأبي زرعة عبيدالله بن عبدالكريم . جمع أبي عبدالله محمود الحداد .
- عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي ، محمد أحمد عبدالقادر ، تقديم : أحمد محمود صبحي ، دار المعرفة .
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، أبي عثمان الصابوني ، تحقيق ناصر الجديع ط الأولى ١٤١٥هـ دار العاصمة .
- عقيدة الشيعة دوايت م . رونلدس تعريب ع . م ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠ م مؤسسة المفيد .
- العقيدة في الله ، عمر الأشقر ط الثانية ١٩٧٩م مكتبة الفلاح .

-العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، الجويني ، تحقيق أحمد حجازي ، السقا ، ط الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مكتبة الكليات الأزهرية .
العقيدة النظامية الجويني صححها الكوثري ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م مطبعة الأنوار .
-العقيدة والشريعة جولد تسهير نقله للعربية محمد يوسف موسى ، علي حسن عبدالقادر ، عبدالعزيز عبدالحق ط الثانية ، دار الكتب الجديثة .
- عوارف المعارف ملحق مع إحياء علوم الدين ، دار القلم
عوارف المعارف السهروردي ، تحقيق عبدالحكيم محمود - محمود بن الشريف ، مطبعة السعادة .
عوارف المعارف السهروردي ، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م مطبعة القاهرة

(غ)

- الغنية لطالب طريق الحق ، عبدالقادر الجيلاني مكتبة سليمان الصنيع ، مطبعة الميرية .

(ف)

- الفائق في غريب الحديث محمود عمر الزمخشري ، تحقيق البجاوي محمد أبوالفضل ط الثانية عيسى الباب الحلبي وشركاه
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر / دار المعرفة .
- فتح القدير ، الشوكاني ، دار الفكر
- الفرق الإسلامية ، محمود البشبشي ط الأولى ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م ، المطبعة الرحمانية .
-الفرق بين الفرق ، البغدادي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ١٩٦٥م بيروت ، دار المعرفة .
- فرق الشيعة ، النوبختي ط الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م دارالأضواء
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، تحقيق محمد نصر - عبدالرحمن عميرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الجيل .
- الفصول المهمة في معرفة أصول الأئمة ، علي بن محمد بن أحمد المالكي .
- الفوائد ، ابن القيم ط السادسة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م دار النفائس
- فلسفة ابن رشد محمد بن أحمد ط الثالثة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م المكتبة المحمودية

التجارية .
- الفناء في المشاهدة ، محمد بن العربي ط الأولى مطبعة دائرة المعارف العثمانية .
- الفهرست لابن النديم .

(ق)

-قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ابن تيمية علق عليه السيد الجميلي ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الكتاب العربي .
- قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ، ابن تيمية ، تحقيق سليمان الغصن ، دار العاصمة .
- قاموس اللغة أوإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الحسين بن محمد الدامغاني ط الثالثة مايو ١٩٨٠م دار العلم للملايين .
- القاموس المحيط الفيروزآبادي ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت .
- قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم أحمد سليمان معروف ط الأولى ١٩٨٨م دار طلاس
- القصد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين حسين بن غنام تحقيق إبراهيم يوسف ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
- قضايا الفكر الإسلامي ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مكتبة دار العلوم .
- قواعد التصوف أحمد بن أحمد بن زروق صححه محمد زهري النجار ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م مكتبة الكليات الأزهرية .

(ك)

- الكامل في الضعفاء الذهبي دار بيروت للطباعة والنشر .
- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد محمد بن عبدالوهاب ط الأولى ١٤١١هـ محمد التميمي دار السلام
- كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي ، تحقيق فتح الله خليف دار الجامعات .
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ، ابن خزيمة ، تحقيق عبدالعزيز الشهوان ، دار الرشد .
- الكشاف ، الزمخشري ، دار الفكر .

- كشف المحجوب ، الهجوري ، دراسة وتعليق ، سعاد قنديل راجع الترجمة أمين بدوي ١٩٨٠م دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت
- الكشف عن حقيقة الصوفية محمود عبدالرؤوف القاسم ، المكتبةالإسلامية .
- الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، تحقيق أحمد عمر هاشم ١٤٠٥هـ
- الكواشف الجلية ، السلمان ط الحادية عشر ١٤٠١هـ ١٩٨١م مطابع المجد

(ل)

- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول ، أبي الحجاج المكلاتي ط الأولى ١٩٧٧م دار الأنصار .
- لسان العرب ابن منظور ، إعداد وتصنيف يوسف خياط قدم له عبدالله العلايلي دار لسان العرب ، بيروت .
- اللمع في التصوف أبي نصر عبدالله الطوسي السراج ، تحقيق عبدالحليم محمود طه ، عبدالباقي سرور ١٣٨٠هـ دار الكتب الحديثة بمصر
- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، الأشعري ط الأولى ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م دار لبنان للطباعة والنشر .
- الله والعالم في الفكر الإسلامي محمد جلال شرف ١٩٨٠ م دار النهضة العربية
-لمحة عن الفرق الضالة ط الأولى ١٤١٦هـ
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية محمد السفاريني تنبيه عبدالرحمن أبابطين ، سليمان بن سحمان ط الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م المكتب الإسلامي .

(م)

- الماتريدية دراسة وتقويم أحمد الحربي ط الأولى ١٤١٣هـ دار العاصمة
- مباحث في العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي الشيخ مكتبة الرشد
- متشابه القرآن ، القاضي عبدالجبار ، تحقيق عدنان زرزور ، دار التراث
- مجمع الزوائد ، الهيثمي ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م دار الكتاب العربي
- مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية للتفتازاني - ملا أحمد

الجندي - الخيالي - عبدالحكيم السيالكوتي ١٣٢٩م مطبعة كردستان العلمية
- مجموع الفتاوى ، جمع عبدالرحمن بن قاسم دار إحياء الكتب العربية
- مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع فهد السلمان ط الثانية ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م دار الثريا .
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، الرازي ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م دار الكتاب العربي - مكتبة الكليات الأزهرية
- مختصر التحفة الاثني عشرية ، شاه عبدالعزيز الدهلوي تعريب : غلام محمد الأسلمي ، اختصار محمود شكري الألوسي ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ١٤٠٤هـ طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
- مختصر الصواعق المرسلة ، الموصلي ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م دار الندوة الجديدة
- مختصر طبقات الحنابلة ، محمد البغدادي ، دراسة فؤاد الزملي ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م دار الكتاب العربي .
- مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق حامد فقي ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م دار الكتاب العربي .
- المذاهب الإسلامية ، أبي زهرة المطبعة النموذجية مكتبة الأدب .
- مذاهب الإسلاميين ، بدوي ط الأولى ١٩٧١م دار العلم للملايين .
- المرشد الأمين إلى موعظة المتقين ، الغزالي ، ط الثالثة ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م مكتبة مصطفى الباب الحلبي .
- مروج الذهب ومعادن الجواهر ، المسعودي ١٤٠٤هـ دار الأندلس ، بيروت
- المسائل الخمسون في أصول الدين ، فخر الدين الرازي ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع .
- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة (ناصر القفاري ط الرابعة ١٤١٦هـ دار طيبة للنشر والتوزيع .
- المسامرة لكمال بن أبي شريف في شرح المسايرة لكمال بن الهمام ط الثانية مطبعة السعادة .
- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، بيروت ، دار الكتاب

العربي
- المسودة في أصول الفقه ، لآل تيمية مجد الدين أبو البركات شهاب الدين أبو المحاسن تقي الدين أبو العباس ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- مشارق العقول السالمي ، تحقيق عبدالرحمن عميرة ط الأولى ١٩٨٩م دار الجيل
- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، صادق سليم ط الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م مكتبة الرشد
- المضنون به على غير أهله ، الغزالي ، منشورات دار الحكمة .
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول حافظ الحكمي ، علق عليه عمر أبو عمر ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م دار ابن القيم
- المعتزلة وأصولهم الخمسة عواد بن عبدالله المعتق ط الأولى ١٩٧٢م دار العاصمة
-المعتزلة ، زهدي حسن جار الله مطبعة مصر ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م
- معجم أعلام الفكر الإنساني تقديم إبراهيم مذكور ١٩٨٤م الهيئة المصرية العامة للكتاب .
-المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن ابن عباس - ابن قتيبة - مكي بن أبي طالب أبوحيان ، إعداد عبدالعزيز السيروان ط الأولى ١٩٨٦م دار العلم للملايين .
- المعجم الصافي في اللغة العربية صالح العلي ، أمينة أحمد ، ط الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة الناصر .
- معجم المصطلحات الصوفية ، أنور فؤاد ط الأولى ١٩٩٣م مكتبة لبنان .
-معجم الألفاظ والأعلام القرآنية محمد إسماعيل إبراهيم ط الثانية دار الفكر العربي .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ط الثانية ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- معجم الفلسفي جميل صليبا ط الأولى ١٩٧٣م دار الكتاب اللبناني

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر
- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس تحقيق شهاب الدين أبوعمر ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م دار الفكر .
- المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس ، عبدالحليم منتصر ، عطية الصوالي ، محمد خلف الله أحمد دار إحياء التراث الإسلامي .
- معجم المؤلفين رضا كحالة ، دار إحياء التراث .
- مع رسل الله وكتبة واليوم الآخر حسن أيوب دار القلم .
- المغني للإمامين شمس الدين وموفق الدين ابن قدامة ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
-المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين أبي الحسن الأشعري ، تحقيق محي الدين عبدالحميد ، ط الثانية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م مكتبة النهضة المصرية .
- مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية ، دار المصحف بالقاهرة .
- مقدمة ابن الصلاح لابن حجر تحقيق عائشة عبدالرحمن ١٩٧٤م دار الكتب
- الملل والنحل الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ط الثانية دار المعرفة
- منار الهدى لطالبي بيان الحق والهدى محمد أولي بن المنذر الأنصاري ط الأولى ١٤٠٥هـ مطابع المدينة .
- المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي اختصره أبومعاذ محمد بن إمام بن منصور آل موافي
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام الرفض والاعتزال اختصره الذهبي ، حققه ، محب الدين الخطيب ، دار المطبعة السلفية
- المنجد في اللغة والأدب والعلوم لويس معلوم ط الخامسة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .
- المنجد في اللغة والأعلام ، ط الثالثة والعشرين دار المشرق ، بيروت
- من لايحضره الفقيه ، ابن بالويه القمي ، تحقيق حسن الموسوي الخرساني

١٤٠١هـ ١٩٨١م دار صعب ، دار التعارف .
- منهاج السنة النبوية ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ط الأولى ١٩٨٦م إدارة الثقافة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ابن تيمية ١٣٢٢هـ مطبعة الأميرية بولاق .
- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة عثمان بن حسن ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م مكتبة الرشد
- منهج علماء الحديث في أصول الدين ، مصطفى حلمي دار الدعوة .
- المنهج في تاريخ الفلسفة العربية ، حسن عاصي ط الأولي ١٤١٢هـ ١٩٩١م دار المواسم .
- المنية والأمل ، القاضي عبدالجبار جمعه أحمد المرتضى ، دار المعرفة .
- الموسوعة العربية العالمية .
- الموسوعة العربية الميسرة ندوة الشباب العالمي
- الموسوعة الفلسفية المختصرة د. محمود قاسم ١٩٨٤م
- موسوعة الملل والنحل أبي الفتح الشهرستاني ط الأولى ١٩٨١م مؤسسة ناصر للثقافة بيروت .
- موطأ الإمام مالك
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة - عبدالرحمن المحمود ط الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٥م مكتبة الرشد
- موقف الإمام ابن تيمية من التصوف ، صادق سليم ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م مكتبة الرشد .
- ميزان الاعتدال ، الذهبي ، تحقيق على محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية .

(ن)

- نثر اللآلئ على نظم الأمالي عبدالحميد الألوسي ١٣٣٠هـ مطبعة الشابندر
- نخبة الفكر ، ابن حجر
- نظرية الإمامة ، أحمد محمود صبحي ، دار النهضة العربية .

- النكت على ابن الصلاح ابن حجر تحقيق ربيع بن هادي ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م الجامعة الإسلامية .
- نهاية الإقدام الشهرستاني ، تحقيق الفرد جيوم مكتبة المتنبي القاهرة
- النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري - ابن الأثير ، تحقيق محمود الطناحي ، طاهر الزواوي مكتبة أنصار السنة المحمدية .
- النهاية في الفتن والملاحم ، ابن كثير ، تحقيق أحمد عبد الشافي ١٤١١هـ ١٩٩١م دار الكتب العلمية
- نهج البلاغة للإمام علي شرح محمد عبده ، دار المعرفة .
- هذه مبادئنا رد على كتاب (الإباضية عقيدة ومذهبا) د. صابر طعيمة إعداد أحمد مصلح ، محمود الأندلس ، عاشور ، كسكاس مهنى التبواجي (مصور) .

(و)

- الوشيعة في نقض كلام الشيعة موسى الجار الله ، مطبعة الكيلاني .
- وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس (١٩٦٩م - ١٩٧٠م) دار الثقافة
وفيات الأعيان لابن خلكان دار الصادر
- ولاية الله والطريق إليها دراسة وتحقيق ، قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني ، بقلم إبراهيم إبراهيم هلال ، دار الكتب الحديثة مطبعة المدني .
- الوافي بالوفيات ، الصفدي ١٤١٣هـ ١٩٩٧م دار النشر ، تراتزشتايز .

المخطوطات

- أبكار الأفكار ، الآمدي ، مصور من مكتبة تركيا رقم ٣٥ / ب من جامعة الملك سعود (ميكروفلم)
- تكفير الشيعة الشنيعة ، مطهر بن عبدالرحمن بن علي بن إسماعيل نسخة مصورة بالفتوستات من الأصل المخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (ميكروفلم)
- رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ برقم ٨٢ ٠ / م ميكروفلم من جامعة الملك سعود .

الرسائل غير المطبوعة

- الاستغاثة المعروف «بالرد على البكري » ابن تيمية عبدالله السهلي ، رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود ١٤١٦هـ
- الشفاعة دراسة واستدلال ، موسى محمد عطية الحواجري ، رسالة ماجستير من كلية أصول الدين بالقاهرة .

مجلات

- مجلة المنار ح٨ مجلد ٢٤ ، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد ويشتمل على :	
أولاً : تعريف الشفاعة	
تعريف الشفاعة لغة	١١
تعريف الشفاعة اصطلاحًا	١٩
ثانيًا : الفرق بين الشفاعة والاستشفاع	٢١
ثالثًا : لفظ الشفاعة في القرآن	٢٤
رابعًا : لفظ الشفاعة في السنة	٢٨
الفصل الأول :الشفاعة عند الشيعة	٣٢
المبحث الأول : التعريف بالشيعة	
تعريف الشيعةلغة	٣٥
تعريف الشيعة اصطلاحا	٤٠
المبحث الثاني :قولهم في الشفاعة	٤٨
المطلب الأول : منزلة الأئمة	٥٠
المطلب الثاني : قولهم في الشفاعة	٥٨
أولاً : من المستحق للشفاعة؟	٦١
ثانيًا : من هم الشفعاء؟	٦٦
ثالثًا : أقسام الشفاعة	٦٩
المبحث الثالث :أدلتهم	٧٢
تلخيص الشبه والحجج وردها	٧٨

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: الشفاعة عند الخوارج	٩٦
المبحث الأول: التعريف بهم	
تعريف الخوارج لغة	١٠٣
التعريف الاصطلاحي	١٠٥
المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة	١٠٩
أصل قولهم	١١٤
الأدلة على تكفير مرتكبي الكبيرة	١١٧
المبحث الثالث: أدلتهم	
أدلة الخوارج على إنكار الشفاعة	١٢٣
درء تلك الشبه	١٢٧
قبل الختام	١٣١
الفصل الثالث: الشفاعة عند المعتزلة	١٣٦
المبحث الأول: التعريف بهم	
تعريف المعتزلة لغة	١٤٠
تعريف المعتزلة اصطلاحًا	١٤٢
أصل تسمية المعتزلة	١٤٤
الأسماء التي تطلق على المعتزلة	١٤٦
المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة	١٥٠
مسألة الوعد والوعيد	١٥٤
تعريف الوعد والوعيد	١٥٤
الأدلة على الوعيد	١٥٦
مسألة مرتكب الكبيرة	١٦٢
الأدلة والرد عليها	
الأدلة العقلية	١٦٥
الأدلة النقلية	١٦٦

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث: أدلتهم	١٧٠
المطلب الأول: الأدلة النقلية	١٧٠
المطلب الثاني: الأدلة العقلية	١٨٠
المطلب الثالث: احتجاجاتهم أن الشفاعة ثابتة بخبر الواحد	١٨٦
الفصل الرابع: الشفاعة عند الأشاعرة والماتريدية	١٨٩
المبحث الأول: التعريف بهم	
المطلب الأول: التعريف بالأشاعرة	١٩٠
المطلب الثاني: التعريف بالماتريدية	١٩٣
المبحث الثاني: قولهم وأدلتهم وفيه مطلبان	
المطلب الأول: قولهم في الشفاعة	
أولاً: الأشاعرة	١٩٧
ثانيًا: الماتريدية	٢٠١
المطلب الثاني: أدلتهم	٢٠٤
الفصل الخامس: الشفاعة عند الفلاسفة	٢٠٨
المبحث الأول: التعريف بالفلاسفة	
لغة	٢٠٩
اصطلاحًا	٢١٠
المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة	٢١١
المبحث الثالث: أدلتهم	٢١٩
أدلة إثبات المعاد	٢٢٣

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس: الشفاعة عند الصوفية	٢٢٧
المبحث الأول: التعريف	
المطلب الأول: أصل التسمية	٢٣٤
المطلب الثاني: تعريف التصوف	٢٤٣
المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة	٢٤٩
المبحث الثالث: أدلتهم	٢٥٥
الفصل السابع: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة	
بين يدي الفصل	
أولاً: التعريف بأهل السنة والجماعة	٢٥٨
ثانيًا: منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة وتقريرها	٢٦٦
المبحث الأول: أدلة ثبوت الشفاعة عندهم	٢٧٥
المطلب الأول: القرآن الكريم	٢٧٥
المطلب الثاني: السنة	٢٧٨
المطلب الثالث: الإجماع	٢٨٢
المبحث الثاني: أقسام الشفاعة	
المطلب الأول: الشفاعة الدنيوية	٢٨٧
أولاً: الشفاعة المحمودة الشرعية	٢٨٧
ثانيًا: الشفاعة الدنيوية المذمومة	٢٨٩
المطلب الثاني: الشفاعة في الآخرة	٢٩١
المبحث الثالث: شروط الشفاعة	٢٩٣
المطلب الأول: الإذن للشافع	٢٩٤
المطلب الثاني: الرضا عن المشفوع له	٢٩٨

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع: أنواع الشفاعة	٣٠١
المطلب الأول: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ وغيره	٣٠٣
المطلب الثاني: الشفعاء غير النبي ﷺ	٣٢١
المبحث الخامس: أسباب الشفاعة	
المطلب الأول: الأسباب الجالبة للشفاعة	٣٢٦
المطلب الثاني: الأسباب المانعة للشفاعة	٣٣١
الفصل الثامن: موقف أهل السنة من منكري الشفاعة	٣٣٣
حجية خبر الواحد	٣٣٤
هل خبر الواحد يفيد العلم أم لا؟	٣٣٥
حكم العمل بخبر الواحد	٣٤٣
حجج من رد أحاديث الآحاد	
أولاً: الشبه العقلية	٣٤٥
ثانيًا: أدلتهم النقلية	٣٤٨
أخذ أهل السنة بأحاديث الآحاد في العقائد	٣٥٠
الخاتمة	
أهم النتائج	٣٥٣
أهم التوصيات	٣٥٦
فهرس الآيات	٣٥٧
فهرس الأحاديث	٣٧٢
فهرس المصادر والمراجع	٣٧٩
فهرس الموضوعات	٤٠٠